تشارلز بوكوفسكي

الشطيرة

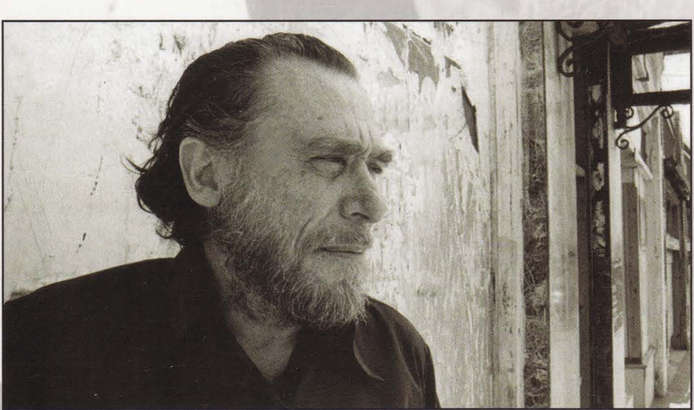

ترجمة: علي لطيف

مراجعة: ريم غنايم

منشورات الجمل

رواية

Arab_Books

تشارلز بوكوفسكي: **الشطيرة**، رواية

تشارلز بوكوفسكي

الشطيرة

رواية

ترجمة: علي لطيف

مراجعة: ريم غنايم

منشورات الجمل

Tele: @Arab_Books

تشارلز بوكوفسكي: **شطيرة لحم الخنزير**، رواية، الطبعة الأولى
ترجمة: علي لطيف، مراجعة: ريم غنايم
كافة حقوق النشر والاقتباس باللغة العربية
محفوظة لمنشورات الجمل، بيروت - بغداد ٢٠١٧
تلفون وفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ١ ٠٠٩٦١
ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Charles Bukowski: *Ham on Rye*
© 1982 by Charles Bukowski

Published by arrangement with Ecco, an imprint of HarperCollins Publishers

© *Al-Kamel Verlag* 2017
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

Tele: @Arab_Books

- ١ -

أول شيء أتذكره أنني كنت تحت شيء ما، كانت طاولة، فقد رأيت ساق الطاولة، رأيتُ سيقان النّاس ورأيتُ جزءاً متدلياً من مفرشها. تحت الطاولة كان الجو مظلماً، أحببت وجودي هناك. لا بدّ أن هذا كان في ألمانيا، ولا بدّ أنني كنت أبلغ من العمر عاماً أو عامين. كان العام ١٩٢٢. خالجني إحساس جيّد تحت الطاولة. لم يبدُ أنّ أحداً عرف أنني هناك. كانت أشعة الشمس فوق السجادة وعلى سيقان الناس، أحببت أشعة الشمس. سيقان الناس لم تكن مثار اهتمام، ليست كمفرش الطاولة المتدلي إلى أسفل، ولا كساق الطاولة، ولا كأشعة الشمس.

بعدها هناك اللاشيء.. يليها شجرة الميلاد، الشموع، حِليّ الطيور: طيور تمسك بمناقيرها فروع توت صغيرة. نجمة. شخصان ضخمان يتشاجران ويصرخان. أشخاص يأكلون، أشخاص يأكلون دائماً. وأنا أيضاً أكلت. التوَتْ ملعقتي فكان عليّ كلما أردت الأكل أن أحملها بيدي اليمنى. لو حملتها بيدي اليسرى، لمالَت الملعقة بعيداً عن فمي. أردت حمل الملعقة بيدي اليسرى.

شخصان: أحدهم أكبر من الآخر، شعره مجعد، أنفه كبير، فمه كبير، وله حاجبان كثيفان. الشخص الأكبر حجماً يبدو أنه غاضب

Tele: @Arab_Books

دائماً، ويصرخ في أغلب الأحيان؛ الشخص الأقل حجماً يبدو هادئاً، وجهه كرويّ وشاحب، وعيناه كبيرتان. كنت خائفاً منهما. في بعض الأحيان كان هناك شخص ثالث، شخص بدين يرتدي فساتين برباط جهة العنق. كانت ترتدي دبوساً كبيراً، واكتسى وجهها بثآليل كثيرة نتأت منها شعيرات صغيرة. «ايميلي» كانوا يدعونها. لم يبدُ على هؤلاء الأشخاص أنّهم سعداء بعضهم مع بعض. ايميلي كانت الجدة، والدة أبي. أبي يُدعي «هنري»، أمي تُدعى «كاثرين». لم أتكلم معهما أبداً مستخدماً اسميهما. أنا «هنري جونيور»، وهؤلاء الناس كانوا يتكلمون اللغة الألمانية أغلب الوقت وفي البداية كنت أنا أيضاً أتكلم بها.

أول شيء أتذكّر جدتي كانت تقوله: «سأدفنكم جميعاً!»، أول مرة قالت هذا كانت قبل أن نتناول وجبتنا، ولم تكن تلك المرة الأخيرة، فسوف تتكرر هذه الحادثة مرات كثيرة مباشرةً قبل أن نبدأ في الأكل. الأكل كان يبدو مهماً بالنسبة إلينا، كنا نأكل بطاطا مهروسة ومرق اللحم، خاصة أيام الأحد. أكلنا أيضاً لحم البقر المشوي، النقانق، المخلل الملفوف، البازلاء، أوراق نبات الراوند، الجزر، السبانخ، اللوبيا، لحم الدجاج، كرات اللحم بالمعكرونة وأحياناً مع الرافيولي. كان هناك بصل مطبوخ وهليون، وفي كل يوم أحد كانت هناك كعكة فراولة بالفانيلا والمثلجات. عند الفطور أكلنا التوست الفرنسي والنقانق، أو الفطائر المحلاة أو فطائر الوافل مع لحم الخنزير المقدد والبيض المقلي على جانب الصحن، والقهوة كانت دائماً موجودة. لكن أفضل ما يمكنني تذكّره بصورة جيدة هو البطاطا المهروسة ومرق اللحم وجدتي ايميلي وهي تقول لنا: «سأدفنكم جميعاً!».

كانت تزورنا في غالب الأحيان بعدما قدمنا إلى أمريكا، كانت

Tele: @Arab_Books

تستقلّ الحافلة الحمراء من باسدينا إلى لوس أنجلس. كنا نذهب لرؤيتها في بعض المناسبات، سافرنا إليها بسيارتنا الفورد موديل تي.

أحببت منزل جدتي. كان منزلاً صغيراً تتدلى من فوقه مجموعة من أشجار الفلفل الأسود. ايميلي كانت تملك عدة أنواع من عصافير الكناري وضعتها في أقفاص مختلفة. أتذكر زيارة واحدة بالتحديد. في ذلك المساء غطت ايميلي أقفاص العصافير بأغطية بيضاء لكي تتمكن العصافير من النوم. جلس الناس على الكراسي وتحدثوا، كان هناك بيانو، وبينما كان الناس يتحدثون وجدت نفسي جالساً على البيانو أضرب مفاتيحه واحداً تلو الآخر وأستمع للصوت الذي يصدره كل مفتاح. أحببت صوت المفاتيح التي كانت تُصدر صوتاً من الصعب سماعه عند إحدى نهايات البيانو. الصوت التي أصدرته هذه المفاتيح كان مثل رقاقات الثلج التي يرتطم بعضها ببعض.

«هلا توقفت عن فعل ذلك؟» قال لي أبي بصوت عال.

«دع الفتى يعزف على البيانو»، قالت له جدتي.

ابتسمت أمّي.

«ذاك الفتى»، قالت جدتي، «عندما حاولتُ أن أرفعه من المهد لأقبّله، لطمني على أنفي!».

واصلوا الحديث وواصلتُ العزف على البيانو.

«لِمَ لا تقوم بضبط هذا الشيء؟» سألني أبي.

بعد ذلك قالوا لي إننا ذاهبون لرؤية جدي. جدي وجدتي لم يقيما معاً. أخبروني أن جدي رجل سيئ، وأن رائحة أنفاسه كريهة.

«لِمَ رائحة أنفاسه كريهة؟» سألتهم.

لمَ يجيبوني.

«لمَ رائحة أنفاسه كريهة؟».

«لأنه يشرب».

Tele: @Arab_Books

ركبنا في السيارة وذهبنا لرؤية جدي ليونارد. عندما توقفنا أمام منزله كان جدي ليونارد يقف في شرفة المنزل. كان رجلاً عجوزاً لكنه وقف بشكل معتدل جداً. لقد كان ضابطاً في الجيش الألماني وقد هاجر إلى أمريكا عندما سمع أن الشوارع معبّدة بالذهب؛ لم يكن هذا صحيحاً، ومع الوقت أصبح جدي على رأس شركة بناء.

الآخرون لم يترجلوا من السيارة. أشار لي جدي بإصبعه. أحدهم فتح لي الباب فنزلت وصعدت الدَّرج وتوجهت إليه. كان شعره أبيض تماماً وطويلاً، وكانت لحيته بيضاء تماماً وطويلة أيضاً، وبينما كنت أقترب منه رأيت بأنّ عينيه كانتا مليئتين ببريق رائع، كأضواء زرقاء ترقبني. وقفت على مسافة بعيدة منه بعض الشيء.

«هنري» قال لي، «أنت وأنا، نعرف بعضنا بعضاً، تعال تفضل ادخل إلى المنزل».

حرك يده نحو الباب. شممت رائحة أنفاسه الكريهة عندما اقتربت منه. كانت الرائحة قوية جداً ولكنه كان حقاً أجمل رجل رأيته طوال حياتي ولم أشعر بالخوف. دخلت معه إلى المنزل، ثم أوصلني إلى كرسيّ.

«اجلس، من فضلك. أنا سعيد جداً لرؤيتك».

ذهب إلى غرفة أخرى. بعدها عاد إليّ ومعه صندوق صغير.

«تفضل، هذه هدية من أجلك، افتحها».

واجهت صعوبة في فتح القفل، لم أستطع فتح الصندوق.

«هاته»، قال، «دعني أفتحه لك».

أرخى القفل وأعطاني الصندوق الصغير لأفتحه. فتحت القفل وكان أمامي، صليب ألماني مربوط بشريط.

«أوه لا»، قلت، «أبقه عندك».

«هو لك»، قال، «إنها مجرد شارة قديمة لا أكثر».

Tele: @Arab_Books

«شكراً».
«من الأفضل أن تغادر الآن. سيشعرون بالقلق».
«حسناً، مع السلامة».
«مع السلامة هنري. لا، انتظر...».

توقفت. أدخل جدي أصابع يده في جيب أماميّ صغير في سرواله، وسحب سلسة طويلة من الذهب بيده الأخرى. ثمّ ناولني ساعته الجيب الذهبية مع السلسة.

«شكراً، جدي...».

كانوا ينتظرونني في الخارج. صعدت إلى السيارة ثم ذهبنا. تكلموا عن العديد من الأشياء ونحن نسير على الطريق، كانوا يتكلمون دائماً وكانوا يتكلمون حتى ونحن عائدون إلى منزل جدتي. تكلموا عن كل شيء إلّا عن جدّي، لم يتكلّموا قطّ.

- ٢ -

أتذكّر الفورد موديل تي، تقف في مكانها شامخة. دواسات الأبواب التحتية بدَت لطيفة، وفي صباحات الأيام الباردة، وفي أوقات أخرى أيضاً، كان على أبي أن يُشغل السيارة باستخدام ذراع التدوير التي يُدخلها في المحرك ويُدوّرها عدة مرات لتشتغل السيارة.

«قد تنكسر يد الرجل بعمل كهذا. إنها تركلك بقوة كالحصان».

كنا نذهب في رحلات يوم الأحد بالموديل تي عندما لا تزورنا جدتي. أحبّ والداي بساتين البرتقال. كانت أميال من أشجار البرتقال مزهرة على الدّوام أو ممتلئة بثمار البرتقال. امتلك والداي سلة نزهة وصندوقاً معدنيّاً. داخل الصندوق تواجدت علب فواكه مجمدة موضوعة في الثلج، وفي سلة النزهة نقانق وسجق بالكبدة

Tele: @Arab_Books

وسندويتشات سلامي ورقائق بطاطا وموز وعلب مشروبات غازية. تحرّكت الأخيرة دائماً إلى الأمام والخلف ما بين الصندوق المعدني وسلة النزهة. كانت تتجمد بسرعة، لذا وجب علينا أن ندعها تذوب قبل شربها.

دخّن أبي سجائر (الكَمَل - Camel) وعرف العديد من الخدع والألعاب التي أرانا إياها بعلب سجائر الكَمَل. كم عدد الأهرامات على العلبة؟ عدّوها. وكنا نَعدها، وفي كل مرة كان يرينا أهراماً جديدة لم نلاحظها من قبل.

كذلك كانت هناك خدع حول الأسنمة التي تمتلكها الجمال، حول الكلمات المكتوبة على العلبة. كانت سجائر «الكَمَل» سجائر سحرية.

أتذكّر بالتّحديد أحد أيام الأحد. كانت سلة النزهة فارغة، بالرغم من ذلك سافرنا بالسيارة عبر بساتين البرتقال، بعيداً عن المكان الذي نعيش فيه.

«دادي»، سألت أمي، «ألن ينفذ وقود السيارة؟».

«لا، هناك كمية كافية من الوقود اللعين».

«أين نحن ذاهبون؟».

«أنا ذاهب لآخذ بعضاً من البرتقال اللعين!».

جلسَت أمي صامتة طوال الطريق. توقف أبي على جانب الطريق بجوار سياج من الأسلاك. جلسنا هناك نستمع. بعدها بلحظات ركل أبي الباب وخرج من السيارة.

«أحضروا السلة».

تسلّقنا كلنا السياج.

«اتبعوني»، قال أبي.

كنا بين صفَّين من أشجار البرتقال، مظللة عن الشمس بالأغصان

Tele: @Arab_Books

والأوراق. توقف أبي وشرع في قطف البرتقال من الأغصان السفلية للأشجار القريبة منا. بدا أبي غاضباً بينما كان يقطف ثمار البرتقال من الشجرة. الأغصان بدت غاضبة وهي تقفز إلى أعلى وإلى أسفل. رمى أبي ثمار البرتقال في سلة النزهة التي كانت تحملها أمي. في بعض الأحيان كان يخطئ الرمي فأقوم بملاحقة الثمار ووضعها في السلة. تنقَّل أبي من شجرة لشجرة، وقطف الثمار من الأغصان السفلية ورماها في سلة النزهة.

«دادي، لدينا ما يكفي من البرتقال»، قالت أمي.

«كالجحيم».

استمر أبي في القطف.

عندها تقدم رجل نحونا، طويل جداً. كان يحمل بندقية.

«حسناً، يا هذا، ماذا تظن أنك تفعل؟».

«أنا أقطف البرتقال، هناك الكثير من البرتقال».

«هذا البرتقال لي. اسمعنى الآن، قل لامرأتك أن تطرحه أرضاً».

«هناك الكثير من البرتقال اللعين، لن تفقد بعضاً من ثمار البرتقال اللعينة!».

«لن أفقد أياً من برتقالي، قل لامرأتك أن تطرح البرتقال أرضاً!».

صوّب الرجل بندقيته نحو أبي.

«اطرحيها أرضاً»، قال أبي لأمي.

تدحرجت ثمار البرتقال على الأرض.

«الآن»، قال الرجل، «اخرج من بستاني».

«أنت لا تحتاج إلى كل هذا البرتقال!».

«أنا أعلم ما أحتاج إليه. الآن اخرج من هنا».

Tele: @Arab_Books

«أمثالك يستحقون الشنق!».

«أنا القانون هنا، الآن اخرج!».

وجّه الرجل بندقيته في وجهنا مجدداً. استدار أبي واتّجه خارج بستان البرتقال. تبعناه، الرجل تبعنا أيضاً.

صعدنا السيارة لكن للأسف لم تعمل. خرج أبي من السيارة ليشغلها بذراع التدوير، أدارها مرتين لكنها لم تعمل. بدأ أبي يتعرق، بينما كان الرجل يقف على حافة الطريق.

«شَغّل سيارتك اللعينة وارحل من هنا!» قال الرجل.

استعد أبي ليدير الذراع مرة ثانية. «نحن لسنا في ممتلكاتك! يمكننا البقاء هنا كل الوقت اللعين الذي نريد!».

«تباً لذلك! شَغّل سيارتك اللعينة، واخرج من هنا بسرعة!» قال الرجل.

أدار أبي المحرك مرة ثانية، اهتزت السيارة، ثم توقفت. جلست أمي داخل السيارة وسلة النزهة الفارغة في حضنها. خفتُ أن أنظر إلى الرجل. أدار أبي ذارع التدوير مرة ثانية، فاشتغلت السيارة. قفز أبي إلى داخل السيارة وبدأ بتحريك العتلات بجانب مقود السيارة.

«لا تعد إلى هنا»، قال الرجل، «المرة القادمة لن تمر عليك بسلام».

قاد أبي الموديل تي. الرجل كان مازال يقف بجانب الطريق. كان أبي يسير بسرعة، ثم أبطأ سرعته ودار بالسيارة وعاد إلى المكان ذاته الذي وقف فيه الرجل. لم يكن الرجل موجوداً. قاد أبي السيارة بسرعة بين بساتين البرتقال ونحن عائدون في طريقنا إلى المنزل.

«سأعود يوماً ما وسأنال من هذا الوغد»، قال أبي.

«دادي، عشاؤنا الليلة سيكون لطيفاً. ماذا تريد أن تأكل؟» سألته أمي.

Tele: @Arab_Books

«شرائح لحم الخنزير»، أجابها.
لم أره في حياتي يقود السيارة بهذه السرعة.

- ٣ -

كان لأبي أخوان. الصغير اسمه بن والكبير اسمه جون. كلاهما كانا مدمني كحول ومن ذلك النوع من الأشخاص الذين لا يبلون حسناً أبداً في الحياة. غالباً ما تحدّث والداي عنهما.

«كلاهما لا يساويان شيئاً»، قال أبي.

«إنّك ببساطة من عائلة سيئة، دادي»، قالت أمي.

«وأخوك لا يساوي شيئاً أيضاً!».

شقيق أمي كان في ألمانيا. غالباً ما تحدّث أبي عنه بالسوء.

كان لي خال آخر، جاك، الذي كان متزوجاً من أخت أبي، إلينور. لم أرَ في حياتي خالي جاك ولا عمتي إلينور لعداوة بينهما وبين أبي.

«أترين هذه الندبة على يدي؟» سأل أبي، «هذه حدثت عندما قامت إلينور بغرس قلم حاد فيّ في شبابي. هذه الندبة لم تَزُل قط».

لم يحبّ أبي الناس. لم يحبني أنا أيضاً. «الأطفال يُرَون فقط، لا يُسمَعون»، قال لي.

كان الوقت باكراً ظهيرة أحد أيّام الأحد بدون جدتي إيميلي.

«علينا أن نذهب لرؤية بن»، قالت أمي. «إنه يُحتضر».

«لقد اقترض كل ذلك المال من ايميلي. صرفه كله على القمار والنساء والشراب».

«أعرف ذلك، دادي».

Tele: @Arab_Books

«ايميلي لن يتبقى لها أي مال عندما تموت».

«يجب علينا أن نذهب لرؤية بن. يقولون إنه لم يتبق له سوى أسبوعين».

«حسناً، حسناً! سنذهب!».

صعدنا الفورد تي وسافرنا. لزم الأمر بعض الوقت، أمي توقفت لشراء الأزهار. كانت الطريق طويلة إلى الجبال. وصلنا إلى التلال ثم أخذنا الطريق الواسعة الجبلية إلى أعلى الجبل. عمي بن كان في مصحة هناك، يحتضر من مرض السل.

«لا بدّ أن بقاء بن هنا يكلف ايميلي الكثير من المال»، قال أبي.

«ربما يساعدها ليونارد».

«ليونارد لا يملك شيئاً. شرب ماله كله، صرفه كله».

«أنا أحب جدي»، قلت.

«الأطفال يجب أن يُنظر إليهم لا أن يُستمع إليهم»، قال أبي. ثم واصل كلامه، «آه، ليونارد ذاك، المرة الوحيدة الذي كان فيها طيّباً معنا عندما كان ثملاً. كان يمزح معنا ويعطينا المال. لكن في اليوم التالي عند عودته إلى وعيه كان أكثر الرجال لؤماً في العالم».

الموديل تي كانت تصعد الطريق الجبلية بكل سلاسة. الجو كان صافياً ومشمساً.

«ها هو المكان»، قال أبي. ثم انطلق بالسيارة إلى موقف سيارات المصحة، ونزلنا. تبعت أمي وأبي إلى المبنى. عندما دخلنا إلى الغرفة، كان عمي بن جالساً في السرير، يحدق عبر النافذة. التفت ونظر إلينا بينما كنا ندخل. كان رجلاً وسيماً جداً، نحيلاً، وشعره أسود، وكانت عيناه سوداوين متألّقتين، كانتا رائعتين مع الضوء المتوهج.

«مرحباً، بن»، قالت أمي.

Tele: @Arab_Books

«مرحباً، كاثي». ثم نظر إليّ. «هل هذا هنري؟».

«أجل».

«اجلسوا».

جلسنا أنا وأبي.

وقفت أمي هناك. «هذه الأزهار يا بن، لا يمكنني إيجاد مزهرية!».

«الأزهار لطيفة، شكراً، كاثي. لا، لا توجد مزهرية».

«سأذهب لأجلب واحدة»، قالت أمي. ثم غادرت الغرفة وهي تحمل في يديها الأزهار.

«أين كل حبيباتك يا بن؟» سأل أبي.

«يأتين أحياناً».

«وأنا صدقت ذلك».

«إنهن يأتين أحياناً».

«نحن هنا لأن كاثرين أرادت رؤيتك».

«أعرف ذلك».

«أردت رؤيتك أيضاً يا عمي بن. أعتقد أنك رجل جميل حقاً».

«جميل مثل مؤخرتي»، قال أبي.

دخلت أمي الغرفة تحمل الأزهار في مزهرية.

«هنا، سأضعها على هذه الطاولة بجانب النافذة».

«الأزهار لطيفة يا كاثي».

جلست أمي.

«لا نستطيع البقاء لمدة طويلة»، قال أبي.

مدّ عمي بن يده تحت الفراش وأخرج علبة سجائر. أخرج واحدة، أشعل عود ثقاب وأشعل السيجارة. أخذ نفساً طويلة من السيجارة ثم نفث الدخان.

Tele: @Arab_Books

«أنت تعلم أنه ليس من المسموح لك أن تدخن السجائر»، قال أبي، «أعرف كيف تحضرها. أولئك العاهرات يجلبنه لك. حسناً، سأخبر الأطباء عن ذلك وسأجعلهم يقومون بمنع دخول أولئك العاهرات إلى هنا!».

«أنت لن تقوم بفعل أي من هذا الهراء»، قال عمي.

«لدي سبب جيد لاقتلاع تلك السيجارة من فمك!» قال أبي.

«لم يكن لديك سبب جيد طوال حياتك»، قال عمي.

«بن»، قالت أمي، «يجب ألّا تدخن، سيقتلك هذا!».

«لقد عشت حياة جيدة»، قال عمي.

«أنت لم تعش حياة جيدة قط»، قال أبي. «كذب، ثمالة، ديون، بغاء، شرب. لم تعمل يوماً في حياتك! والآن أنت تحتضر في عمر الرابعة والعشرين!».

«كان الأمر جيداً»، قال عمي. أخذ نفساً عميقاً من سيجارة الكَمَل، ونفث الدخان.

«لنخرج من هنا»، قال أبي. «هذا الرجل مجنون!» نهض أبي. بعدها نهضت أمي. ثم نهضت أنا.

«إلى اللقاء كاثي»، قال عمي، «إلى اللقاء هنري». نظر إليّ ليُبيّن أي هنري يقصد.

تبعنا أبي خلال ردهات المصحة وإلى موقف السيارة إلى الموديل تي. ركبنا، دار المحرك، وبدأنا في نزول الطريق الواسعة خارجين من الجبال.

«كان علينا أن نبقى وقتاً أطول»، قالت أمي.

«ألا تعرفين أن السل مُعدٍ؟» سألها أبي.

«أعتقد أنه رجل جميل حقاً»، قلت.

Tele: @Arab_Books

«إنه المرض»، قال أبي، «إنه يجعلهم يبدون هكذا. وعدا عن السل، يبدو أنه مصاب بأشياء عديدة أخرى».

«أشياء مثل ماذا؟» سألت.

«لا أستطيع أن أخبرك»، أجاب أبي. تعجبت من ذلك بينما كان أبي يقود المودل تي أسفل الطريق الجبلية الواسعة.

- ٤ -

كان يوم آخر من أيام الأحد عندما ركبنا الموديل تي للبحث عن عمي جون.

«ليس لديه أي طموح»، قال أبي. «لا أفهم كيف يمكنه أن يرفع رأسه اللعين عالياً ويحدّق في عيون الناس».

«أتمنى لو أنه لم يكن يمضغ التبغ»، قالت أمي. «إنه يبصقه في كل مكان».

«لو كانت البلاد مليئة برجال مثله لتمكّن الصينيون من السيطرة على البلاد ولكنّا نحن سندير المغاسل».

«جون لم تكن لديه أي فرصة على الإطلاق»، قالت أمي، «لقد هرب من المنزل في عمر مبكر. على الأقل أنت أكملت تعليمك الثانوي».

«الجامعي»، قال أبي.

«أين؟» سألت أمي.

«جامعة إنديانا».

«جاك قال إنك حاصل على شهادة ثانوية فقط».

«جاك أتم المدرسة الثانوية فقط، لهذا هو يعمل في حدائق الأغنياء».

Tele: @Arab_Books

«هل سأرى عمي جاك في وقت قريب؟» سألتُ.

«أولاً، دعنا نرى إن كان بإمكاننا إيجاد عمك جون»، قال أبي.

«هل حقاً يريد الصينيون السيطرة على هذه البلاد؟» سألتُ.

«أولئك الشياطين الصفر ينتظرون قروناً ليقوموا بذلك. ما منعهم هو أنهم كانوا يقاتلون اليابانيين».

«مَن أفضل المقاتلين، الصينيون أو اليابانيون؟».

«اليابانيون. المشكلة أن هناك العديد من الصينيين. عندما تقتل أحداً منهم ينشطر إلى نصفين ويصبح اثنين».

«لمَ جلدهم أصفر؟».

«لأنهم بدلاً من الماء يشربون بولهم».

«دادي، لا تقل للفتى هذا الكلام!».

«قولي له إذاً أن يتوقف عن طرح هذه الأسئلة».

سافرنا عبر يوم دافئ آخر في لوس أنجلس. ارتدت أمي أحد فساتينها الجميلة وإحدى قبعاتها الراقية. عندما ترتدي أمي ملابس جميلة كانت دائماً تجلس في وضع معتدل ورقبتها متصلبة.

«أتمنى لو كنا نملك مالاً كافياً لنساعد جون وعائلته»، قالت أمي.

«ليس ذنبي إن لم يملكوا وعاء ليتبولوا فيه»، أجابها أبي.

«دادي، جون كان في الحرب مثلك تماماً. ألا تعتقد أنه يستحق شيئاً؟».

«لم يرتق في المراتب على الإطلاق. أنا أصبحت رئيس عرفاء».

«هنري، كل إخوتك لا يمكنهم أن يكونوا مثلك».

«ليس لديهم أي طموح لعين! يعتقدون أنّه يمكنهم العيش ممّا هو موجود على الأرض!».

قدنا إلى مسافة أبعد. عمي جون وعائلته يعيشون في منزل صغير.

Tele: @Arab_Books

صعدنا الرصيف المتصدع إلى شرفة منخفضة، قرع أبي الجرس. كان معطّلاً. طرق الباب بقوة.

«افتحوا! نحن الشرطة!» صرخ أبي.

«دادي توقف عن ذلك!» قالت أمي.

بعد وقت بدا طويلاً، فُتح شق صغير من الباب. بعدها فُتح أكثر. استطعنا رؤية عمتي آنا. كانت نحيلة جداً، خداها مجوفان وتظهر جرابات تحت عينيها، جرابات سوداء داكنة. صوتها كان واهناً أيضاً.

«أوه، هنري... كاثرين... تفضلوا بالدخول، من فضلكم».

تبعناها إلى الداخل. كان هناك القليل من الأثاث ومكان إفطار صغير فيه طاولة وأربعة كراسي وكان هناك سريران. أمي وأبي جلسا على الكراسي. فتاتان، كاثرين وبيتسي (عرفت أسماءهما لاحقاً) كانتا في الحوض تتناوبان محاولة قشط ما تبقى من زبدة الفستق من شبه برطمان زبدة فستق فارغ.

«كيف كنا نتناول الغذاء»، قالت عمتي آنا.

أتت الفتاتان بمسحات صغيرة من زبدة الفستق ودهناها على بعض القطع من الخبز الجاف. ظلتا تنظران إلى البرطمان وتقشطانه بالسكين.

«أين جون؟» سأل أبي.

جلست عمتي بطريقة بدت بها مُتعبة. بدت ضعيفة جداً، شاحبة جداً. ثوبها كان متسخاً، شعرها غير ممشوط، مرهقة، حزينة.

«نحن ننتظره منذ فترة. لم نره منذ مدة لا بأس بها».

«أين ذهب؟».

«لا أعرف، لقد غادر على متن دراجته النارية».

«كل ما يقوم به هو التفكير بدراجته»، قال أبي.

«هل هذا هنري الصغير؟».

Tele: @Arab_Books

«أجل».

«إنه ينظر فحسب، هو هادئ جداً».

«هكذا نريده».

«الناس الهادئون دائماً عميقون».

«ليس مع هذا. الشيء الوحيد العميق فيه هو الحفر في أذنيه».

أخذت الفتاتان قطع الخبز واتجهتا إلى الخارج وجلستا على انحناءة الشرفة لتتناولاها. لم تتحدثا إلينا. اعتقدت أنهما لطيفتان. كانتا نحيلتين مثل أمهما إلا أنهما كانتا جميلتين.

«كيف حالك آنا؟» سألت أمي.

«أنا بخير».

«آنا لا تبدين أنكِ بخير. أعتقد أنكِ تحتاجين إلى طعام».

«لماذا لا يجلس ابنك معنا؟ اجلس يا هنري».

«إنه يحب أن يقف»، قال أبي، «ذلك يجعله قوياً. إنه يستعد لمقاتلة الصينيين».

«ألا تحب الصينيين؟» سألتني عمتي.

«لا»، أجبتها.

«حسناً، آنا»، سأل أبي، «كيف تسير الأمور؟».

«سيئة، في الحقيقة... صاحب المنزل يسألني دائماً عن مال الإيجار. إنه يصبح لئيماً جداً أغلب الأحيان. إنه يرعبني. لا أعلم ما الذي يجب عليّ فعله».

«سمعت أن الشرطة تلاحق جون»، قال أبي.

«لم يفعل أشياء كثيرة».

«ماذا فعل؟».

«زوّر بعض السنتات».

«سنتات؟ يا إلهي، أي نوع من الطموح هو هذا؟».

Tele: @Arab_Books

«جون حقاً لا يريد أن يكون سيئاً».

«يبدو لي أنه لا يريد أن يكون شيئاً!».

«يمكنه ذلك إن أراد».

«أجل. ولو كان الضفدع يملك جناحين لما ظل يقفز على مؤخرته!».

صمت الجميع عندها وجلسوا هناك. التفتُّ ونظرتُ إلى الخارج. الفتاتان غادرتا الشرفة، لقد ذهبتا إلى مكان ما.

«تعال يا هنري، اجلس»، قالت عمتي.

وقفت هناك. «شكراً، أنا بخير».

«آنا»، سألت أمي، «هل أنتِ متأكدة أن جون سيعود؟».

«سوف يعود عندما يتعب من العاهرات»، قال أبي.

«جون يحب أطفاله...». قالت آنا.

«سمعت أن الشرطة تلاحقه لسبب آخر».

«ماذا؟».

«اغتصاب».

«اغتصاب؟».

«أجل، يا آنا، لقد سمعت بالأمر. كان يقود دراجته في أحد الأيام. كانت فتاة شابة تحاول الحصول على توصيلة فأوقفته. ركبت خلفه على الدراجة وسارا في الطريق، وفجأة من حيث لا يعلم أحد رأى جون مرآباً فارغاً. قاد الدراجة إليه، أقفل الباب واغتصب الفتاة».

«كيف علمت بذلك؟».

«علمت بذلك؟ الشرطة أخبرتني، سألتني أين هو جون».

«هل أخبرتهم؟».

Tele: @Arab_Books

«لماذا أخبرهم؟ ليذهب إلى السجن ويتهرب من مسؤولياته؟ هذا هو ما يريده».

«لم أفكر في ذلك بهذه الطريقة».

«لا يعني هذا أنني مع الاغتصاب. . .».

«في بعض الأحيان، الرجل لا يمكنه أن يمنع نفسه من فعل بعض الأشياء».

«ماذا؟».

«أعني، بعد إنجاب الأطفال، مع هذا النوع من الحياة، القلق وكل ذلك. . . أنا لا أبدو جيدة كما كنت. رأى فتاة شابة، بدت جيدة له. . . أخذها على دراجته، أنت تعلم، وضعت يديها حوله. . .».

«ماذا؟» سأل أبي، «هل سيعجبك الأمر إذا وقع اغتصابك؟».

«أعتقد أن ذلك لن يعجبني».

«حسناً إذاً، أنا متأكد أن ذلك لم يعجب الفتاة الشابة أيضاً».

ظهرت ذبابة ودارت حول الطاولة أكثر من مرة. ظللنا نشاهدها.

«لا يوجد شيء ليُؤكل هنا»، قال أبي، «الذبابة أتت إلى المكان الخطأ».

الذبابة أصبحت أكثر وأكثر جرأة. اقتربت أكثر وأصدرت أصوات طنين. كلما تقترب أكثر كلما يصبح الصوت أعلى.

«أنت لن تقول للشرطة إن جون قد يحضر إلى المنزل؟» عمتي سألت أبي.

«لن أدعه يفلت من الأمر بسهولة»، قال أبي.

يد أمي انحنت بسرعة. أغلقتها بسرعة، ثم رفعت أمي حقيبة يدها ووضعتها فوق الطاولة.

«أمسكتُها»، قالت.

«أمسكتِ بماذا؟» سأل أبي.

Tele: @Arab_Books

«الذبابة»، ابتسمت.

«أنا لا أصدقك...».

«هل ترى الذبابة في أي مكان؟ الذبابة اختفت».

«لقد طارت بعيداً».

«كلا، أنا أمسكها في يدي».

«لا أحد بهذه السرعة».

«أنا أمسكها في يدي».

«هراء».

«لا تصدقني؟».

«كلا».

«افتح فمك».

«حسناً».

فتح أبي فمه وفتحت أمي يدها أمامه. وثب أبي مرتعداً، ممسكاً بحلقه.

«يا إلهي!».

خرجت الذبابة من فمه وبدأت تدور حول الطاولة مجدداً.

«هذا يكفي»، قال أبي، «نحن سنعود إلى المنزل!».

نهض أبي وسار خارج الباب إلى أسفل الممشى وصعد الموديل تي وجلس داخلها بجفاء، باديةً عليه مظاهر الشخص الخطير.

«أحضرنا لكم بعض علب الطعام»، قالت أمي لعمتي، «أنا آسفة لأنه ليس مالاً لكن هنري خائف من أن جون سيستعمل المال من أجل شراب الجنّ(*)، أو من أجل الوقود لدراجته. ليس كثيراً ما أحضرناه لكم: حساء، لحم مهروس، بازلاء...».

(*) جنّ: مشروب كحولي.

Tele: @Arab_Books

«أوه، كاثرين، شكراً لكِ! أنا أشكر كليكما. . .».

نهضت أمي فتبعتها. كان في السيارة صندوقان من الطعام المعلب. رأيت أبي جالساً متصلباً في السيارة. كان لا يزال غاضباً.

أعطتني أمي الصندوق الأصغر وحملت بدورها الصندوق الكبير، تبعتها إلى داخل المنزل الصغير. وضعنا الصناديق في زاوية الإفطار الصغيرة.

العمة آنا سارت نحونا والتقطت إحدى العلب. كانت علبة بازلاء، العلامة عليها كانت مغطاء بقطع بازلاء مدورة صغيرة. «هذا لطيف»، قالت عمتي.

«آنا، علينا أن نذهب. لقد آذى هنري كرامته».

عمّتي لفت يديها حول أمي. «كل شيء كان سيئاً جداً. لكن ما يحدث الآن كالحلم. انتظري حتى تعود الفتاتان إلى المنزل. انتظري حتى ترى الفتاتان كل علب الطعام هذه!».

أمي حضنت عمتي بالمقابل. بعدها افترقتا.

«جون ليس رجلا سيئاً»، عمتى قالت.

«أعرف»، أجابتها أمي، «إلى اللقاء آنا».

«إلى اللقاء كاثرين، إلى اللقاء هنري».

التفتت أمي وسارت نحو الباب. تبعتها. سرنا نحو السيارة وصعدنا. أدار أبي السيارة.

بينما كنا نسافر بالسيارة بعيداً عن المنزل الصغير رأيت عمتى تلوِّح لنا من على الباب. أمي لوّحت لها بالمقابل. أبي لم يلوّح لها وأنا أيضاً.

Tele: @Arab_Books

أصبحتُ أبغض أبي. إنه دائماً غاضب لسبب ما. أينما ذهبنا كان دائماً يدخل في نقاشات حادة مع الناس. لكنه لم يبدُ أنه يخيف أغلب الناس؛ في أغلب الأحيان كانوا ينظرون إليه بهدوء، بينما هو يصبح أكثر غضباً. لو أكلنا في الخارج، والذي كان أمراً نادراً، كان دائماً يجد خطأً ما في الطعام وفي بعض الأحيان يرفض حتى الدفع. «هناك فضلات ذباب في الكريم المخفوق! أي نوع من الأماكن اللعينة هذا؟».

«أنا آسف سيدي، لست ملزماً بالدفع. غادِرنا فقط».

«سأغادر، حسناً! لكنني سأعود! سأقوم بحرق هذا المكان اللعين!».

ذات مرة كنا في صيدلية، أنا وأمي كنا واقفين معاً على جانب واحد بينما كان أبي يصرخ على الموظف. موظف آخر سأل أمي: «من هذا الرجل الكريه؟ في كل مرة يأتي فيها هنا يفتعل شجاراً!».

«هذا زوجي»، قالت أمي للموظف.

مع ذلك، أتذكر حادثاً آخر. كان أبي يعمل كبائع حليب وكان يقوم بالتوصيلات في الصباح الباكر. في صباح ما أيقظني، «تعالى معي، أريد أن أريك شيئاً»، سرت معه إلى الخارج، كنت أرتدي بيجامتي وخفيّ. كانت السماء لا تزال مظلمة، القمر ما زال ساطعاً. سرنا نحو عربة الحليب التي كان يجرّها حصان. وقف الحصان بثبات.

«شاهد»، قال أبي، أخذ مكعب سكر، وضعه في يده وحمله أمام الحصان. أكله الحصان من على كفه. «الآن، أنت جرّب ذلك...».

وضع مكعب السكر في يدي. كان حصاناً ضخماً جداً. «اقترب منه! مُدَّ يدك أمامه!». كنت خائفاً من أن يأكل الحصان يدي. أنزل

Tele: @Arab_Books

الحصان رأسه، استطعت رؤية فتحتَي أنفه، سحب شفتيه إلى الخلف، رأيت اللسان والأسنان، وثم اختفى مكعب السكر. «رأيت، جرب مرة ثانية...». جربت الأمر مرة ثانية. أخذ الحصان مكعب السكر وهز رأسه. «الآن»، قال أبي، «سأرجعك إلى داخل المنزل قبل أن يتغوط الحصان عليك».

لم يكن مسموحاً لي أن ألعب مع الأطفال الآخرين. «إنهم أطفال سيئون»، قال أبي، «آباؤهم فقراء».

«أجل»، وافقت أمي على كلام أبي. والداي أرادا أن يكونا غنيَّين، فتظاهرا أنهما غنيّان.

أول أطفال في نفس عمري عرفتهم كانوا في الروضة. بدوا لي غرباء جداً، كانوا يضحكون ويتحدثون ويبدون سعداء. لم أحبهم. لطالما شعرت أنني كنت سأمرض، أتقيأ، والهواء بدا لي أبيض وهادئاً بصورة غريبة. رسمنا بالألوان المائية. غرسنا حبوب فجل في الحديقة وأسابيع بعدها أكلنا الفجل بالملح. أحببت السيدة التي كانت تعلمنا في الروضة، أحببتها أكثر من والديّ. الذهاب إلى الحمام كانت مشكلتي الوحيدة. كنت أحتاج دائماً أن أذهب إلى الحمام، لكنني كنت أشعر بالخجل من أن أدع الآخرين يعلمون أنني أحتاج إلى الذهاب، لذا حبستها. كان يرهبني جداً أن أحبسها. والهواء كان أبيض، وشعرت أنني سأتقيأ، شعرت أنني سأتغوط وأتبول، لكنني لم أقل أي شيء. وعندما عاد بعض الأطفال الآخرين من الحمام كنت أفكر، أنت قذر، لقد فعلتَ أمراً ما هناك...

الفتيات الصغيرات كنَّ لطيفات بفساتينهن القصيرة، وشعورهنّ الطويلة وعيونهن الجميلة، اعتقدت أنهن مثيرات، إنهن يقمن بفعل أشياء هناك أيضاً، بالرغم من كونهن يتظاهرن بعكس ذلك. الروضة أغلبها كانت هواء أبيض...

Tele: @Arab_Books

المدرسة الابتدائية كانت مختلفة، من الصف الأول إلى الصف السادس، بعض الأطفال كانوا في الثانية عشرة من العمر، وكلنا كنا قادمين من أحياء فقيرة. بدأت في الذهاب إلى الحمام، لكن لأتبول فقط. كنت خارجاً في إحدى المرات عندما رأيت فتى صغيراً يشرب عند صنبور الماء. سار خلفه فتى أكبر منه سناً ودفع وجهه أسفلاً في الصنبور. عندما رفع الفتى الصغير رأسه، بعض من أسنانه كانت مكسورة وسالَ الدم من فمه، كان هنالك دم على صنبور الماء.

«إن أخبرت أحداً عن هذا»، قال له الفتى الكبير، «سأنال منك حقاً!».

أخرج الفتى منديلاً ووضعه على فمه. سرت عائداً إلى الفصل حيث كانت معلمتنا تخبرنا عن جورج واشنطن ومعركة فالي فورج. كانت ترتدي باروكة شعر بيضاء متقنة الصنع. كانت غالباً تضرب كفوف أيادينا بالمسطرة عندما كانت تعتقد أننا لم نكن مطيعين. لا أظن أنها ذهبت إلى الحمام أية مرة. كرهتها.

كل ظهيرة بعد المدرسة كان هناك شجار بين اثنين من الأولاد الكبار. كان ذلك يحدث دائماً خلف السياج حيث لم يتواجد أي معلم. والشجار لم يكن عادلاً في أية مرة. وقع دائماً بين فتى كبير وفتى أصغر والفتى الكبير كان يضرب الفتى الأصغر بقبضاته، فيتراجع هذا الأخير نحو السياج. الفتى الصغير كان يحاول أن يقاوم لكن بلا فائدة. سريعاً ما يصبح وجهه مدمًّى، والدم يسيل على قميصه. الأولاد الصغار تلقّوا الضرب دون التفوّه بأية كلمة، دون أن يتوسّلوا قط، دون أن يطلبوا الرحمة في أية مرة. في النهاية، يتراجع الفتى الكبير وينتهي الأمر، وكل الفتية الآخرين يسيرون عائدين إلى المنزل مع المنتصر. كنت أعود إلى المنزل بسرعة، وحيداً، بعدما قمتُ بحبس غائطي طوال دوام المدرسة وطوال الشجار. أحياناً في الوقت

Tele: @Arab_Books

الذي أصل فيه إلى المنزل أفقد الرغبة في أن أريح نفسي. كنت أصاب بالقلق من جرّاء هذا الأمر.

- ٦ -

لم يكن لديّ أي أصدقاء في المدرسة، لم أكن أريد أياً منهم. شعرت أنني أفضل وأنا وحيد. جلست على المقعد وشاهدت الآخرين يلعبون وكانوا يبدون لي أغبياء. أثناء الغداء في أحد الأيام اقترب مني فتى جديد. كان يرتدي بنطلوناً قصيراً، وكان أحول ويمشي مشية أرجل الحمام. لم يرق لي، لم يكن شكله جميلاً. جلس على المقعد جانبي.

«مرحباً، اسمي ديفيد».

لم أجبه.

فتح علبة غدائه. «لدي سندويتشات زبدة الفستق»، قال، «وأنت ماذا لديك؟».

«سندويتشات زبدة الفستق».

«لدي موز أيضاً. وبعض رقائق البطاطا. هل تريد بعضاً منها؟».

أخذت بعضها. كان لديه الكثير، كانت رقائق مقرمشة ومالحة، التمعت الشمس عبرها. كانت رقائق جيدة.

«أيمكنني أن آخذ المزيد؟».

«طبعاً».

أخذت مزيداً من رقائق البطاطا. حتى أنه كان لديه بعض الهلام على سندويتشات زبدة الفستق. تقطر الهلام وسار على أصابعه. ديفيد لا يبدو أنه لاحظ الأمر.

«أين تسكن؟» سألني.

Tele: @Arab_Books

«طريق فيرجينيا».

«أنا أعيش في بيكفورد. يمكننا أن نسير معاً بعد المدرسة. خذ مزيداً من رقائق البطاطا. من هي معلمتك؟».

«السيدة كولمباين».

«أنا تدرّسني السيدة رييد. سأراك بعد الفصل، يمكننا أن نسير معاً إلى المنزل».

لِمَ ارتدى ذلك البنطلون القصيرِ؟ ماذا كان يريد؟ أنا حقيقةً لم أحبه. أخذت مزيداً من رقائق البطاطا التي بحوزته.

في تلك الظهيرة، بعد المدرسة، وجدني وبدأ يسير بجانبي على الطريق. «لم تقل لي اسمك بعد»، قال.

«هنري»، أجبته.

بينما كنا نسير معاً لاحظت عصابة كاملة من الأولاد، من الصف الأول، يلاحقوننا. في البداية كانوا يبعدون عنا نصف حي، بعدها اقتربوا وأصبحوا يبعدون عنّا عدة ياردات.

«ماذ يريدون؟» سألت ديفيد.

لم يجب، واصل سيره فحسب.

«أنت، الذي يتغوط في بنطلونه!» صاح أحدهم، «أمك تجعلك تتغوط في بنطلونك القصير؟».

«أرجل الحمامة، هو-هو، أرجل الحمامة!».

«أحول! استعد للموت!».

ثم أحاطوا بنا.

«من صديقك؟ هل يقبّل لك مؤخرتك؟».

أمسك أحدهم ديفيد من قبة قميصه ورماه على المرج الأخضر. وقف ديفيد. أحد الأولاد نزل بعده على يديه وركبتيه، الآخر دفعه

Tele: @Arab_Books

فوقع ديفيد على ظهره. فتى آخر قام بدحرجته على الأرض ثم أخذ يفرك وجهه في العشب. بعدها تراجعوا. نهض ديفيد مجدداً. لم يصدر أي صوت لكن الدموع كانت تنهمر على وجهه. أكبر الأولاد تقدم نحو ديفيد. «نحن لا نريدك في مدرستنا، أيها المخنث. ارحل من مدرستنا!» ولكَمَ ديفيد على بطنه. انحنى ديفيد وبينما كان يفعل ذلك، قام الفتى بضرب ديفيد على وجهه بركبته. سقط ديفيد. نزف أنفه.

بعدها أحاط الأولاد بي. «الآن دورك!» ظلوا يحيطون بي أكثر فأكثر وأنا ظللت ألتفت إليهم كل مرة. كان بعضهم دائماً خلفي. هأنا هنا مثقل بالغائط وعليّ أن أقاتل. كنت مذعوراً وهادئاً في الوقت ذاته. لم أفهم دافعهم. ظلوا يحيطون بي وظللت ألتفت إليهم. استمر الأمر هكذا. صرخوا عليّ لكنني لم أسمع ماذا قالوا. في النهاية تراجعوا واتجهوا أسفل الشارع.

ديفيد كان ينتظرني. سرنا على الرصيف إلى منزله في شارع بيكفورد. بعدها بقليل كنا أمام منزله. «عليّ أن أدخل الآن، إلى اللقاء».

«إلى اللقاء، ديفيد».

دخل المنزل، وعندها سمعت صوت أمه. «ديفيد! انظر إلى بنطلونك القصير وقميصك! إنهما ممزقان وملطخان ببقع من العشب! أنت تقوم بفعل ذلك كل يوم! قل لي، لماذا تقوم بفعل ذلك؟».

لم يجب ديفيد.

«سألتك سؤالاً! لماذا تقوم بفعل ذلك لملابسك؟».

«لا يمكنني أن أفعل شيئاً حيال ذلك يا أمي...».

«لا يمكنك فعل شيء؟ أيها الفتى الغبي!».

سمعتُها تضربه. ديفيد بدأ يبكي فقامت بضربه بقوة أكبر. وقفت

Tele: @Arab_Books

أمام الفناء الأمامي واستمعت. بعد فترة توقف الضرب. استطعت سماع صوت بكاء ديفيد. بعدها توقف.

قالت أمه: «الآن، أريدك أن تتمرن على درس الكمان!».

جلستُ أمام المنزل وانتظرت. عندها سمعت صوت الكمان. كان كماناً حزيناً للغاية. لم أحب طريقة عزف ديفيد. جلست واستمعت لبعض الوقت لكن الموسيقى لم تصبح أفضل. الغائط أصبح أكثر صلابة داخلي. لم تعد لدي الرغبة في التحرك. ضوء الظهيرة يؤلم عينيَّ. شعرت أنني سأتقيأ. نهضت وسرت إلى المنزل.

- ٧ -

كانت تحدث شجارات متكررة. المعلمون بدوا أنهم لم يعرفوا أي شيء حول ذلك. وكانت المشاكل تحدث دائماً عندما تمطر. أي فتى يحمل مظلة للمدرسة أو يرتدي معطف المطر كان يقع اختياره. أغلب آبائنا كانوا أفقر من أن يشتروا لنا مثل هذه الأشياء. وعندما كانوا يشترونها لنا، كنا نخفيها في الأشجار الصغيرة أمام المدرسة. من يُشاهَد وهو يحمل مظلة أو يرتدي معطف المطر كان يعتبر مخنثاً. كانوا يضربونه بعد دوام المدرسة. أم ديفيد كانت تجعله يحمل مظلة كلما كانت السماء غائمة بعض الشيء.

كانت هناك فترتان للاستراحة. أولاد الصف الأول يجتمعون في الماسة (الشكل المعين داخل ملعب البيسبول) خاصتهم ويقومون باختيار فرقهم. ديفيد وأنا كنا نقف معاً. الأمر ذاته كل مرة. كان يتم اختياري قبل الأخير، وديفيد يتم اختياره كآخر لاعب، لذا كنا دائماً نلعب في فريقين مختلفين. ديفيد كان أسوأ مني. كونه أحول، لم يكن يستطيع رؤية الكرة. احتجت للكثير من التدريب. لم ألعب في حياتي

Tele: @Arab_Books

مع الأطفال في الحي. لم أعرف كيف أُمسك بالكرة أو كيف أضرب واحدة. لكنني أردت ذلك، أحببت ذلك. ديفيد كان يخاف من الكرة، أنا لم أخف. لوّحت بالمضرب بقوة أكثر من أي شخص آخر لكنني لم أضرب الكرة في أية مرة. كنت دائماً أفشل وأخرج. في إحدى المرات ضربت الكرة لكنها ذهبت إلى الجهة الخطأ من الملعب واعتبرت خطأً. هذا جعلني أشعر بشعور جيد. في مرة ثانية تمكنت من الحصول على قاعدة. عندما وصلت إلى القاعدة الأولى، قال رجل القاعدة الأول، «لن تتقدم أكثر من مكانك هذا».

وقفت ونظرت إليه. كان يمضغ العلكة وكان شعره أسود طويلاً يخرج من فتحتَي أنفه. شعرُ رأسه كان مشبعاً بالفازلين. كان يملك نظرة ازدراء دائمة على وجهه.

«ما الذي تنظر إليه؟» سألني.

لم أعرف ماذا عليّ قوله. لم أكن معتاداً على هذا النوع من المحادثة.

«يقولون إنك مجنون»، قال لي، «لكنك لا تخيفني. سأكون في انتظارك بعد دوام المدرسة يوماً ما».

ظللت أنظر إليه. كان وجهه مريعاً. ثم أخفق الرامي في ضرب الكرة، وفي لحظة خاطرت. جريت كالمجنون وانزلقت على القاعدة الثانية. وصلت الكرة متأخرة. واللمسة كانت متأخرة.

«إلى الخارج!» صرخ الفتى الذي كان دوره ليكون الحكم. نهضت، غير مصدق ذلك.

«قلت لك، إلى الخارج!» صرخ الحكم.

عندها عرفت أنهم لا يتقبلونني. ديفيد وأنا لم نكن مقبولين بينهم. الآخرون أرادوا أن يُخرجوني لأنه من المفترض أن أكون في الخارج. كانوا يعلمون أنني وديفيد صديقان. كان ذلك بسبب ديفيد

Tele: @Arab_Books

كونهم لا يريدونني. بينما كنت أسير خارج المعين وسط الملعب رأيت ديفيد يقف على القاعدة الثالثة مرتدياً بنطلونه القصير. جواربه الطويلة الزرقاء والصفراء سقطت حول قدميه. لماذا اختارني أنا؟ كنت رجلاً مستهدفاً.

في ذلك العصر بعد دوام المدرسة خرجت بسرعة من الفصل وسرت إلى المنزل وحيداً، بدون ديفيد. لم أُرد أن أشاهده يُضرب مرة أخرى على أيدي زملائنا في المدرسة أو على يديّ أمه. لم أُرد أن أسمع صوت كمانه الحزين. لكن في اليوم التالي عند وقت الغذاء، عندما جلس ديفيد بجانبي قمت بأكل رقائق البطاطا خاصته.

أتى يومي. كنت طويلاً وشعرت أنني قوي وأنا أقف على القاعدة الرئيسية. لم أكن أصدق أنني أصبحت شرساً كما كانوا يتمنّونني أن أكون. لوحتُ بالمضرب بجموح لكن بقوة. علمتُ أنني قوي، وربما كما يقولون، «مجنون». لكن كان لديّ هذا الإحساس داخلي أن شيئاً ما حقيقياً هناك. شيئاً ما قاسياً ولعيناً، وربما يكون أكثر من أي شيء كانوا يملكونه.

أتى دوري على المضرب. «انظروا، إنه ملك السترايك أوت! السيد طاحونة!» أتت الكرة. لوّحت بالمضرب وشعرت به يتصل بي كما كنت أريده أن يفعل منذ وقت طويل. حلّقت الكرة عالياً، عالياً وبعيداً، إلى يسار الملعب، بعيداً فوق رأس مُمسك الكرة الأيسر. اسمه دون بروبايكر ووقف هناك يشاهدها تحلق فوق رأسه. كانت تبدو كأنها لن تنزل أبداً. بعدها حاول بروبايكر أن يجري وراء الكرة. أرادَ أن يُخرجني. لن يستطيع ذلك على الاطلاق. هبطت الكرة على المعين وسط ملعب أولاد الصف الخامس حيث كانوا يلعبون.

ركضت ببطء إلى القاعدة الأولى، ضربت كيس القاعدة، نظرت إلى الشخص في القاعدة الأولى، ثم ركضت ببطء إلى القاعدة الثانية،

Tele: @Arab_Books

لمستها، ثم ركضت إلى القاعدة الثالثة حيث كان يقف ديفيد، تجاهلته، لمست القاعدة الثالثة وسرت نحو القاعدة الرئيسية. لم يحدث يوم كهذا من قبل. لم يحدث أن قام فتى من الصف الأول بتسجيل هدف كامل لوحده! بينما كنت أقف على القاعدة الرئيسية سمعت أحد اللاعبين، إريفينغ بون، يقول لكابتن الفريق، ستانلي غرينبرغ، «دعنا نضعه في الفريق الأول». (الفريق الأول هو الفريق الذي يلعب ضد الفرق من المدارس الأخرى).

«لا»، قال ستانلي غرينبرغ.

ستانلي كان محقاً. لم أُسجل هدفاً كاملاً آخر مرة ثانية. خرجتُ أغلب الأحيان. لكنهم تذكروا دائماً ذاك الهدف الكامل الذي سجلته بينما كانوا بل ما زالوا يكرهونني، كانت كراهية من نوع أفضل، مثل أنهم لم يكونو تماماً يعرفون لماذا.

موسم كرة القدم كان أسوأ. لعبنا كرة قدم اللمس(*). لم أستطع أن أُمسك بالكرة أو أرميها لكنني استطعت أن ألعب في مباراة واحدة. عندما اقترب العدّاء مني أمسكته من ياقة قميصه ورميته على الأرض. وعندما كان يهمّ بالنهوض، ركلته. لم أكن أستلطفه. كان هو لاعب القاعدة الأولى بالفازلين في شعره والشعر البارز من فتحتي أنفه. ستانلي غرينبرغ أتى نحونا. كان أكبر فتى بيننا جميعاً. بإمكانه أن يقتلني لو أراد ذلك. لقد كان قائدنا. ما يقوله هو الكلام النهائي والأخير. قال لي:

«أنت لا تفهم القوانين. لا مزيد من كرة القدم بالنسبة لك».

(*) **كرة اللمس**: لعبة قوانينها مثل قوانين لعبة كرة القدم الأمريكية وتختلف في أنه يجب لمس اللاعب ممسك الكرة فقط لا أن يعرقل تماماً لتنتهي جولة اللعب لصالح الفريق الآخر المدافع.

Tele: @Arab_Books

حولوني إلى كرة الطائرة. لعبت كرة الطائرة مع ديفيد والآخرين. لم تكن لعبة جيدة. صاحوا وصرخوا وتحمسوا، لكن الآخرين كانوا يلعبون كرة القدم. أردت لعب كرة القدم. كل ما كنت أحتاج إليه هو بعض التدريب. كرة الطائرة كانت عاراً. البنات يلعبن كرة الطائرة.

بعد مدة أتوقف عن اللعب. أقف فحسب في وسط الملعب حيث لا يلعب أحد. كنت الشخص الوحيد الذي لا يلعب أي شيء. وقفت هناك كل يوم وانتظرت خلال الاستراحتين إلى أن ينتهوا من اللعب.

في أحد الأيام كنت واقفاً هناك، المزيد من المشاكل داهمتني. كرة القدم طارت من ورائي وضربت رأسي. أسقطتني أرضاً. أصابني دوار شديد. وقفوا حولي يسخرون ويضحكون. «أوه، انظروا، هنرى أُغمي عليه! هنري أُغمي عليه كالسيدة! أوه، انظروا إلى هنري!».

نهضت بينما كانت الشمس تدور في السماء. عندها توقفت. السماء اقتربت وتسطحت. كان الأمر كأنك في قفص. وقفوا حولي، وجوه، أنوف، أفواه وعيون. لأنهم كانوا يسخرون مني ظننت أنهم ضربوني بالكرة عمداً. لم يكن ذلك منصفاً.

«من ركل الكرة؟» سألت.

«تريد أن تعرف من ركل الكرة؟».

«أجل».

«ماذا ستفعل إن عرفت من ضرب الكرة؟».

لم أجب.

«بيلي شيريل ضرب الكرة»، قال أحدهم.

بيلي كان فتى ضخماً وبديناً، كان ألطف من أغلبهم، لكنه كان واحداً منهم. بدأت أسير نحو بيلي. وقف بيلي هناك. عندما اقتربت منه كان يُلوح بيديه. لم أشعر بالضربات تقريباً. ضربته تحت أذنه

Tele: @Arab_Books

اليسرى وعندما أمسك بأذنه ضربته على معدته. سقط على الأرض. بقي على الأرض.

«انهض وقاتله يا بيلي»، قال ستانلي غرينبرغ. مسك ستانلي بيلي ودفعه نحوي. لكمت بيلي على فمه فَمَسَكَ فمه بكلتا يديه.

«أوكي»، قال ستانلي، «سآخذ مكانه!».

هتف الأولاد. قررت أن أجري، لم أرد أن أموت. لكن عندها أتى أحد المعلمين. «ما الذي يحدث هنا؟» كان السيد هال.

«هنري اعتدى على بيلي»، قال ستانلي غرينبرغ.

«هل هذا صحيح يا أولاد؟» سأل السيد هال.

«أجل»، قالوا.

أخذني السيد هال وهو يشدّني من أذني إلى مكتب المدير. دفعني إلى كرسي أمام مكتب فارغ ثم طرق على باب مكتب المدير. بقي هناك لمدة من الوقت وعندما خرج ذهب دون أن ينظر إليّ. جلست هناك لخمس أو عشر دقائق قبل أن يخرج المدير ويجلس خلف المكتب. كان رجلاً وقوراً بكتلة من الشعر الأبيض وربطة عنق زرقاء. كان يبدو كرجل محترم حقيقي. كان اسمه السيد نوكس.

طوى السيد نوكس يديه على بعضهما ونظر إليّ دون أن يتكلم. عندما فعل ذلك لم أعد متأكداً من أنه كان رجل محترم. بدا كأنه يريد أن يذلني، أن يعاملني كالآخرين.

«حسناً»، قال أخيراً، «قل لي ما الذي حدث».

«لم يحدث شيء».

«أنت قمت بإيذاء ذلك الفتى، بيلي شيريل. والداه سيرغبان في معرفة السبب».

لم أجب.

Tele: @Arab_Books

«هل تعتقد أنه يمكنك أن تأخذ زمام الأمور بنفسك عندما يحدث شيء ما لا يُعجبك؟».

«لا».

«إذاً لماذا فعلت ما فعلت؟».

لم أجب.

«هل تعتقد أنك أفضل من الآخرين؟».

«لا».

جلس السيد نوكس هناك. كانت لديه فتاحة رسائل وكان يقوم بزحلقتها على البطانة الخضراء للمكتب. كانت لديه أيضاً زجاجة كبيرة من الحبر الأخضر على مكتبه وماسكة أقلام تحوي أربعة أقلام.

تساءلت إن كان سيقوم بضربي.

«إذاً، لماذا فعلت ما فعلت؟».

لم أجب. السيد نوكس زحلق فتاحة الرسائل جيئةً وذهاباً. رنّ الهاتف. أجاب عليه.

«مرحباً؟ أوه، السيدة كيربي؟ هو فعل ماذا؟ ماذا؟ اسمعي، ألا يمكنك أن تُحافظي على النظام؟ أنا مشغول الآن. حسناً، سأهاتفك عندما أنتهي مع هذا...».

أغلق الهاتف. مرر السيد نوكس يده في شعره الأبيض الجميل وسرحه إلى الخلف ونظر إليّ.

«لماذا تسبب لي كل هذه المشاكل؟».

لم أجبه.

«تظن أنك قوي، أليس كذلك؟».

ظللت صامتاً.

«فتى قوي، هاه؟».

كانت هناك ذبابة تدور حول مكتب السيد نوكس. حامت الذبابة

Tele: @Arab_Books

فوق زجاجة الحبر الأخضر. بعدها حطت على الغطاء الأسود للزجاجة وجلست هنالك تحك أجنحتها.

«حسناً يا فتى، أنت قوي، وأنا قوي. دعنا نتصافح على ذلك».

لم أكن أظن أنني قوي لذا لم أُعطه يدي.

«هيا، أعطني يدك».

مددت يدي له، أخذها وصافحني وبدأ يهزها. ثم توقف عن هزها ونظر إليّ. كانت لديه عينان زرقاوان صافيتان، حدة زرقتهما أفتح من ربطة عنقه الزرقاء. عيناه كانتا شبه جميلتين. استمر في النظر إليّ وممسكاً بيدى. قبضته أصبحت أشد.

«أريد أن أُهنئك على كونك فتى قوياً».

قبضتُه أصبحت أشدّ.

«هل تعتقد أنني شخص قوي؟».

لم أجب.

قام بسحق عظام أصابعي. كنت أستطيع أن أشعر بعظم كل إصبع يقطع مثل النصل في لحم الإصبع المجاور له. ومضات حمراء ظهرت أمام عينيّ.

«هل تعتقد أنني شخص قوي؟» سأل.

«سأقتلك»، قلت.

«ماذا ستفعل؟».

ضغط السيد نوكس قبضته أكثر. كان يملك يداً مثل الملزمة الحديدية. استطعت رؤية كل المسام في وجهه.

«الأشخاص الأقوياء لا يصرخون، أليس كذلك؟» لم أستطع النظر إلى وجهه أكثر. وضعت رأسي أسفل المكتب.

«هل أنا شخص قوي؟» سأل السيد نوكس.

عصر بقوة أكبر. كرهت أن أقولها. ثم قلتها، «أجل!».

Tele: @Arab_Books

ترك السيد نوكس يدي. كنت خائفاً من النظر إليها. تركتها تتدلى بجانبي. لاحظت أن الذبابة اختفت وفكرت، ليس الأمر سيئاً كثيراً أن تكون ذبابة. السيد نوكس كان يكتب على قطعة من الورق.

«الآن، هنري، أنا أكتب رسالة قصيرة لوالديك وأريدك أن تُسلمها لهم. وأنت ستُسلمها لهم، أليس كذلك؟».

«أجل».

طوى الرسالة القصيرة في ظرف وأعطاها لي. الظرف كان مغلقاً ولم تكن عندي أي رغبة لفتحه.

- ٨ -

أخذت الظرف إلى المنزل وأعطيته لأمي ثم ذهبت إلى غرفة النوم. غرفة نومي. أفضل شيء في غرفة النوم هو السرير. أحببت أن أبقى في السرير لساعات، حتى خلال النهار مع الأغطية التي تغطيني إلى حد ذقني. كان الأمر جيداً هناك، لا شيء يحدث هناك، لا ناس، لا شيء. أمي كانت في الغالب تجدني في السرير أثناء النهار.

«هنري، انهض! ليس جيداً لفتى صغير أن يبقى في السرير طوال النهار! الآن، انهض! افعل شيئاً!».

لكن لم يكن يوجد أي شيء لفعله. لم أذهب إلى السرير ذلك اليوم. أمي كانت تقرأ الرسالة. بعد قليل سمعتها تبكي. بعدها بدأت تندب. «أوه، يا إلهي! لقد جلبت العار لوالدك ولي! إنه عار! ماذا لو علم الجيران؟ ماذا سيظنون؟».

لم يتحدثا قط مع الجيران. عندها فُتح الباب وأمي دخلت مسرعة إلى الغرفة: «كيف أمكنك أن تفعل هذا بأمك؟».

كانت الدموع تنهمر على وجهها. شعرتُ بالذنب.

Tele: @Arab_Books

«انتظر حتى يعود والدك إلى المنزل!».

أغلقت أمي باب غرفة النوم بقوة وأنا جلست على الكرسي وانتظرت. بطريقة ما شعرت أنني مذنب...

سمعت صوت دخول أبي. كان دائماً ما يغلق الباب بقوة، ويدخل بثقل، ويتكلم بصوت عالٍ. أبي في المنزل. بعد لحظات قليلة فُتح باب غرفة نومي. كان طوله ستة أقدام وإنشين. رجل ضخم. كل شيء تلاشى، الكرسي الذي أجلس عليه، وورق الحائط، كل أفكاري. كان في الظلمة يحجب الشمس، عنفه كان يجعل كل شيء يختفي بالكامل. كان كله عبارة عن أذن، أنف، فم، لم أستطع النظر إلى عينيه، لم يكن إلا وجهه الأحمر الغاضب.

«حسناً يا هنري. إلى الحمام».

دخلتُ إلى الحمام فأغلق الباب عليَّ. الحيطان كانت بيضاء. كانت توجد مرآة في الحمام ونافذة صغيرة، حاجب النافذة كان أسود ومكسوراً. كان هناك حوض الغسيل والمرحاض والبلاط. مد يده وأنزل المشحذ الجلدي لموسى الحلاقة المعلق في العلاق الصغير على الحائط. كانت هذه ستكون المرة الأولى من عدة مرات من المعاناة، التي ستتكرر أكثر فأكثر في أغلب الأحيان. دائماً، كنت أشعر، أنها تحدث دون أي سبب حقيقي.

«حسناً، أنزل سروالك».

أنزلت سروالي.

«أنزل سروالك الداخلي».

أنزلته.

عندها بدأ يجلدني بالمشحذ. أول ضربة أوقعت فيّ الصدمة أكثر من الألم. الثانية آلمتني أكثر. كل ضربة لاحقة زادت الألم. في البداية كنت واعياً لوجود الحيطان، المرحاض، الحوض. في النهاية

Tele: @Arab_Books

لم أعد أرى أي شيء. بينما كان يضربني، شتمني، لم أستطع فهم كلماته. فكرت بأزهاره، كيف كان يزرع الأزهار في الفناء. فكرت بسيارته في المرآب. حاولت ألا أصرخ. كنت أعلم أنني إن صرخت فلعلّه كان سيتوقف. لكنني وأنا أعرف ذلك، رغبته في أن يراني أصرخ، منعني من ذلك.

انهمرت الدموع من عينيّ بينما ظللت صامتاً. بعد مدة تحول الأمر إلى دوامة، فوضى، ولم يكن سوى الاحتمال القاتل في البقاء هنا إلى الأبد. أخيراً، كشيء ما بدأ يعمل، بدأتُ أبكي، مبتلعاً ومختنقاً بالوحل المالح الذي جرى أسفل حلقي. ثم توقف.

لم يعد موجوداً هناك. بدأت مجدداً أُدرك النافذة الصغيرة والمرآة. كان المشحذ الجلدي معلقاً على الكلاّب، طويلاً وبنياً ومعقوداً وملتوياً. لم أستطع الانحناء إلى أسفل لأرفع سروالي أو سروالي الداخلي وسرتُ نحو الباب بغرابة، ملابسي حول قدميّ. فتحت باب الحمام وهناك وجدت أمي تقف في الردهة.

«لم يكن ذلك صائباً»، قلت لها. «لماذا لم تساعديني؟».

«الوالد»، قالت، «دائماً على صواب». ثم ذهبت أمي.

سرت إلى غرفة نومي، وأنا أسحب ملابسي حول قدميّ، وجلست على طرف السرير. الفراش آلمني. في الخارج، من خلال حاجب نافذة غرفتي الخلفية استطعت رؤية أزهار أبي وهي تنمو. كانت أزهاراً حمراء وبيضاء وصفراء، كبيرة ومزهرة. الشمس كانت تغرب ولكنها لم تغرب بالكامل بعد، وما تبقى من أشعتها تسلل خلال النافذة الخلفية. شعرت بأنّه حتى الشمس كان يملكها أبي، وأنني لم أكن أملك الحق فيها لأنها تُشع على منزل أبي. أنا كنت مثل أزهاره: شيء ما يمتلكه ولا أمتلكه...

Tele: @Arab_Books

مع الوقت الذي استدعوني فيه للعشاء، كنتُ قادراً على رفع ملابسي والسير نحو طاولة الإفطار الصغيرة حيث كنا نأكل جميع وجباتنا ماعدا يوم الأحد. كانت هناك وسادتان فوق كرسيّ. جلست عليهما لكن ساقيّ ومؤخرتي كانتا ما تزالان تحرقانني. أبي كان يتحدث عن وظيفته، مثلما كان يفعل دائماً.

«أخبرت سوليفان أن يدمج ثلاثة مسارات في مسارَين ويسرّح رجلاً واحداً من كل مناوبة. لا أحد حقيقةً يقوم بعمله على أكمل وجه هناك...».

«عليهم أن يصغوا إليك دادي»، قالت أمي.

«من فضلكم»، قلت، «من فضلكم اعذروني فأنا لا أشعر بأي رغبة في الأكل...».

«ستتناول طعامك!» قال أبي، «أمك حضرت هذا الطعام!».

«أجل»، قالت أمي، «الجزر والبازلاء ولحم البقر المشوي».

«والبطاطا المهروسة ومرق اللحم»، قال أبي.

«أنا لست جائعاً».

«ستأكل كل جزرة، وكل حبة بول(*) في صحنك!» قال أبي.

كان يحاول أن يكون مضحكاً. هذه كانت واحدة من تعليقاته المفضلة.

«دادي!» قالت أمي مصدومة وغير مصدقة.

بدأتُ آكل. كان الأمر مروعاً. شعرتُ أنني آكلهما، ما كان يعتقدان به، ما كانا عليه. لم أمضغ، بلعت كل شيء لأتخلص منه.

(*) لفظا كلمة بول (Pee) وكلمة بازلاء (Pea) متشابهان في النطق في اللغة الإنجليزية.

Tele: @Arab_Books

أثناء ذلك، تحدّث أبي عن كيف كان الطعام لذيذاً، كيف كنا محظوظين بتناول طعام جيد بينما أغلب الناس في العالم، وفي أمريكا حتى، فقراء ويتضورون جوعاً.

«ما طبق التحلية يا ماما؟» سأل أبي.

وجهه كان مفزعاً، شفتاه مندفعتان للأمام، متشحمتان ومبللتان باللذة. تصرف كأن لا شيء حدث، كأنه لم يقم بضربي. عندما عدت إلى غرفة نومي فكرت، أن هؤلاء الأشخاص ليسوا والديّ، وأنهما تبنياني لا بدّ، والآن هم غير سعداء بما أصبحت عليه.

- ١٠ -

ليلا جاين كانت فتاة تقطن في المنزل المجاور. لم يكن بعد مسموحاً لي أن ألعب مع الأطفال في الحي، لكن الجلوس في غرفة النوم أصبح مملاً. كنت أخرج وأسير في الفناء الخلفي، أنظر إلى الأشياء، إلى الحشرات في أغلب الأحيان. أو كنت أجلس على العشب وأتخيل الأشياء. أحد الأشياء التي تخيلتها أنني أصبحت لاعب بيسبول رائعاً، رائعاً جداً لحد أنني ضربت الكرة في كل مرة، أو سجلت هدفاً كاملاً في كل مرة أردت فيها ذلك. لكنني تعمدت أن أُخرج الكرة وأخطئ وذلك لخداع الفريق الآخر. نفذت بضرباتي عندما شعرت بالرغبة في ذلك. في أحد المواسم، في تموز، كنت أضرب فقط. ١٣٩ ضربة بنقطة واحدة كاملة فقط. قُضي على هنري تشيناسكي! قالوا في الجرائد. عندها بدأت أضرب. وأيّ ضربات! في إحدى المرات سمحت لنفسي أن أُسجل ١٦ نقطة كاملة على التوالي. وفي مرة أخرى سجلتُ ٢٤ نقطة كاملة في مباراة واحدة. في نهاية الموسم كنت قد ضربت ٥٢٣ مرة.

Tele: @Arab_Books

ليلا جاين كانت من أجمل الفتيات اللاتي رأيتهن في المدرسة. كانت إحدى ألطفهن، وكانت تعيش في المنزل المجاور. في أحد الأيام عندما كنت في الساحة تقدمت نحوي إلى السياج ووقفت هناك تنظر إليّ.

«أنت لا تلعب مع الأولاد الآخرين، أليس كذلك؟».

نظرت إليها. كانت ذات شعر أحمر بني طويل وعينين بنيتين غامقتين.

«لا»، قلت، «لا ألعب معهم».

«لماذ؟» قالت.

«لأنني أراهم كفاية في المدرسة».

«أنا ليلا جاين». قالت.

«أنا هنري».

ظلت تنظر إليّ وأنا جلست هناك على العشب أنظر إليها. ثم قالت، «هل تريد رؤية سروالي الداخلي؟».

«بالطبع»، قلت.

رفعت فستانها. كان سروالها الداخلي وردياً ونظيفاً. بدا رائعاً. ظلت ترفع فستانها وثم التفَّت لكي أتمكن من رؤية مؤخرتها. مؤخرتها بدت لطيفة. بعدها أنزلت فستانها. «إلى اللقاء»، قالت وسارت بعيداً.

«إلى اللقاء»، قلت.

حدث الأمر ذاته كل ظهيرة. «هل تريد رؤية سروالي الداخلي؟»
- «بالطبع».

سروالها الداخلي كان تقريباً دائماً بلون مختلف وفي كل مرة يبدو أفضل أكثر.

في ظهيرة أحد الأيام بعدما أرتني ليلا سروالها الداخلي قلت: «لنتمشّ قليلاً».

Tele: @Arab_Books

«حسناً»، قالت.

قابلتها أمام المدرسة وسرنا معاً في الشارع. كانت جميلة جداً. سرنا معاً دون أن نقول أي شيء إلى أن وصلنا إلى مكان شاغر. الأعشاب كانت خضراء وطويلة.

«لنذهب إلى ذلك المكان الشاغر»، قلت.

«حسناً»، قالت ليلا جاين.

سرنا نحو الأعشاب الطويلة.

«أريني سروالك الداخلي مجدداً».

رفعت فستانها. سروال داخلي أزرق.

«لنتمدد هنا»، قلت.

استلقينا على الأعشاب وأمسكتها من شعرها وقبّلتها. ثم رفعت فستانها إلى أعلى ونظرت إلى سروالها الداخلي. وضعت يدي على مؤخرتها وقبّلتها مرة ثانية. ظللت أُقبلها ممسكاً بمؤخرتها. فعلت هذا الأمر لمدة طويلة. ثم قلت، «لنفعلها». لم أكن أعرف ما الذي يمكن أن نفعله لكنني شعرت أن هناك أكثر من هذا.

«لا، لا أستطيع»، قالت.

«لِمَ لا؟».

«أولئك الرجال سيشاهدون».

«أي رجال؟».

«هناك!» أشارت.

نظرتُ بين الأعشاب. ربما يبعدون مسافة نصف حي عنا، هنالك بعض من الرجال يعملون على صيانة الشارع.

«لا يمكنهم رؤيتنا!».

«بلى، يمكنهم!».

Tele: @Arab_Books

نهضت. «اللعنة!» قلت وسرت بعيداً عن المكان الشاغر ورجعت إلى المنزل.

لم أر ليلا جاين لعدّة ظهيرات. لم يهم الأمر. كان هناك موسم كرة القدم وكنت أنا في خيالي لاعب خلف وسط رائعاً. كان بإمكاني أن أرمي الكرة لـ ٩٠ ياردة وأركلها لـ ٨٠ ياردة. لكننا نادراً ما كنا نركل الكرة، ليس عندما كنت أحملها أنا. كنت الأفضل في الركض بين الرجال الكبار. سحقتهم. لزم الأمر خمسة أو ستة لعرقلتي وإسقاطي أرضاً. في بعض الأحيان مثل كرة السلة، شعرت بالأسف من أجل الجميع فسمحت لنفسي أن أسقط بعد كسب ٨ أو ١٠ ياردات. ومن ثم كنت أصاب غالباً، إصابة بليغة، وكانوا يحملونني خارج الملعب. فريقي كان يتأخر بعدما أخرج، قل ٤٠ لـ ١٧، وفي الـ ٣ أو ٤ دقائق المتبقّية على نهاية المباراة أعود، غاضباً لأنني أُصبت. في كل مرة أحصل فيها على الكرة أركض إلى خط الهدف وأحرز هدفاً. كيف كانت الجماهير تصرخ! وفي الدفاع كنت أقوم بجميع العرقلات والسقطات، وأعترض كل تمريرة. كنت في كل مكان. تشيناسكي، الغاضب! على وشك النهاية، ألتقط الكرة من نهاية جهة فريقي من الملعب. أركض إلى الأمام، إلى الجوانب، إلى الخلف. أتغلب على عرقلة وراء عرقلة، أقفز فوق المدافعين الذين يسقطون أمامي. لا يحاول أحد إيقافي. لاعبو فريقي كانوا مجموعة من المخنثين. أخيراً، خمسة رجال يمسكون بي وأرفض السقوط، فأجرّهم معي إلى خط الهدف وأُسجل هدف الفوز.

في ظهيرة أحد الأيام دخل فتى ضخم دخل فناء المنزل خلال البوابة الخلفية. سار نحوي ووقف ينظر إليّ. كان أكبر مني بسنة أو أكثر ولم يكن من نفس مدرستي. «أنا من مدرسة مارمونت الابتدائية»، قال.

Tele: @Arab_Books

«من الأفضل أن ترحل من هنا»، قلت له. «أبي سيعود إلى المنزل قريباً».

«هل هذا صحيح؟» سأل.

وقفتُ. «ماذا تفعل هنا؟».

«لقد سمعت أنكم أولاد مدرسة ديلسي الابتدائية أقوياء».

«أجل نحن نفوز في جميع المسابقات».

«هذا لأنكم تغشون! نحن لا نغش في مارمونت!».

كان يرتدي قيمصاً أزرق، نصف أزراره مفكوكة. كان يضع سواراً جلدياً بمعصمه الأيسر.

«تظن أنك قوي؟» سألني.

«لا».

«ماذا لديك هناك في المرآب؟ أعتقد أنني سآخذ شيئاً من مرآبك».

«لا تدخل إلى هناك».

فتح باب المرآب ومر بجانبي. لم يكن يوجد الكثير هناك. وجد كرة شاطئ فارغة من الهواء، فحملها.

«أعتقد أنني سآخذ هذه».

«ضعها من يدك».

«سأضعها في حلقك!» قال وقذفها على رأسي. تجنبتها. خرج من المرآب واتجه نحوي. تراجعت.

تبعني إلى الفناء. «الغشاشون لا خير فيهم!» قال. حاول أن يلكمني. تفاديت اللكمة. شعرت بالريح الصادرة من لكمته. أغلقت عينيّ، اندفعت نحوه وبدأت بلكمه. كنت أضرب شيئاً. في بعض المرات، كنت أشعر بضرباته لكنني لم أتألم. كنت خائفاً على الأغلب. لم يكن هناك شيء نفعله سوى الاستمرار في اللكم.

Tele: @Arab_Books

عندها سمعت صوتاً: «توقف!» كانت ليلا جاين. كانت في فنائي الخلفي.

توقف كلانا عن العراك. أخذت علبة صفيح قديمة وألقتها. أصابت العلبة الفتى من مدرسة مارمونت في وسط جبهته وارتدّت. وقف للحظة هناك ثم هرب، وهو يبكي ويصرخ، فتى كبير مثله يبكي بمثل هذه الطريقة. في ديلسي كنا نملك قانوناً خاصاً بنا. نحن لا نصدر أي صوت أبداً. حتى المخنثون تقبّلوا ضربهم بصمت. أولئك الأولاد من مارمونت لا يساوون كثيراً.

«لم يكن عليك مساعدتي»، قلتُ لليلا جاين.

«كان يقوم بضربك!».

«لم يكن يؤذيني».

ليلا جاين أسرعت خارجةً من الفناء، من البوابة الخلفية، إلى فناء منزلها ومن ثم إلى منزلها.

ليلا جاين ما زالت معجبة بي، فكرت.

- ١١ -

خلال الصف الثاني والثالث لم أحصل على فرصة للعب البيسبول لكنني علمت بطريقة ما أنني أتطور لأصبح لاعباً. لو حصلتُ مرة ثانية على المضرب بين يدي كنت أعلم أنني سأضرب الكرة إلى ما بعد مبنى المدرسة.

في أحد الأيام كنت أقف حول المكان فتقدم نحوي أحد المدرسين.

«ماذا تفعل؟».

«لا شيء».

Tele: @Arab_Books

«هذا تمرين رياضي، عليك أن تشارك، هل أنت معاق؟».

«ماذا؟».

«هل هناك خطب ما فيك؟».

«لا أعرف».

«تعالَ معي».

سار بي نحو المجموعة. كانوا يلعبون كرة الركل. كرة الركل كانت مثل البيسبول بيد أنهم كانوا يستعملون كرة القدم. الضارب دحرج الكرة فوق القاعدة الرئيسية وركلها. لو طارت بعيداً عن الملعب أو أمسكها أحدهم تخرج. لو تدحرجت على الملعب أو ركلتها عالياً بين اللاعبين ولم يمسكها أحد أخذت عدد القواعد التي أمكنك أخذها.

«ما اسمك؟» سألني المعلم.

«هنري».

سار نحو مجموعة الأولاد. «الآن»، قال، «هنري سيلعب كمتصدٍ للكرات القصيرة».

كانوا من المرحلة الصفيّة نفسها. عرفني الجميع. متصدي الكرات القصيرة كان أصعب موقع. خرجت هناك. كنت أعلم أنهم سيلتفون حولي.

دحرج الرامي الكرة ببطء شديد وركلها الفتى الأول بقوة نحوي. ضربتني بقوة، عالياً في صدري، لكن لا مشكلة. الكرة كانت كبيرة لكنني مددت يدي وأمسكتها. رميت الكرة إلى الرامي. الفتى التالي فعل الشيء ذاته. كانت كرة أعلى هذه المرة. وأسرع بقليل. لا مشكلة. ثم سار ستانلي غرينبرغ إلى القاعدة الرئيسية. انتهى الأمر. نفد حظي. الرامي دحرج الكرة وستانلي ركلها. أتت نحوي كقذيفة مدفع، عالياً نحو الرأس. أردت تفاديها لكنني لم أستطع. الكرة

Tele: @Arab_Books

هشمت يدي لكنني أمسكتها. أخذت الكرة ودحرجتها إلى التلة التي يقف عليها الرامي. ثلاثة خرجوا. هرولت إلى الخط الجانبي. بينما كنت أفعل ذلك، مرَّ أحد الفتية بجانبي وقال: «تشيناسكي، المتصدي اللعين العظيم!».

كان الفتى نفسه الذي مسح شعره بالفازلين والذي امتلك الشعر الأسود الطويل البارز من فتحتيّ أنفه. التفتُّ نحوه. «أنت!» قلت. توقّف. حدّقت فيه، «لا تقل لي أي شيء مرة ثانية!». رأيت الخوف في عينيه. سار نحو موقعه في الملعب وأنا ذهبت لأتكأ على السياج بينما كان فريقنا مجتمعاً حول القاعدة الرئيسية. لم يقف أيّ منهم. وقف بجانبي لكنني لم أهتم. بدأت أؤسس شهرتي.

كان الأمر عصياً على الفهم. كنا أطفالاً في أفقر مدرسة، ولنا أفقر الأباء وأقلّهم تعليماً، عاش أغلبنا على طعام فظيع، وبالرغم من ذلك، كنّا، فتى فتى، أكبر حجماً من كل فتية المدارس الابتدائية الأخرى في المدينة. مدرستنا كانت مشهورة. كانوا يهابوننا.

فريق صفنا السادس هزمَ كل فرق الصف السادس في المدينة بشكل رهيب. وخاصةً في البيسبول. النتائج كانت مثل ١٤ إلى ١، ٢٤ إلى ٣، ١٩ إلى ٢. استطعنا فقط ضرب الكرة.

في أحد الأيام تحدّانا بطل فريق إعدادية سيتي تشامبيون، ميراندا بيل، بطريقة ما استطاعت مدرستنا تجميع المال وأعطوا كل لاعب من لاعبينا قبعة زرقاء كُتب على مقدّمتها حرف (D) أبيض. بدا فريقنا جيداً بتلك القبعات. عندما قدمَ أولاد فريق ميراندا بيل، أبطال الصف السابع، نظر إليهم أولاد الصف السادس بمدرستنا وضحكوا. كنا أكبر، بدونا أكثر قوة وشراسة، وسرنا بطريقة مختلفة، كنا نعرف شيئاً لم يكونوا يعرفونه. نحن الأولاد الأصغر سناً ضحكنا أيضاً. عرفنا أننا وضعناهم في المكان الذي نريده.

Tele: @Arab_Books

أولاد ميراندا بيل بدوا أكثر أدباً. كانوا هادئين. الرامي عندهم كان أكبر لاعبيهم حجماً. أخرج أول ثلاث ضاربين في فريقنا، بعض من أحسن الضاربين عندنا. لكننا كنا نملك لووبول جونسون. لووبول فعل الأمر ذاته لهم. استمرت المباراة هكذا، كلا الطرفين يخرجان الضاربين، أو تحدث بعض الضربات القصيرة جداً وغير المهمة، ولا شيء أكثر. ثم كنا على المضرب في نهاية الجولة السابعة. بيفكايك كاباليتي ضرب واحدة. يا إلهي! كان يمكنك سماع الضربة! الكرة بدت كأنها ستضرب مبنى المدرسة وتكسر إحدى النوافذ. لم أر قط كرة تطير مثل هذه! ضربت الكرة عمود العلم بجانب قمة المدرسة وارتدت. هدف نظيف سهل. كاباليتي دار دورته على القواعد ولاعبونا بدوا جيدين في قبعاتهم الزرقاء الجديدة بالحرف الأبيض (D).

استسلم لاعبو ميراندا بعد الضربة. لم يعرفوا كيف يمكنهم العودة بعدها في المباراة. كانوا قد أتوا من مقاطعة غنيّة، لم يعرفوا معنى القتال. لاعبنا التالي ضاعف النتيجة. كيف، صرخنا! لقد انتهى الأمر. لا يمكنهم عمل شيء. الضارب الثالث ضاعف النتيجة ثلاث مرات. غيروا الرامي. أخرج الضارب التالي. لكن الضارب التالي استطاع ضرب الكرة. قبل نهاية الجولة كنا قد أحرزنا ٩ أهداف كاملة.

لم يحصل فريق ميراندا على فرصة ليضربوا أية كرة في الجولة الثامنة. أولاد الفصل الخامس في مدرستنا تحدوهم في مشاجرة. حتى أن أحد أولاد الفصل الرابع عدا باتجاههم وتشاجر مع واحد منهم. لاعبوا ميراندا أخذوا معداتهم ورحلوا. ركضنا خلفهم، على طول الشارع. لم يتبق شيء لنفعله، لذا تشاجر اثنان من أولاد مدرستنا. كان شجاراً جيداً. كلاهما نزف من أنفه، لكنهما كانا لا

Tele: @Arab_Books

يزالان يلكمان جيداً عندما أتى أحد المعلمين وفضّ الشجار. لم يكن يعلم أنه كان على مقربة جداً من أن يتعرض حتى هو للضرب.

- ١٢ -

في إحدى الليالي اصطحبني أبي إلى جولته المعتادة في عمله بتوزيع الحليب. لم تعد هناك أي عربات تجرها أحصنة. عربات الحليب أصبحت الآن تملك محركات. بعدما حمّلنا العربة في شركة الحليب قدنا السيارة في مسار عمله المعتاد. أحببت أن أكون في الخارج في الصباح الباكر. القمر كان هناك في السماء وأنا كان باستطاعتي رؤية النجوم. كان الجو بارداً لكن مثيراً. تساءلت عن طلب أبي مني بالذهاب معه حيث إنه كان يضربني بالمشحذ الجلدي مرة أو مرتين كل أسبوع ولم تكن علاقتنا جيدة.

في كل مكان توقفنا فيه كان أبي يقفز من السيارة ويُسلم زجاجة أو زجاجتين من الحليب. في بعض الأحيان جبناً أبيض أو لبناً أو زبدة ومن ثم زجاجة عصير برتقال. معظم الناس كانوا يتركون أوراق ملاحظات عما يريدون على الزجاجات الفارغة.

قاد أبي السيارة، وكان يتوقف من حين إلى آخر ويبدأ في تسليم البضاعة. «أوكي يا صغير، في أي اتجاه نحن نسير الآن؟».

«الشمال».

«أنت محق. نحن نتجه شمالاً».

أكملنا طريقنا على الشوارع، وواصلنا التوقف والتسليم.

«أوكي، إلى أي اتجاه نحن نذهب الآن؟».

«الغرب».

«لا، نحن نتجه جنوباً».

Tele: @Arab_Books

قدنا السيارة على طول الطريق في هدوء.

«لنفرض مثلاً أنني دفعتك من الشاحنة الآن وتركتك على الرصيف، ماذا ستفعل؟».

«لا أعرف».

«أعني، كيف ستعيش؟».

«حسناً، أظن أنني سأعود وأشرب الحليب وعصير البرتقال الذي تركته على دَرجات المنازل».

«وبعدها ماذا ستفعل؟».

«سأجد شرطياً وأقول له ماذا فعلت».

«حقاً ستفعل ذلك يا شجاع؟ وماذا ستقول له؟».

«سأقول له إنك قلت لي إن الغرب هو الجنوب لأنك أردتني أن أضيع».

بدأ يُضيء النهار. سلمنا كل شيء تقريباً، ومن بعدها توقفنا في مقهى لتناول الفطور. تقدمت منا النادلة. «مرحباً، هنري»، قالت لأبي.

«مرحباً، بيتي».

«من الفتى؟» سألت بيتي.

«هذا هنري الصغير».

«إنه يبدو مثلك تماماً».

«لا يملك عقلي، على العموم».

«أتمنى ذلك».

ثم طلبنا البيض ولحم الخنزير المقدد. وبينما كنا نأكل، قال أبي، «الآن يأتي الجزء الأصعب».

«ما هو؟».

Tele: @Arab_Books

«عليّ أن أجمع المال من الناس الذين يدينون لي، بعضهم لا يريد أن يدفع».

«من واجبهم أن يدفعوا».

«هذا ما أقوله لهم».

أكملنا الأكل وبدأنا نقود مجدداً. خرج أبي من السيارة، وطرق على الأبواب. كنت أستطيع سماعه يشتكي بصوت عالٍ:

«كيف بحق الجحيم تعتقد أنني سآكل؟ لقد مصصتَ الحليب والآن حان الوقت لك لتتغوط النقود!».

استعمل جملة مختلفة كل مرة. في بعض المرات كان يعود ومعه المال، وفي بعض المرات لا.

عندها رأيته يدخل باحة فيها مجموعة من المنازل ذات الطابق الواحد. فُتح أحد الأبواب ووقفت امرأة هناك ترتدي فستان كيمونو(*) حريرياً. كانت تدخن سيجارة.

«اسمعي يا عزيزتي، عليّ أن أتحصل على المال، أنت تدينين لي بالمال أكثر من أي شخص آخر!».

ضحكت عليه.

«اسمعي يا عزيزتي، أعطيني فقط نصف المال، أعطيني دفعة، شيء ما لأريهم».

نفثت المرأة حلقة من الدخان، مدت يدها نحوها وشَقّتها بإصبعها.

«اسمعي، عليكِ أن تدفعي لي»، قال أبي. «الأمر عاجل وملح جداً».

«تعالَ، ادخل. سنتكلم في الأمر»، قالت المرأة.

(*) كيمونو: الثوب الواسع التقليدي في اليابان.

Tele: @Arab_Books

دخل أبي إلى المنزل وأغلق الباب. بقي في الداخل لمدة طويلة. ظهرت الشمس بشكل واضح جداً. عندما خرج أبي، كان شعره يتدلى على وجهه وكانت يقوم بإدخال قميصه في سرواله. صعد إلى الشاحنة.

«هل دفعت لك المرأة المال؟» سألتُ.

«هذه كانت محطتنا الأخيرة»، قال أبي، «لا أستطيع تحمّل الأمر أكثر من ذلك، سنعيد الشاحنة ونعود إلى المنزل...».

سأرى هذه المرأة مرة ثانية. في أحد الأيام عدت إلى المنزل بعد المدرسة ووجدتها جالسة على كرسي في الغرفة الأمامية في منزلنا. أمي وأبي كانا جالسين هناك أيضاً وأمي كانت تبكي. عندما رأتني أمي وقفت وركضت نحوي، وأمسكتني. أخذتني إلى غرفة النوم وأجلستني على السرير. «هنري، هل تحب أمك؟». لم أكن أحبها حقيقةً لكنها بدت حزينة جداً فقلت لها، «أجل». أخذتني مجدداً إلى الغرفة الأخرى.

«أبوك يقول إنه يحب هذه المرأة»، قالت لي.

«أنا أحب كليكما! الآن أخرجي الفتى من هنا!».

شعرت أن أبي كان يجعل أمي تشعر بالحزن الشديد.

«سأقتلك»، قلت لأبي.

«أخرجي الفتى من هنا!».

«كيف يمكنك أن تحب هذه المرأة؟» سألتُ أبي، «انظر إلى أنفها. لديها أنف كالفيل!».

«يا إلهي!» قالت المرأة، «لست مجبرة على تحمّل كل هذا!» نظرتْ إلى أبي. «اختر يا هنري! أنا أو هي! الآن!».

«لكنني لا أستطيع! أحب كليكما!».

«سأقتلك!» قلت لأبي. بعدها سار نحوي وصفعني على أذني،

وأسقطني على الأرض. نهضت المرأة وركضت إلى خارج المنزل، ذهب أبي خلفها. قفزت المرأة إلى سيارة أبي، حرّكتها، وقادتها بعيداً أسفل الشارع. كل شيء حدث بسرعة. ركض أبي أسفل الشارع خلفها وخلف السيارة. «إدنا! إدنا، عودي إلى هنا!».

استطاع أبي اللحاق بالسيارة، مد يده إلى المقعد الأمامي وأمسك بحقيبة إدنا. ثم أسرعت السيارة وتُرك أبي هناك واقفاً يحمل الحقيبة.

«كنت أعرف أن شيئا ما كان يحدث»، قالت لي أمي، «لذلك اختبئت في صندوق السيارة وأمسكت بهما. قادني أبوك إلى هنا ومعه تلك المرأة الفظيعة. الآن أخذت هي سيارته».

عاد أبي وهو يحمل حقيبة إدنا. «الجميع إلى المنزل!» دخلنا المنزل، وحجزني أبي في غرفة نومي وبدأ أبي وأمي يتشاجران. كان صوتهما عالياً وبشعاً للغاية. ثم بدأ أبي يضرب أمي. صرخت أمي، بينما كان هو يستمر بضربها. تسلقت النافذة وخرجت وحاولت أن أدخل من الباب الأمامي. كان مقفلاً. جربت أن أدخل من خلال الباب الخلفي، النوافذ. كل شيء كان مقفلاً. وقفت في الفناء الخلفي واستمعت للصراخ والضرب.

ثم توقف الضرب والصراخ وكل ما استطعت سماعه هو صوت بكاء أمي. بكت لوقت طويل. وتدريجياً انخفض صوت بكاء أمي أكثر فأكثر إلى أن توقف تماماً.

- ١٣ -

كنت في الصف الرابع عندما اكتشفتُ الأمر. كنت بالأحرى من ضمن آخر من عرفوا عنه، لأنني لم أكن أتحدث إلى أي أحد بعد.

Tele: @Arab_Books

سار نحوي أحد الأولاد بينما كنت أقف في الأرجاء أثناء الاستراحة.

«ألا تعرف كيف يحدث الأمر؟» سأل.

«ماذا؟».

«المضاجعة».

«ما هذا؟».

«أمك لديها حفرة...». ثم أخذ إبهام وسبابة يده اليمنى وصنع دائرة، «ووالدك لديه قضيب...». ثم أخذ سبابة يده اليسرى وأدخلها وأخرجها مرة تلو الأخرى خلال الحفرة. «بعدها يُطلق قضيب والدك عصيراً وفي بعض المرات يكون لوالدتك طفل وفي مرات أخرى لا».

«الرب يصنع الأطفال»، قلت.

«تلك تفاهات!» قال الفتى ثم ابتعد. كان ذلك أمراً يصعب عليّ تصديقه. عندما انتهت الاستراحة جلست في الفصل وفكرت في الأمر. أمي كانت لديها حفرة وأبي كان لديه قضيب يُطلق العصير. كيف يمكنهما أن يملكا أشياء كهذه ويسيرا كأن كل شيء طبيعي، ويتكلما حول الأشياء، ثمّ يفعلانها ولا يخبران أحداً؟ شعرت حقاً كأنني سأتقيأ وأنا أفكر أنني بدأت هذه الحياة كعصير أبي.

ليلاً بعدما أطفأوا الأضواء ظللت مستيقظاً في السرير واستمعت. كنت متأكداً كفاية من أنني أسمع أصواتاً. سريرهم بدأ يُصدر أصوات صرير. استطعت سماع أصوات نوابض السرير. نهضت من سريري وسِرتُ على أصابع قدميّ إلى باب غرفتهم واستمعت. ظلّ السرير يُصدر الأصوات. ثم توقف. أسرعت في العودة خلال الممر إلى غرفة نومي. سمعت أمي تخرج إلى الحمام. سمعت صوت جريان مياه المرحاض، ثم خرجت أمي.

يا لهذا الشيء الفظيع! لا عجب أنهم يقومون بفعل ذلك سراً! وفوق كل هذا، الجميع يفعلونها! المعلمون، المدير، الجميع! كان

Tele: @Arab_Books

أمراً غبياً للغاية. عندها فكرت أن أفعلها مع ليلا جاين ولم تبدُ الفكرة غبية.

في اليوم التالي وأنا في الصف فكرت في الأمر طوال النهار. نظرت إلى الفتيات الصغيرات وتخيّلتُ نفسي أفعلها معهن. كنت أفعلها معهنّ جميعاً وأصنع الأطفال، وأملأ العالم بأشخاص مثلي، لاعبي بيسبول بارعين، هدافين. ذاك اليوم قبل نهاية الحصة، قالت المعلمة، السيدة ويستفال: «هنري، أيمكنك البقاء بعد انتهاء الحصة؟».

رنَّ جرس نهاية الحصة وغادر باقي الأطفال الفصل. جلست في مقعدي وانتظرت. السيدة ويستفال كان تصحح الأوراق. فكرت أنها ربما كانت ترغب في أن تفعلها معي. تخيلت أنني أنزع عنها فستانها وأحدق في حفرتها. «حسناً يا سيدة ويستفال، أنا مستعد...». نظرت إليّ من وراء أوراقها. «حسناً يا هنري، أولاً امسح كل السبورات. وبعدها خذ المحايات وانفضها في الخارج».

فعلت ما قالت لي، بعدها عدت وجلست في مقعدي. السيدة ويستفال كانت لا تزال تجلس هناك وتُصحح الأوراق. كانت ترتدي فستاناً أزرق ضيقاً، وتضع أقراطاً ذهبية كبيرة، وكان لها أنف صغير وتضع نظارات دون إطار. انتظرت وانتظرت. ثم قلت، «سيدة ويستفال، لماذا جعلتني أبقى هنا بعد المدرسة؟».

رفعت رأسها وحدقت فيّ. كانت تملك عينين عميقتين خضراوين. «أبقيتك بعد المدرسة لأنك في بعض الأحيان تكون مشاغباً».

«أوه، حقاً؟» ابتسمت.

نظرت إليّ السيدة ويستفال. نزعت نظاراتها واستمرت في النظر إليّ. كانت ساقاها وراء المكتب. لم أستطع رؤية فستانها بالكامل.

Tele: @Arab_Books

«لقد سرحت كثيراً اليوم في الفصل يا هنري؟».

«أوه، حقاً؟».

««نعم» هي الكلمة التي يجب عليك قولها، أنت تخاطب سيدة!».

«أوه، أعرف ذلك...».

«لا تكن وقحاً معي!».

«كما تريدين».

نهضت السيدة ويستفال وخرجت من وراء مكتبها. سارت خلال الممر وجلست على المقعد الذي يقابلني. كانت تملك ساقين طويلتين جميلتين وكانت ترتدي جوارب حريرية. ابتسمت لي، ومدت يدها ولمست معصم إحدى يديّ.

«والداك لا يُشعرانك بالحب كثيراً، أليس كذلك؟».

«لا أحتاج إلى مثل هذه الأمور»، قلت لها.

«هنري، الجميع يحتاج إلى الحب».

«أنا لا أحتاج إلى شيء».

«أيها الفتى المسكين».

وقفتْ، وأتت إلى مقعدي، وببطء أخذت رأسي بين يديها. انحنت ووضعته على نهديها. مددت يديّ وأمسكت بساقيها.

«هنري، عليك أن تتوقف عن قتال الجميع! نحن نريد أن نساعدك».

أمسكتُ ساقيها بقوة أكبر. «حسناً»، قلت، «لنتضاجع!».

دفعتني السيدة ويستفال بعيداً ووقفت خطوة بعيداً عني.

«ما الذي قلته؟».

«قلت، لنتضاجع!».

Tele: @Arab_Books

حدقت فيّ لوقت طويل. ثم قالت: «هنري، أنا أبداً لن أقول لأحد ما قلت، لا للمدير أو لوالديك أو أي أحد. لكن أنا لا أريد أبداً أبداً أن تقول لي ما قلت مجدداً، هل تفهم؟».

«أفهم».

«حسناً. يمكنك الآن العودة إلى المنزل».

نهضتُ من المقعد وسرت نحو الباب. وعندما فتحته، قالت السيدة ويستفال، «عمت مساءً يا هنري».

«عمتِ مساءً سيدة ويستفال».

سرت في الشارع وأنا أفكر في الأمر. شعرت أنها أرادت أن نتضاجع لكنها كانت خائفة لأنني كنت صغيراً جداً عليها وقد يكتشف والداي أو المدير الأمر. كان الأمر مثيراً كوني في الغرفة وحيداً معها. هذا الأمر حول المضاجعة كان رائعاً، لقد أعطى الناس شيئاً إضافيا ليفكروا فيه.

كانت هناك جادة واحدة كبيرة لأعبرها في طريقي إلى المنزل. مررت في التقاطع. وفجأة ظهرت سيارة تسير نحوي. لم تُبطئ سرعتها. كانت تتمايل بصورة طائشة. حاولت أن أركض بعيداً عن مسارها لكنها كانت تبدو أنها تلحق بي. رأيت أضواءها الأمامية، عجلاتها، مِصدّها الأمامي. ثم صدمتني السيارة وبعدها حل الظلام...

- ١٤ -

لاحقاً في المستشفى كانوا يمسحون ركبتيّ بقطع قطن منقعة في شيء ما. كان ذلك يحرق. كان مرفقاي يحرقانني أيضاً.

كان الطبيب منحنياً عليّ ومعه ممرضة. كنت ممدّداً في السرير

Tele: @Arab_Books

وكانت الشمس تعبر من خلال النافذة. بدا ذلك لطيفا جداً. ابتسم لي الطبيب. وقفت الممرضة وابتسمت إليّ. كان الأمر لطيفاً هناك.

«هل لديك اسم؟» سأل الطبيب.

«هنري».

«هنري ماذا؟».

«تشيناسكي».

«بولندي، آه؟».

«ألماني».

«لماذا لا يريد أي أحد أن يكون بولندياً؟».

«أنا ولدت في ألمانيا».

«أين تعيش؟» سألتني الممرضة.

«مع والديّ».

«حقاً؟» سأل الطبيب. «وأين ذلك؟».

«ما الذي حدث لمرفقيّ وركبتيّ؟».

«صدمتك سيارة، ومن حظك أن عجلاتها أخطأتك. قال الشهود إن سائق السيارة كان يبدو ثملاً، حادث اصطدام وفرار، لكنهم يملكون أرقام لوحة سيارته، سيقبضون عليه».

«لديك ممرضة جميلة...». قلت.

«حسناً، شكراً لك»، قالت.

«هل تريد موعداً معها؟» سأل الطبيب.

«ما هو ذلك؟».

«هل تريد أن تخرج معها؟» سأل الطبيب.

«لا أظن أنه يمكنني فعلها معها، أنا صغير جداً».

«تفعل ماذا؟».

«أنت تعرف».

Tele: @Arab_Books

«حسناً»، ابتسمت الممرضة، «تعال لرؤيتي بعدما تشفى ركبتيك وسنرى ما الذي يمكننا فعله».

«اعذروني»، قال الطبيب، «عليّ أن أذهب لرؤية حالة أخرى تعرضت لحادث». ثم غادر الغرفة.

«الآن»، قالت الممرضة، «ما اسم الشارع الذي تعيش فيه؟».

«طريق فيرجينيا».

«أعطني الرقم يا حَبّوب».

أعطيتها رقم المنزل. سألت إن كان هناك هاتف. أخبرتها أنني لا أعرف رقمه.

«لا بأس»، قالت، «سنتحصل عليه، ولا تقلق، كنت محظوظاً. لقد أصبت بضربة في الرأس وخُدشتَ قليلاً».

كانت لطيفة لكنني كنت أعرف أنه بعد أن تُشفى ركبتي، لن تريد أن تراني مجدداً.

«أريد أن أبقى هنا»، قلت لها.

«ماذا؟ أنت تعني أنك لا تريد أن تعود إلى منزل والديك؟».

«لا، دعيني أبقى هنا».

«لا يمكننا فعل ذلك يا حَبّوب. نحن نحتاج إلى هذه الأسرّة من أجل الناس المرضى والجرحى حقاً».

ابتسمت وخرجت من الغرفة.

عندما حضر أبي، سار مباشرةً إلى الغرفة ومن دون أي كلمة رفعني من السرير. حملني من الغرفة إلى الممر.

«أيها السافل الصغير! ألم أعلمك أن تنظر إلى جهتي الطريق قبل أن تعبر؟».

أسرع بي عبر الصالة. مررنا بجانب الممرضة.

«إلى اللقاء يا هنري»، قالت.

Tele: @Arab_Books

«إلى اللقاء».

دخلنا المصعد مع رجل عجوز على كرسي مدولب. كانت هنالك ممرضة تقف بجانبه. بدأ ينزل المصعد.

«أعتقد أنني سأموت»، قال الرجل العجوز. «أنا لا أريد أن أموت. أنا خائف من الموت...».

«لقد عشت كفايتك أيها العجوز الكريه!» تمتمَ أبي.

بدا الرجل العجوز مذعوراً. توقف المصعد. بقي الباب مقفلاً. ثم لاحظت عامل المصعد. كان يجلس على مقعد صغير. كان قزماً يرتدي بذلة حمراء فاتحة اللون وقبعة حمراء.

نظر القزم إلى أبي. «يا سيد»، قال، «أنت أحمق مثير للاشمئزاز!».

«يا عزيزي الصغير»، رد عليه أبي، «افتح الباب اللعين أو سأركل مؤخرتك!».

فُتح الباب. سرنا خارج المدخل. حملني أبي عبر فناء المستشفى. كنت ما زلت أرتدي رداء المستشفى. حمل أبي ملابسي في كيس في يده الأخرى. هبّت الرياح وحركت لباسي فرأيت ركبتي المخدوشتين اللتين لم تكونا مضمّدتين لكنهما كانتا مطليتين باليود. كاد أبي يركض عبر الفناء.

«عندما سيقبضون على ابن القحبة ذاك»، قال، «سأقاضيه! سأقاضيه لآخر قرش يملك! سيدعمني بماله لبقية حياته! أنا تعبت من شاحنة الحليب اللعينة تلك! معمل غولدن ستيت للألبان! غولدن ستيت مؤخرتي المشعرة! سننتقل إلى البحار الجنوبية، سنعيش على جوز الهند والأناناس!».

وصل أبي إلى السيارة ووضعني في المقعد الأمامي. ثم صعد إلى مقعده. شغّل السيارة.

Tele: @Arab_Books

«أكره السكيرين! أبي كان سكيراً. إخوتي سكّيرون أيضاً. السكيرون ضعفاء. السكيرون جبناء. وسكارى حوادث الاصطدام والفرار يجب أن يُسجنوا لبقية حياتهم!».

بينما كنا في طريقنا إلى المنزل، استمر في الحديث معي.

«هل تعلم أن السكان الأصليين في البحار الجنوبية يعيشون في أكواخ مصنوعة من العشب؟ ينهضون في الصباح والطعام يسقط من الأشجار على الأرض. يلتقطونه ويأكلونه، جوز هند وأناناس. والسكان الأصليون يعتقدون أن الرجال البيض آلهة! يصطادون الأسماك ويشوون الخنازير، وفتاياتهم يرقصن ويرتدين تنانير مصنوعة من العشب ويدلكن رجالهن وراء أذانهم. معمل غولدن ستيت للحليب، مؤخرتي المشعرة!».

لكن حلم أبي لم يكن ليتحقق. أمسكوا بالرجل الذي ضربني بالسيارة ووضعوه في السجن. كان لديه زوجة وثلاثة أطفال ولم يملك عملاً. كان سكيراً مفلساً. بقي الرجل في السجن لبعض الوقت لكن أبي لم يوجه له أي تهمة. فكما قال، «أنت لا تستطيع أن تتحصل على الدم من لفتٍ لعين!».

- ١٥ -

كان أبي دائماً ما يطرد أولاد الجيران من أمام منزلنا. قيل لي إنه لا يمكنني اللعب معهم لكنني سرت على الطريق وبقيت أشاهدهم على أية حال.

«يا هيني!» صاحوا، «لماذا لا تعود إلى ألمانيا؟» بطريقة ما عرفوا مكان مولدي. أسوأ ما كان أنهم يتسكعون بعضهم مع بعض ليس لأنهم يقطنون في الحي نفسه فقط، بل لأنهم كانوا يدرسون في

Tele: @Arab_Books

المدرسة الكاثوليكية ذاتها أيضاً. كانوا أطفالاً أقوياء، لعبوا كرة القدم الأمريكية في الشارع لساعات وتقريباً كل يوم كانت مجموعة منهم تدخل في شجار باللكمات. كان الأربعة الرئيسيّون: تشاك، إيدي، جين، فرانك.

«يا هيني، ارجع إلى أرض الكراوت!(*)»

ثم انتقل فتى شعره أحمر إلى المنزل المجاور لتشاك. كان يذهب إلى مدرسة مميزة ما. كنت جالساً على الرصيف ذات يوم عندما خرج من منزله. جلس بجانبي على الرصيف.

«مرحباً، أنا اسمي ريد».

«وأنا هنري».

جلسنا هناك نشاهد الأولاد الآخرين يلعبون كرة القدم. نظرت إلى ريد.

«لماذا تضع قفازاً في يدك اليسرى؟» سألت.

«لدي يد واحدة فقط»، قال.

«هذه اليد تبدو حقيقة!».

«إنها مزيفة. يد مزيفة، المسها إن أردت».

«ماذا؟».

«المسها، إنها مزيفة».

لمستها. كانت صلبة، صلبة كالصخر. «كيف حدث لك هذا؟».

«ولدت هكذا. اليد المزيفة تمتد إلى حد مرفقي. عليَّ أن أربطها. لدي أصابع في نهاية مرفقي، أظافر وكل شيء، لكن الأصابع ليست جيدة، إنها لا تعمل».

«هل لديك أصدقاء؟» سألت.

(*) الكراوت: الرجل الألماني.

Tele: @Arab_Books

«لا».

«أنا أيضاً».

«أولئك الأولاد لا يرغبون في اللعب معك؟».

«لا».

«لدي كرة».

«هل يمكنك أن تلتقطها؟».

«بالطبع يمكنني ذلك»، قال ريد.

«اذهب وأحضرها».

«أوكي...».

ذهب ريد إلى مرآب والده وعاد ومعه الكرة. رماها إليّ وتراجع بعدها إلى فنائه الأمامي.

«هيا، ارمها...».

رميتها. مد يده الجيدة ثم مد يده السيئة وأمسك بالكرة. أصدرت اليد صوت صرير عندما أمسك بالكرة.

«التقاطة جيدة»، قلت. «الآن ارمِ واحدة لي!»

أرجع يده إلى الخلف ثم أطار الكرة، أتتني كرصاصة، ولكنني استطعت أن أمسك بها وهي في طريقها إلى بطني.

«أنت تقف قريباً جداً»، قلت له. «تراجع إلى الخلف أكثر».

أخيراً، فكرت، بعض التمارين على التقاط ورمي الكرة. شعرت بشعور جيد.

بعدها أصبحت لاعب خلف الوسط. تراجعت للخلف، عرقلت بيدي مدافعاً خيالياً، وأطلقت الكرة برمية لولبية في السماء. كانت قصيرة. ركض ريد إلى الأمام، انحنى، وأمسك بالكرة، تدحرج لثلاث أو أربع مرات لكنه في النهاية استطاع الحفاظ عليها.

«أنت جيد يا ريد. كيف أصبحت جيداً هكذا؟».

Tele: @Arab_Books

«أبي علمني. نحن نتمرن كثيراً».

بعدها تراجع ريد إلى الخلف ورمى لي الكرة. مرت الكرة من فوق رأسي بينما كنت أتراجع لأمسك بها. كان يوجد سياج بين منزل ريد ومنزل تشاك، وقعتُ على السياج وأنا أحاول أن أمسك بالكرة. ارتطمت الكرة بقمة السياج وارتدت. ذهبتُ إلى فناء تشاك لآخذ الكرة. مرر لي تشاك الكرة. «إذاً لديك صديق مسخ يا هيني؟».

كان ذلك بعد عدة أيام، ريد وأنا كنا في فنائه الأمامي نمرر ونركل الكرة. لم يكن تشاك وأصدقاؤه موجودين. تحسّنّا أنا وريد في اللعب. تمارين، هذا كل ما احتاج إليه الأمر. كل ما يحتاج إليه المرء هو فرصة. هناك أحد ما يتحكم دائماً بمن يملك فرصة ومن لا.

أمسكت بواحدة فوق كتفي، ثم استدرت ورميتها إلى ريد الذي قفز عالياً وأمسك بها. ربما في يوم ما سيمكننا اللعب لصالح جامعة كاليفورنيا الجنوبية.

بعدها رأيت خمسة فتيان يتجهون نحونا على الرصيف. لم يكونوا من مدرستي الابتدائية. كانوا في عمرنا وبدوا كأنهم يستدعون المشاكل. بقيت أنا وريد نرمي الكرة بينما ظلوا واقفين يشاهدوننا.

سار أحد منهم على عشب الفناء وتوقف. كان أضخمهم.

«ارم لي الكرة»، قال لريد.

«لماذا؟».

«أريد أن أرى إن كان بإمكاني التقاطها».

«لا أهتم إن كان بإمكانك التقاطها أو لا».

«ارم لي الكرة!».

«لديه ذراع واحدة»، قلت، «دعوه وشأنه!».

«ابقَ خارج هذا الأمر يا وجه القرد!» ثم نظر إلى ريد، «ارم لي الكرة!».

Tele: @Arab_Books

«اذهب إلى الجحيم!» قال ريد.

«أحضروا الكرة!» قال الفتى الضخم للآخرين. ركضوا نحونا. التفت ريد ورمى الكرة فوق سطح منزله. كان السطح مائلاً فتدحرجت الكرة إلى أسفل لكنها توقفت في آخر لحظة وراء أنبوب تصريف المياه. ثم أحاطوا بنا. خمسة لاثنين، فكرت أنه لا توجد أي فرصة لنا. أتتني لكمة تجاه رأسي، تمايلت وتفاديتها. ثم ركلني أحدهم على مؤخرتي. كانت ركلة جيدة وشعرت بها في عمودي الفقري. ثم سمعت صوت فرقعة، كان ذلك تقريباً أشبه بصوت طلقة بندقية، أحدهم كان ملقى على الأرض ممسكاً بجبينه.

«آه، اللعنة!» قال، «تحطمت جمجمتي!» رأيت ريد، كان واقفاً وسط الفناء. كان يمسك بيد ذراعه المزيفة بيد ذراعه السليمة. كانت كالمضرب. ثم لوّح ريد بيده مرة ثانية. سمعت صوت فرقعة آخر وكان أحدهم ملقى في الفناء. تملكتني الشجاعة، فلكمت الفتى الذي أمامي عدة لكمات على فمه. رأيت شفته تتمزق، وبدأ الدم يسيل منها على ذقنه. هرب الفتيان الآخران. ثم نهض الفتى الضخم الذي سقط أولا ونهض الآخر أيضاً. أمسكا برأسيهما. ووقف الفتى الذي كان ينزف من فمه هناك. ثم تراجعوا كلهم إلى الشارع. عندما ابتعدوا مسافة لا بأس بها عنا، التفت الفتى الضخم وقال: «سوف نعود!».

بدأ ريد يركض نحوهم وأنا ركضت وراء ريد. بدأوا يركضون أيضاً، توقف ريد وأنا عن ملاحقتهم بعد مرورهم من زاوية الشارع. عدنا سيراً وبحثنا عن سلم فوجدنا واحداً. أنزلنا الكرة وبدأنا نرميها أحدنا للآخر من جديد...

في يوم سبت ما قررت أنا وريد أن نذهب لنسبح في حوض السباحة العام في شارع بيميني. كان ريد شخصاً غريباً. لم يتكلم كثيراً لكنني لم أتكلم كثيراً أيضاً ولذلك كنا على وفاق. لم يكن هناك

Tele: @Arab_Books

شيء لنقوله على أية حال. الشيء الوحيد الذي أردت حقاً أن أسأله عنه هو مدرسته، لكنه كان فقط يقول إنها مدرسة خاصة وتكلف والده بعض المال.

وصلنا إلى حوض السباحة بداية الظهيرة، أخذنا خزانتين، ونزعنا ملابسنا. كنا نرتدي ملابس السباحة تحت ملابسنا. ثم رأيت ريد ينزع ذراعه ويضعها في الخزانة. كانت تلك أول مرة بعد عراكنا ذاك وأنا أراه من دون ذراعه المزيفة. حاولت ألا أنظر إلى ذراعه التي كانت تنتهي عند مرفقه. سرنا إلى المكان الذي تضع فيه قدميك لتنقعهما بالماء الممزوج بمحلول الكلور. الرائحة كانت كريهة بعض الشيء لكنها كانت تمنع الإصابة بسعفة القدم أو شيء كهذا. بعدها سرنا إلى حوض السباحة ونزلنا فيه. كانت رائحة الماء كريهة أيضاً، وبعدما دخلت الحوض تبولت فيه. كان هناك أناس من مختلف الأعمار في حوض السباحة، رجال ونساء، صبيان وبنات. أحبَّ ريد الماء حقاً. كان يقفز باستمرار داخل الحوض. ثم غطس إلى الداخل وخرج. بصق الماء من فمه. حاولت السباحة. لم أستطع أن أمنع نفسي من ملاحظة نصف ذراع ريد، لم أستطع أن أمنع نفسي من النظر إليها. دائماً ما كنت أتأكد أن ريد كان مشغولاً بشيء ما آخر قبل النظر إليها. كانت تنتهي عند المرفق، مدورة بطريقة ما، ورأيت الأصابع الصغيرة. لم أكن أريد أن أحدق بتركيز، لكن بدا لي أنه كان هنالك ثلاث أو أربع أصابع فقط، صغيرة جداً، مطوية هناك. لونها كان أحمر للغاية وكل واحد من هذه الأصابع الصغيرة له ظفر. لا شيء سينمو فيها أبداً. لقد توقف كل شيء. لم أُرد أن أفكر في الأمر. غطست في الحوض. كنت سأخيف ريد وأمسك بساقيه من الخلف. اصطدمت بشيء طري. وجهي اندفع فيه. كانت مؤخرة امرأة بدينة. شعرت بها تمسكني من شعري وترفعني من داخل المياه. كانت ترتدي قبعة

Tele: @Arab_Books

سباحة زرقاء وكان الشريط ضيّقاً للغاية حول ذقنها، ويضغط على لحمها. كانت أسنانها الأمامية محشوة بالفضة وتنبعث من أنفاسها رائحة الثوم.

«أيها المنحرف القذر الصغير! تحاول أن تتحصل على بعض المسكات المجانية، أليس كذلك؟».

دفعت نفسي بعيداً عنها وتراجعت. لحقت بي بينما كنت أرجع للخلف خلال الماء. كان نهداها المترهلان يبعثان موجات مائية أمامها.

«أيها القذر الوقح الصغير، تريد أن تمص نهديّ؟ لديك عقل قذر، هاه؟ تريد أن تأكل القذارة؟ ما رأيك ببعض من قذارتي أيها الوقح الصغير؟».

تراجعتُ أكثر بعيداً عنها في الماء العميق. كنت واقفاً على أصابع قدمي، متراجعاً إلى الخلف. ابتلعت بعض الماء. ظلت تلحق بي، امرأة مثل باخرة. لم أستطع أن أتراجع أكثر. لحقت بي في النهاية. كانت عيناها شاحبتين وفارغتين، لم يكن فيهما أي لون. شعرت بجسدها يلمس جسدي.

«المس فرجي!» قالت. «أعرف أنك تريد أن تلمسه، لذا المسه، المس فرجي. هيا المسه! المسه!». كانت تنتظر. «إذا لم تقم بذلك، فسأقوم بإخبار حارس الإنقاذ أنك تحرشت بي، وسيضعك في السجن! الآن المسه!».

لم أستطع أن أفعل ذلك. فجأة مدّت يدها لتحت وأمسكت بأعضائي وشدتها. كانت توشك أن تقتلع عضوي. سقطتُ في الماء العميق، غرقتُ، قاومتُ، وجدتها فوقي. كنت بعيداً عنها مسافة ستة أقدام وبدأتُ بالسباحة في اتجاه الماء الضحل.

«سأخبر حارس الإنقاذ أنك تحرشت بي!» صرخت.

Tele: @Arab_Books

ثم سبح رجل بيننا. «ابن العاهرة الصغير ذاك!» أشارت لي وصرخت على الرجل، «لقد أمسك بفرجي!».

«يا سيدة»، قال الرجل، «الفتى على الأرجح ظنَّ أنه يمسك بمشبك بالوعة الصرف الصحي!».

سبحت إلى ريد.

«اسمع»، قلت، «علينا أن نرحل من هنا الآن! تلك السيدة البدينة ستقول لحارس الإنقاذ إنني لمست فرجها!».

«لماذا فعلت ذلك؟» سأل ريد.

«أردت معرفة ما هو إحساس ذلك».

«وكيف كان الإحساس؟».

خرجنا من الحوض، ثم اغتسلنا. وضع ريد يده مجدداً وارتدينا ملابسنا. «هل حقاً فعلت ذلك؟» سأل.

«يجب على الرجل أن يبدأ في وقت ما».

كان ذلك بعد شهر أو أكثر عندما انتقلت عائلة ريد من الحي. في أحد الأيام رحل ريد. بكل هذه البساطة. لم يقل لي أي شيء عن رحيله. رحل، كرة القدم رحلت، وتلك الأصابع الحمراء الصغيرة بالأظافر رحلت. كان شخصاً جيداً.

- ١٦ -

لا أعرف لماذا بالضبط لكن تشاك، إيدي، جين وفرانك تركوني أشاركهم في العديد من ألعابهم. أعتقد أن ذلك بدأ عندما ظهر شخص آخر وكانوا بحاجة إلى ثلاثة أشخاص في كل جانب. كنت ما زلت أحتاج إلى الكثير من التمارين لأكون جاهزاً لكنني بدأت أتحسن

Tele: @Arab_Books

على كل حال. السبت كان أفضل يوم. في ذلك اليوم كنا نلعب المباريات الكبيرة، أشخاص آخرون شاركوا في اللعب، وكنا نلعب كرة القدم الأمريكية في الشارع. لعبنا كرة العرقلة(*) عندما كنا نلعب على الفناء أمام المنزل وعندما كنا نلعب في الشارع لعبنا كرة اللمس. كان هنالك تمرير للكرة أكثر من أي شيء، لا يمكنك أن تركض لمسافة طويلة وأنت تلعب كرة القدم باللمس فقط.

كانت هناك مشاكل في المنزل، وقعت مشاجرات كثيرة بين أبي وأمي، ونتيجة تلك المشاجرات، بطريقة ما نسوا أمري. استطعت لعب الكرة كل سبت. في إحدى المباريات استطعت اختراق صف دفاع الخصم والركض بسرعة خلفهم ورأيت تشاك يرمي لي الكرة. كانت رمية طويلة عالية لولبية وظللت أركض للأمام للحاق بها. نظرت خلف كتفي، رأيتها قادمة نحوي، سقطت بين يدي بالضبط، وأمسكت بها واستطعت تسجيل هدف.

بعدها سمعت صوت أبي يصرخ «هنري!» كان يقف أمام منزله. رميت الكرة بسرعة لأحد أعضاء فريقي لكي يركلوها بعيداً، وسرت إلى المكان الذي يقف فيه أبي. بدا غاضباً. كدت أشعر بغضبه. كان دائماً يقف بقدم واحدة أمام القدم الأخرى بقليل، وجهه محمر، وكنت أستطيع رؤية بطنه تصعد لأعلى وتهبط لأسفل بينما كان يتنفس. كان يبلغ من الطول ستة أقدام وإنشين وكما قلت، كان كله آذان، فم، أنف عندما يكون غاضباً. لم أستطع النظر إلى عينيه.

«حسناً»، قال، «الآن أنت كبير كفاية لتجز عشب الفناء الأمامي. أنت كبير كفاية لتقوم بذلك، لتقلمه، تسقيه، وتسقي الأزهار. لقد

(*) كرة العرقلة: مثل لعبة كرة القدم الأمريكية بالضبط ويُسمح فيها بالعرقلة على عكس كرة قدم اللمس لكن يمكن لعبها بلاعبين أقل.

Tele: @Arab_Books

حان الوقت لك لتفعل شيئاً هنا. لقد حان وقت أن تنهض من على مؤخرتك الميتة وتبدأ العمل!».

«لكنني ألعب كرة القدم مع الأصدقاء. يوم السبت هو اليوم الوحيد الذي أملك فيه الفرصة للعب كرة القدم!».

«هل ترد عليّ؟».

«لا».

كنت أستطيع رؤية أمي تشاهد ما يجري من وراء الستارة. في كل سبت كانوا يقومون بتنظيف المنزل بالكامل. ينظفون السجادات بالمكنسة الكهربائية ويمسحون ويلمّعون الأثاث. وكانوا يرفعون السجادات ويشمّعون الأرضية الخشبية ويغطون الأرضية بالسجادات مجدداً. لا يمكنك حتى رؤية الأرضية التي تم تشميعها.

كان مجز العشب والمقلم في مدخل السيارات أمام المنزل. أراهما لي. «الآن، خذ مجز العشب هذا وابدأ بجز العشب ولا تفوّت أي بقعة. ارمِ العشب الذي قمت بجزه هنا عندما يمتلئ كيس العشب في المجز. وعندما تنتهي من جز عشب الفناء في مسار واحد، خذ المجز وابدأ بجز العشب في المسار المعاكس، فهمت؟ أولاً، تبدأ بجز العشب شمالاً وجنوباً، بعدها تجزه شرقاً وغرباً. هل فهمت ما أقوله لك؟».

«أجل».

«ولا تكن هكذا تعيساً لعيناً، أو سأعطيك شيئاً لتكون تعيساً بجد! وبعد أن تنتهي من جز العشب، خذ المقلم وابدأ بشذب الأطراف الزائدة من العشب. انزل تحت السياج وانزع كل أطراف العشب! بعدها... تأخذ هذا النصل المدور في المقلم وتبدأ بقطع العشب على حافة الفناء. لا بدّ أن يكون متساوياً تماماً على حافة العشب في الفناء! فهمت!».

Tele: @Arab_Books

«أجل».

«الآن عندما تنتهي من كل هذا، تأخذ هذه...». أراني أبي أكثر من مقص. «... وانزل على ركبتيك وابدأ بقطع أي شعرة صغيرة من العشب الذي بقي بارزاً. بعدها خذ أنبوب الماء وابدأ بري السياج وشتلات الأزهار. بعدها افتح رشاش الماء لخمس عشرة دقيقة لكل جزء من عشب الفناء. تقوم بفعل ذلك للفناء الأمامي وفي حديقة الأزهار، وبعدها أعد الكرة في الفناء الخلفي وفي حديقة الأزهار تلك. هل لديك أية أسئلة؟».

«لا».

«حسناً، الآن أريد أن أقول لك ما يلي. سأخرج وأتفقد كل شيء عندما تنتهي، وعندما تنتهي لا أريد أن أرى شعرة صغيرة من العشب بارزة، في الفناء الأمامي أو الخلفي! ولا شعرة صغيرة! ولو وجدت واحدة...!».

استدار بعدها، سار إلى مدخل السيارات أمام المنزل، بجانب سيارته البورش، فتح الباب، أغلق الباب بقوة، واختفى داخل المنزل. أخذت مجز العشب، أدرته على درجة واحدة، وبدأت بالسير به شمالاً وجنوباً. كنت أستطيع سماع الأولاد وهم يلعبون كرة القدم أسفل الشارع...

أنهيت جز العشب، وتقليمه وقطعه في الفناء الأمامي. سقيت شتلات الأزهار، وشغلت رشاشات الماء وبدأت العمل على الفناء الخلفي. كان يوجد شريط ممتد من العشب في نصف مدخل السيارات يقود إلى الفناء الخلفي. عملت عليه أيضاً. لم أكن أعلم إن كنت تعيساً. شعرت أكثر بؤساً من أن أكون تعيساً. كان كأن كلّ شيء في العالم تحول إلى عشب الفناء، كنت أنا أشق طريقي عبره كله. بقيت أشق طريقي وأعمل وفجأة استسلمت. ذلك سيأخذ مني

Tele: @Arab_Books

ساعات، طول اليوم، والمباراة كانت ستنتهي. كان الأولاد سيدخلون بيوتهم للعشاء، ويوم السبت سينتهي، وكنت سأظل أجز العشب.

بينما كنت أجز عشب الفناء الخلفي لاحظت أن أمي وأبي كانا يقفان على الشرفة الخلفية يشاهدانني. وقفا هناك فحسب، صامتين، لا يتحركان. وعندما كنت أدفع مجز العشب بجانبهما سمعت أمي تقول لأبي، «انظر، إنه لا يتعرق مثلك عندما تجز العشب. انظر كيف يبدو هادئاً».

«هادئاً؟ إنه ليس هادئاً، إنه ميت!» عندما عدت مجدداً جانبهما، سمعته يقول:

«ادفع ذاك الشيء أسرع! أنت تتحرك ببطء مثل الحلزون!».

فقمت بدفع مجز العشب أسرع. كان فعل ذلك صعباً عليّ لكنه جعلني أشعر أنني أفضل. دفعت مجز العشب أسرع وأسرع. كنت أكاد أركض مع مجز العشب. طار العشب بعيداً للخلف بقوة إلى حد أنه تجمع على لاقطة العشب. كنت أعلم أن ذلك سيغضبه.

«يا ابن القحبة!» صرخ.

رأيته يركض من الشرفة الخلفية إلى الكراج. ثم رأيته يخرج وهو ممسك بقطعة خشبية طولها حوالي قدم واحد. من زاوية عيني رأيته يرميها نحوي. نظرت إليها وهي في طريقها إليّ، لكني لم أقم بأية محاولة لتفاديها. أصابتني في الجانب الخلفي من ساقي اليمنى. كان الألم فظيعاً. تشنّجت ساقي كلّها بسبب الألم وكان عليّ أن أرغم نفسي على السير. ظللت أدفع مجز العشب، وأنا أحاول ألا أعرج. عندما التفت لأقطع جزءاً آخر من العشب، كانت قطعة الخشب في طريقي. التقطتها، وضعتها جانباً واستمررت في جز العشب. أصبح الألم أشدّ. وفجأة وجدت أبي واقفاً بجانبي.

«توقف!» قال لي.

توقفت.

«أريدك أن تعيد جز العشب مرة ثانية في المكان الذي طار فيه العشب ولم تلتقطه! هل تفهمني!».

«أجل». قلت له.

عاد أبي إلى المنزل. رأيته مع أمي يقفان على الشرفة الخلفية يشاهدانني.

نهاية العمل كانت أن ألتقط كل العشب الذي سقط على رصيف الفناء، بعدها عليَّ أن أغسل الرصيف. في النهاية انتهيت من العمل ما عدا فتح رشاشات الماء في كل جزء من الفناء الخلفي لمدة خمس عشرة دقيقة. جررت خرطوم الماء لأفتح رشاشات الماء عندما رأيت أبي يخرج من المنزل.

«قبل أن تفتح الرشاشات أريدك أن تتفقد هذا الفناء من أجل كل شعيرات العشب الصغيرة».

سار أبي إلى وسط الفناء، نزل على يديه وركبتيه ووضع جانب رأسه قريباً من العشب وبدأ يبحث عن أي شعرة بارزة من العشب. ظل يبحث، وهو يلف رقبته، محدقاً في العشب.

«اها هاه!».

نهض بسرعة وركض نحو المنزل.

«ماما! ماما!».

«ماذا هناك؟».

«وجدت شعرة!».

«حقاً؟».

«تعالي، سأريك!».

خرج من المنزل بسرعة وأمي وراءه.

«هنا! هنا! سأريك!».

Tele: @Arab_Books

نزل على يديه وركبتيه.

«أستطيع رؤيتها! أستطيع رؤية اثنتين منها!».

نزلت أمي معه. تساءلتُ إن كانا مجنونين.

«ترينهما؟» سألها. «شعرتان، ترينهما؟».

«أجل يا دادي، أراهما...».

نهض كلاهما. دخلت أمي إلى المنزل. نظر أبي إليّ.

«إلى الداخل...!».

سرت على الشرفة إلى داخل المنزل. لحقني أبي.

«إلى الحمام!» أغلق أبي الباب. «أنزل بنطالك!».

سمعته وهو يأخذ المشحذ الجلدي من على الحائط. كانت ساقي اليمنى ما تزال تؤلمني. ذلك لن يساعدني، كوني شعرت بضربات المشحذ الجلدي أكثر من مرة من قبل. العالم كله كان قابعاً هناك كما هو غير مبالٍ بكلّ شيء كعادته، ولكن هذا لن يساعدني. الملايين من الناس هناك في الخارج، كلاب وقطط وحيوانات الغوفر(*)، مبانٍ، شوارع، لكن كل ذلك لا يهم. لم يكن هناك إلا أبي والمشحذ الجلدي والحمام وأنا. كان يستعمل المشحذ ليجعل موسى الحلاقة أكثر حدة، وفي أوقات باكرة من الصباح كنت أكرهه بوجهه الأبيض بالرغوة، واقفاً يحلق ذقنه أمام المرآة. عندها أصابتني أول ضربة من المشحذ. كان صوتها واضحاً وعالياً، الصوت ذاته كاد يكون بذات سوء ألم الضربة. أصابني المشحذ مجدداً. كأن أبي كان آلة، وهو يلوح بالمشحذ. كان ذلك الشعور كأنك في قبر. أصابني المشحذ مجدداً وفكرت، أن هذه الضربة بالتأكيد ستكون الأخيرة. لكنها لم تكن كذلك. أصابني المشحذ مجدداً. لم أكرهه. ما يفعله كان غير

(*) الغوفر: حيوان قارض أمريكي.

Tele: @Arab_Books

قابل للتصديق فحسب، أردت أن أهرب منه بعيداً. لم أستطع البكاء. كنت مريضاً جداً لأبكي، مشوشاً للغاية. أصابني المشحذ مجدداً. ثم توقف. وقفت وانتظرت. سمعته وهو يعلق المشحذ على الحائط.

«في المرة المقبلة»، قال، «لا أريد أن أجد شعرة واحدة!».

سمعته وهو يخرج من الحمام. أغلق باب الحمام. حيطان الحمام كانت جميلة، المغطس كان جميلاً، حوض الغسيل كان جميلاً، ستائر الحمام كانت جميلة، وحتى المرحاض كان جميلاً. كان أبي قد رحل.

- ١٧ -

من بين جميع الأولاد الذين تبقوا في الحي، كان فرانك الألطف. أصبحنا صديقَين، وأصبحنا نتسكع معاً، لم نكن نحتاج إلى الأولاد الآخرين كثيراً. لقد قاموا بطرد فرانك من المجموعة، على العموم، أصبح صديقي في النهاية. لم يكن مثل ديفيد، الذي كان يسير معي من المدرسة إلى المنزل. كانت حياة فرانك مثيرة مقارنة بحياة ديفيد. حتى أنني اشتركت في الكنيسة الكاثوليكية لأن فرانك كان يذهب إليها. أحبَّ والداي الأمر، أعني ذهابي إلى الكنيسة. كانت قداسّات الأحد مملة جداً. وكان علينا أن نحضر حصص تعاليم الكنيسة. كان علينا أن ندرس كتاب تعاليم الكنيسة. كان ذلك الكتاب مليئاً بالأسئلة والأجوبة المملة.

في ظهيرة أحد الأيام كنا جالسين على شرفة منزلي الأمامية وكنت أقرأ لفرانك كتاب تعاليم المسيحية بصوت عالٍ. قرأت هذا السطر:

«الرب لديه أعين في جسده ويمكنه رؤية كل شيء».

«أعين في جسده؟» سأل فرانك.

Tele: @Arab_Books

«أجل». قلت له.

«أتقصد مثل هاتَين؟» سأل.

جعل يديه على شكل قبضتين ووضعهما على عينيه. «لديه زجاجات حليب كعينين»، قال فرانك وهو يدفع بقبضتيه على عينيه ويلتفت صوبي. بعدها بدأ يضحك. بدأت أضحك أيضاً. ضحكنا لوقت طويل. ثم توقف فرانك عن الضحك.

«هل تعتقد أنه سمعنا؟».

«أجل أعتقد ذلك. لو كان بإمكانه رؤية كل شيء فمن المرجح أنه يمكنه سماع كل شيء أيضاً».

«أنا خائف»، قال فرانك.

«يمكنه أن يقتلنا، هل تعتقد أنه سيقتلنا؟».

«لا أعرف».

«من الأفضل لنا أن نبقى هنا وننتظر إذاً، لا تتحرك، اجلس ثابتاً في مكانك!».

جلسنا على دَرجات الشرفة وانتظرنا. انتظرنا لوقت طويل.

«ربما لن يفعلها الآن»، قلت لفرانك.

«سيأخذ وقته»، قال فرانك.

انتظرنا لساعة أخرى، ثم نهضنا وسرنا إلى منزل فرانك. كان يقوم بصنع مجسم طائرة وأردت أن أُلقي نظرة عليه.

حلّ المساء عندما قررنا أن نذهب لنؤدي اعترافنا الأول. سرنا إلى الكنيسة. كنا نعرف أحد الكهنة، الكاهن الرئيسي. قابلناه ذات مرة في صالة تناول الآيس كريم وقام بالتحدث معنا. حتى أننا ذهبنا إلى منزله ذات مرة. كان يعيش قرب الكنيسة مع امرأة مسنة. بقينا هناك في بيته لمدة لا بأس بها وطرحنا العديد من الأسئلة حول الرب. كيف هو، كم طوله؟ وهل كان يجلس على كرسي طوال اليوم؟ وهل

Tele: @Arab_Books

كان يذهب إلى الحمام مثلنا نحن الآخرين؟ لم يقم الكاهن بالإجابة عن أي سؤال من أسئلتنا بطريقة مباشرة إلا أنه بدا كرجل لطيفٍ حقاً، كان يملك ابتسامة لطيفة.

سرنا إلى الكنيسة ونحن نفكر في الاعتراف، نفكر في كيف سيبدو الأمر. عندما وصلنا قريباً من الكنيسة، بدأ كلب ضال يسير معنا. بدا الكلب نحيلاً وجائعاً. توقفنا وربتنا عليه وفركنا له ظهره.

«خسارة أن الكلاب لا يمكنها الذهاب إلى الجنة»، قال فرانك.

«لماذا لا يمكنها؟».

«عليك أن تُعمّد لتدخل الجنة».

«علينا أن نُعمده إذاً!».

«أتعتقد أنه علينا فعل ذلك؟».

«إنه يستحق فرصة لدخول الجنة».

حملته وسرنا به إلى الكنيسة. أخذناه إلى وعاء مليء بالماء المقدس وقمت بإمساكه بينما كان فرانك يرش الماء المقدس على جبهته.

«هأنا هنا أُعمدك»، قال فرانك.

ثم أخذناه للخارج ووضعناه على الرصيف وتركناه.

«إنه حتى يبدو مختلفاً»، قلت.

فقد الكلب اهتمامه وبدأ يسير على الرصيف. عدنا إلى الكنيسة متوقفين أولاً عند الماء المقدس، واضعين أصابعنا فيه ومن ثم نفّذنا علامة الصليب بأصابعنا. ركعنا كلانا أمام مقعد طويل بجانب حجرة الاعتراف وانتظرنا. خرجت امرأة بدينة من وراء الستارة. كانت تضع رائحة ما. استطعت شم رائحتها القوية بينما كانت تسير بجانبي. كانت رائحتها ممزوجة برائحة الكنيسة، والتي كانت تشبه رائحة البول. كل يوم أحد كان الناس يأتون للقداس ويشمون رائحة البول

Tele: @Arab_Books

ولا أحد منهم يقول شيئاً. كنت سأخبر الكاهن عن الرائحة لكنني لم أستطع. ربما كانت الشموع هي السبب.

«سأدخل»، قال فرانك.

بعدها دخل، سار نحو حجرة الاعتراف واختفى وراء الستارة. بقيَ هناك لمدة طويلة. عندما خرج كان يبتسم ابتسامة عريضة.

«كان ذلك رائعاً، رائعاً حقاً! عليك أن تدخل هناك فوراً!».

نهضت، أزحت الستارة بيدي وسرت إلى الداخل. كان الجو مظلماً. ركعت. لم أستطع إلا رؤية الحاجب أمامي. قال فرانك إن الرب يجلس خلف الحاجز. ركعت وبدأت أفكر في شيء سيئ فعلته، لكنني لم أستطع أن أتوصل إلى شيء واحد. ركعت هناك فقط وحاولت التفكير في أي شيء لكنني لم أستطع. لم أعرف ماذا يجب أن أفعل.

«هيا، ابدأ»، قال صوت. «قل شيئاً!».

بدا الصوت غاضباً. لم أكن أعتقد أنه سيوجد أي صوت. ظننت أن الرب لديه الكثير من الوقت. شعرت بالخوف، فقررت أن أكذب.

«حسناً»، قلت، «أنا... ركلت أبي. أنا... شتمت أمي... سرقت مالاً من حقيبة أمي، وصرفته على ألواح الحلوى. قمت بإخراج الهواء من كرة تشاك. تلصّصت على فستان فتاة صغيرة. ركلت أمي. أكلت بعضاً من مخاط أنفي. هذا كل شيء. لكنّي اليوم عمّدتُ كلباً».

«عمّدت كلباً؟؟».

انتهى أمري. خطيئة قاتلة. لا فائدة من الاستمرار. نهضت لأخرج. لم أكن أعرف هل نصحني الصوت بأن أقوم بترديد عدد من صلوات «السلام عليك يا مريم» أو أنه لم يقل لي أي شيء. أزحت الستارة وهناك كان فرانك ينتظرني.

Tele: @Arab_Books

خرجنا من الكنيسة وعدنا للشارع. «أشعر أنني طُهِرت»، قال فرانك، «ألا تشعر بذلك؟».

«لا». قلت له.

بعدها لم أذهب قطّ للاعتراف مجدداً. كان ذلك أسوأ من قداس الساعة العاشرة.

- ١٨ -

كان فرانك يحب الطائرات. أعارني كل مجلات الإثارة حول الحرب العالمية الأولى. أفضل مجلة كانت «فلاينغ ايسس». معارك الطائرات الحربية كانت رائعة، وخاصة بين السبادس(*) والفوكرز(**). قرأت كل القصص. لم يعجبني أن الألمان كانوا دائماً يخسرون لكن عدا ذلك كانت القصص رائعة.

أحببت أن أذهب إلى منزل فرانك لأستعير وأعيد له المجلات. كانت والدته ترتدي كعباً عالياً وكانت ساقاها جميلتين. كانت تجلس على كرسي وساقاها متشابكتان وتنورتها فوق ركبتيها. كان والد فرانك يجلس على كرسي آخر. كان والده ووالدته يشربان دائماً. كان والده طياراً في الحرب العالمية الأولى سقطت به طائرته. كان يملك سلكاً يجري على إحدى ذراعيه بدلاً من العظم. لديه راتب تقاعد. لكنه كان بخير. عندما جئنا إلى منزلهم تحدّث معنا دائماً. «كيف حالكم يا أولاد؟ ما الذي يحدث معكم؟».

ثم علمنا بأمر استعراض الطيران. كان سيكون استعراضاً

(*) السبادس: طائرة حربية فرنسية في الحرب العالمية الأولى.

(**) الفوكرز: طائرات حربية ألمانية في الحرب العالمية الأولى.

Tele: @Arab_Books

ضخماً. حصل فرانك على خريطة فقررنا أننا سنذهب هناك عن طريق الوقوف في الطريق وإيقاف السيارات المتجهة في ذات طريق الاستعراض. اعتقدت أننا على الأرجح لن ننجح في الوصول إلى استعراض الطيران لكن فرانك قال إننا سنصل. أعطانا والده المال.

ذهبنا أسفل الجادة ومعنا الخريطة وحصلنا على توصيلة على الفور. كان رجلاً عجوزاً وشفتاه كانتا مبللتين للغاية، ظل يلعقهما بلسانه وكان يرتدي قميصاً عليه مربعات وأزراره مقفلة لحد حنجرته. لم يكن يرتدي ربطة عنق. وكان له حاجبان غريبان متجعدان وممتدان لحد عينيه.

«اسمي دانييل»، قال.

«هذا هنري، وأنا فرانك»، قال فرانك.

قاد دانييل السيارة. ثم أخرج سيجارة لاكي سترايك وأشعلها.

«هل تعيشون يا أولاد في المنزل؟».

«أجل»، قال فرانك.

«أجل»، قلت.

أوقف دانييل السيارة عند الإشارة المرورية. كانت السيجارة قد ابتلت بسبب فمه.

«كنت على الشاطئ أمس والشرطة أمسكت بمجموعة من الرجال تحت رصيف الشاطئ وألقتهم في السجن. كان أحدهم يرضع للرجل الآخر. ما علاقة الشرطة في الموضوع؟ أغضبني ذلك».

تغيرت الإشارة وأكمل دانييل السير.

«ألا تعتقدون أن ذلك غباء؟ الشرطة توقف هؤلاء الرجال عن الرضاعة؟».

لم نقل شيئاً.

Tele: @Arab_Books

«حسناً»، قال دانييل، «ألا تعتقدون أن مجموعة من الرجال لديهم الحق في شوط رضاعة جيد؟».

«أعتقد ذلك»، قال فرانك.

«أجل»، قلت.

«إلى أين تذهبون يا أولاد؟» سأل دانييل.

«إلى استعراض الطيران»، قال فرانك.

«أوه، استعراض الطيران! أحب هذه الاستعراضات! سأقول لكم شيئاً، دعوني أذهب معكم وسأعيدكم إلى المكان ذاته الذي أخذتكم منه».

لم نردّ بأي كلمة.

«حسناً إذاً، ما رأيكم؟».

«حسناً»، قال فرانك.

كان والد فرانك قد أعطانا ثمن الدخول والمواصلات، لكننا قررنا أن نوفر مال المواصلات عن طريق طلب التوصيلات من الغرباء.

«لعلّكم يا أولاد تريدون الذهاب للسباحة»، قال دانييل.

«لا»، قال فرانك، «نريد رؤية استعراض الطيران».

«السباحة أكثر متعة. يمكننا أن نسابق بعضنا بعضاً. أعرف مكاناً يمكننا فيه أن نبقى وحدنا. لن أذهب مجدداً تحت رصيف الشاطئ».

«نريد الذهاب إلى استعراض الطيران»، قال فرانك.

«حسناً»، قال دانييل، «سنذهب إلى استعراض الطيران».

عندما وصلنا ساحة ركن السيارات الخاصة باستعراض الطيران، نزلنا من السيارة بينما كان دانييل يقفلها، «اركض!» قال فرانك.

ركضنا إلى بوابة الدخول، رآنا دانييل ونحن نركض بعيداً عنه.

«أنت! أيها المنحرف الصغير! عد إلى هنا! عد إلى هنا!».

Tele: @Arab_Books

لكننا ظللنا نركض.

«يا إلهي»، قال فرانك. «ابن القحبة ذاك مجنون».

كدنا نصل إلى بوابة الدخول.

«سأمسك بكما يا أولاد!».

دفعنا ثمن الدخول ثم دخلنا. لم يكن العرض قد بدأ، لكن المكان كان يعج بجمهور غفير.

«لنختبئ تحت المدرج لكي لا يجدنا»، قال فرانك.

كان المدرج مبنياً من ألواح مؤقتة ليجلس عليها الناس. اختبئنا تحته. رأينا شخصين واقفين تحت مركز المدرج ينظران إلينا. تراوح عمراهما بين ١٣ أو ١٤ سنة، أكبر منا بسنتين أو ثلاث.

«إلى ماذا ينظران؟» سألت.

«لنر!» قال فرانك.

سرنا إليهما. رآنا أحدهما ونحن آتيان نحوهما. «أنتما، أيها الأحمقان، ارحلا من هنا!».

«إلى ماذا تنظران؟» سأل فرانك.

«أخبرتكما أيها الأحمقان أن ترحلا من هنا!».

«آه، تباً لذلك، مارتي، دعهما يلقيان نظرة!».

سرنا إلى المكان الذي وقفا فيه. نظرنا إلى أعلى.

«ما هذا؟» سألت.

«اللعنة، ألا يمكنك رؤيته؟» سألني أحدهما.

«أرى ماذا؟».

«إنه فرج!».

«فرج؟ أين؟».

«انظر، هناك بالضبط، هل تراه؟».

أشار نحوه.

Tele: @Arab_Books

كانت هناك امرأة جالسة وتنورتها مفتوحة. لم تكن ترتدي أي سروال داخلي، وعندما تنظر خلال الفراغ ما بين اللوحين يمكنك رؤيته.

«هل تراه؟».

«أجل، أراه. إنه فرج!» قال فرانك.

«حسناً، الآن يا شباب اذهبا من هنا وأغلقا فميكما!».

«لكننا نريد أن نرى لمدة أطول»، قال فرانك، «دعونا فقط ننظر لمدة أطول!».

«حسناً، لكن ليس لمدة طويلة كثيراً!».

وقفنا هناك ننظر إلى أعلى، ننظر إليه.

«أستطيع رؤيته»، قلت.

«إنه فرج!» قال فرانك.

«إنه فرج حقيقي!» قلت.

«أجل، أجل!» قال أحدهما، «هذا هو، إنه هو!».

«سأتذكر هذه اللحظة دائماً»، قلت.

«حسناً أيها الأولاد، إنه وقت الرحيل».

«لماذا؟» قال فرانك، «لماذا لا يمكننا الاستمرار في المشاهدة؟».

«لأنه»، قال أحدهما، «سأفعل شيئاً ما، الآن ارحلا من هنا!».

ذهبنا.

«ما الذي سيفعله في اعتقادك؟» سألت.

«لا أعرف»، قال فرانك، «ربما سيرمي صخرة عليه!».

خرجنا من تحت المدرج ونظرنا حولنا بحثاً عن دانييل. لم نره في أي مكان.

Tele: @Arab_Books

«ربما غادر»، قلت.

«شخص مثل هذا لا يحب الطائرات»، قال فرانك.

تسلقنا إلى المدرج وانتظرنا بداية العرض. نظرت حولي إلى جميع النساء.

«أي واحدة هي؟» سألت.

«أظن أنه لا يمكنك أن تعرف من هي من الجزء العلوي»، قال فرانك.

بعدها بدأ العرض. كان هنالك هذا الرجل الذي يقوم بالمجازفات على متن فوكر. كان جيداً، كان يحلق في دوائر، يُبطئ السرعة، يطير لأعلى، يحلق على مقربة من الأرض، وحتى أنه قام بحركة «اميلمان» (شقلبة الطائرة في الهواء). أفضل حركة قام بها كانت تتكون من خطاف على كل جناح. كان هناك منديلان لونهما أحمر مربوطين في نهاية عمودين مثبتين على الأرض ارتفاعهما ستة أقدام. حلّقت طائرة الفوكر على مقربة من الأرض، اقتربت بأحد أجنحتها من أحد الأعمدة، والتقطت المنديل الأحمر بواسطة الخطاف. ثم عادت مرة ثانية لالتقاط المنديل الأحمر الآخر من على العمود الثاني.

بعدها كانت هناك عروض الكتابة في السماء التي كانت مملة، وبعض سباقات البالونات السخيفة، وبعدها كان هناك عرض جيد، سباق بين الطائرات ما بين أربعة أعمدة معدنية. كان على الطائرات الدوران حول الأعمدة اثنتي عشرة مرة ومن ينته الأول يفز بالجائزة. كان الطيار يخرج من السباق إذا حلق فوق الأعمدة. كانت طائرات السباق على الأرض تستعد. كل واحدة منها صُنعت بشكل مختلف. الجائزة كانت ١٠٠ دولار. كانت الطائرات مركونة تستعد لبدء السباق، وكنت تعرف أنك ستشاهد شيئاً مثيراً جداً بعد قليل. زمجرت

Tele: @Arab_Books

المحركات كأنها تريد أن تنفصل عن الطائرات. ثم بدأ السباق عندما أسقط الحكم العلم معلناً بدايته.

كانت هنالك ست طائرات وكان بالكاد هناك مساحة لهم للطيران حول تلك الأعمدة. طار بعض الطيارين على علو منخفض، آخرون طاروا أعلى منهم، بعضهم طاروا في المنتصف. بعضهم طاروا بسرعة وفقدوا فرصتهم للدوران حول الأعمدة. وهناك من طاروا بسرعة أبطأ وأخذوا منعطفات حادة. كان ذلك مدهشاً وفظيعاً في آن واحد. ثم فقدت إحدى الطائرات جناحها. أخذت الطائرة تقفز وترتد على طول الأرض، والمحرك يقذف اللهب والدخان. سقطت على ظهرها وقدمت سيارتا الإسعاف والإطفاء مسرعتين. استمرت الطائرات الأخرى في الطيران. بعدها انفجر محرك إحدى الطائرات، سقط، وباقي الطائرة سقط على الأرض مثل شيء ما مفقود. ارتطمت الطائرة بالأرض وتفككت، كل قطعة في جهة. لكن شيئاً غريباً حدث. فتح الطيار قلنسوة قمرة القيادة وتسلق خارجاً وانتظر سيارة الإسعاف. لوَّح الطيار للجمهور فصفَّقوا له كالمجانين. كانت تلك معجزة.

فجأة حدثت كارثة. تشابك جناحا طائرتين بينما كانتا تحلقان حول الأعمدة. ظلتا تدوران ساقطتين لأسفل إلى أن وصلتا إلى الأرض وتحطمتا واشتعلت فيهما النار. عادت سيّارتا الإسعاف والإطفاء من جديد إلى الحلبة. رأيناهم وهم يسحبون كلا الطيارين من الحطام، وضعوهما على حمالتين وساروا بهما إلى سيارة الإسعاف. كان ذلك محزناً، ذانك الطياران الشجاعان الماهران، كلاهما على الأرجح سيكونان معاقين مدى الحياة.

تبقّت طائرتان فقط تتنافسان من أجل الجائزة، الطائرة رقم ٥ ورقم ٢. الطائرة رقم ٥ كانت الطائرة صاحبة الهيكل الرقيق، وكانت بالكاد تملك أجنحة وكانت أسرع بكثير من الطائرة رقم ٢. أما الطائرة

Tele: @Arab_Books

رقم ٢ فكان شكلها مثل كرة القدم، لم تكن سريعة، إلا أن انعطافاتها حول الأعمدة كانت جيدة. لم يساعدها ذلك كثيراً. الطائرة رقم ٥ كانت تسبقها بكثير.

«الطائرة رقم ٥»، قال المذيع، «إنها تسبق منافستها بدورتين، ولم يتبقّ من السباق إلا دورتان!».

كان يبدو أن الطائرة رقم ٥ ستفوز بالسباق وبالجائزة. ثم فجأة اصطدمت بعمود! بدلاً من أن تنعطف حوله اصطدمت به وأسقطته على الأرض. بدأت الطائرة تسقط، مباشرة في اتجاه الأرض، باتجاه الأسفل، توقف المحرك، ثم اصطدمت الطائرة بالأرض. سقطت على عجلاتها، فوثبت لأعلى في الهواء، انقلبت، ثم سقطت مجدداً على الأرض وظلت تنزلق. على سيّارتي الإسعاف والإطفاء أن تقطعا مسافة طويلة لتصلا إليها.

ظلّت الطائرة رقم ٢ تدور حول الأعمدة التي تبقت والعمود الذي سقط ثم حطت على الأرض. لقد فاز بالجائزة الكبرى. خرج من الطائرة. كان رجلاً بديناً مثل طائرته. توقعت أن يكون رجلاً قوياً ووسيماً. كان محظوظاً وبالكاد صفّق له أحدهم.

كانت هناك مسابقة باراشوت ليختموا بها العرض. كانت توجد دائرة مرسومة على الأرض، نقطة مركزية على الأرض، والشخص الذي يحط الأقرب إلى مركزها يفوز. بدت المسابقة مملة بالنسبة لي. لم تكن هناك أي إثارة أو تصفيق من الجمهور. قفز المتسابقون من الطائرات وصوبوا ناحية الدائرة.

«هذه المسابقة ليست جيدة كثيراً»، قلت لفرانك.

«أوافقك»، قال لي.

ظلوا يحطون قرب الدائرة. قفز المزيد من المتسابقون من الطائرات فوقنا. ثم بدأ الجمهور بالصراخ.

Tele: @Arab_Books

«انظر!» قال فرانك.

مظلة أحد المتسابقين لم تُفتح كلياً. لم يكن هناك الكثير من الهواء فيها. كان يسقط بسرعة أكثر من الآخرين. أمكنك رؤيته وهو يركل بساقيه ويحاول فتح الباراشوت بيديه.

«يا إلهي!» قال فرانك.

ظل الرجل يسقط بسرعة، أقرب وأقرب للأرض، أمكنك رؤيته أوضح وأوضح. ظل يصرخ على الأسلاك وهو يحاول سحبها ليفتح الباراشوت، لكنه لم ينجح. اصطدم بالأرض، ارتد قليلاً لأعلى، ثم سقط مجدداً وتوقف عن الحركة. الباراشوت النصف مفتوح سقط عليه.

قاموا بإلغاء باقي المسابقة وطلبوا من المتسابقين التوقف عن القفز. خرجنا مع الناس من مكان العرض، وظللنا حذرين من أن يرانا دانييل.

«لا أعتقد أنه علينا أن نعود إلى المنزل بالطريقة ذاتها التي أتينا بها إلى هنا»، قلت لفرانك.

«أنت محق»، قال فرانك.

ونحن نسير في الخارج بين الناس، ظللت أفكر، لم أكن أعلم أيّها أكثر إثارة، سباق الطائرات، قفزة مسابقة الباراشوت الفاشلة، أم الفرج.

- ١٩ -

كان الصف الخامس أفضل بقليل. بدا الطلبة الآخرون أقل عدائية وأنا كنت أكبر حجماً بدنياً. لم يختاروني بعد للفرق الرياضية لكن التهديدات أصبحت أقل.

Tele: @Arab_Books

كان ديفيد وكمانه قد رحلا. انتقلت العائلة من الحي. وأصبحت أعود إلى المنزل وحدي. في غالب الأحيان كان هناك شخص أو شخصان يلاحقانني، خوان كان أسوأهما، لكنهما لم يتعرّضا لي ولم يفعلا شيئاً. خوان كان يدخن السجائر، ويسير خلفي مدخناً سيجارة وفي كل مرة كان برفقته شخص آخر. لم يلحقني وحده قط. ذلك أخافني. تمنيت لو أنهما يتوقفان عن ملاحقتي. أعتقد أنهم كانا يعرفان ذلك، ولهذا السبب كانا يكرهانني. لم أحب طريقة سيرهما أو مظهرهما أو طريقة كلامهم، ولكنني لم أكن أحب أبي ولا أمي أيضاً. كنت ما زلت أشعر أنني محاط بفراغ أبيض خالٍ. ودائماً ما كان شعور الغثيان يصيبني ولكن لم يكن ذلك الشعور قوياً. كان خوان داكن البشرة ويرتدي سلسلة نحاسية في سرواله بدلاً من الحزام العادي. كانت الفتيات يخفنه، والفتية أيضاً. كان خوان وأحد رفاقه يلحقان بي كل يوم تقريباً. كنت أدخل المنزل وأراهما واقفين أمام منزلي يحدّقان به. كنت أشاهدهما من وراء الستارة. في النهاية، كانا يرحلان من أمام المنزل.

السيدة فريتاغ كانت معلّمتنا للغة الإنجليزية. في أول يوم في الدراسة سألتنا عن أسمائنا.

«أريد أن أعرف اسم كل واحد منكم»، قالت وهي تبتسم. «الآن، كل واحد منكم لديه أب، أنا متأكدة. أعتقد أنه من المثير للاهتمام أن نعرف عمل كل أب من آبائكم. سنبدأ بالمقعد رقم واحد وهكذا إلى أن نصل إلى آخر مقعد. الآن، ماري، ماذا يعمل والدك؟».

«بستاني». قالت ماري.

«أوه، هذا لطيف! المقعد رقم اثنان. . . أندرو، ماذا يعمل والدك؟».

Tele: @Arab_Books

كان ذلك فظيعاً. كل الآباء في الحيّ فقدوا وظائفهم. أبي فقد عمله. والد جين كان يجلس على شرفة منزله الأمامية طوال النهار. كل الآباء كانوا بلا عمل ما عدا والد تشاك الذي كان يعمل في مصنع للحوم، وكان يقود سيارة حمراء عليها اسم مصنع اللحوم على جانبها.

«أبي رجل إطفاء»، قال صاحب المقعد رقم اثنين.

«آه، هذا مثير للاهتمام»، قالت السيدة فيرتاغ. «الآن، صاحب المقعد رقم ثلاثة».

«أبي محام»، قال صاحب المقعد رقم ثلاثة.

«المقعد رقم أربعة».

«أبي... شرطي...». ما الذي كان عليّ أن أقوله لها؟ ربما كان كل الآباء في الحي بلا عمل. لقد سمعت بانهيار سوق الأسهم المالية. كان ذلك يعني شيئاً سيئاً حسب ما فهمت. ربما سوق الأسم انهار في حينا.

«المقعد رقم ثمانية عشر».

«أبي ممثل سينمائي...».

«رقم تسعة عشر...».

«أبي عازف كمان في الحفلات الموسيقية...».

«رقم عشرون...».

«أبي يعمل في السيرك...».

«رقم واحد وعشرون...».

«أبي يعمل كسائق حافلة...».

«رقم اثنان وعشرون...».

«أبي مغنّ في الأوبرا...».

«رقم ثلاثة وعشرون...».

Tele: @Arab_Books

رقم ثلاثة وعشرون. ذاك كان أنا.

«أبي طبيب أسنان»، قلت.

سارت السيدة فيرتاغ إلى نهاية الفصل إلى أن وصلت إلى المقعد رقم ثلاثة وثلاثين.

«أبي لا يعمل»، قال رقم ثلاثة وثلاثين.

تباً، فكّرت، ليتني فكّرت في هذا.

في أحد الأيام أعطتنا السيدة فيرتاغ واجباً.

«رئيسنا الموقر، الرئيس هربرت هوفر سيزور لوس أنجلس هذا السبت ليُلقي كلمة. أريد منكم أن تسمعوا كلمة رئيسنا. وأريد منكم أن تكتبوا مقالة عن تجربتكم هذه ورأيكم بخطاب الرئيس هوفر».

السبت؟ لن أتمكن أبداً من الذهاب. كان عليّ أن أجز عشب الفناء! وأن أقص كل الشعيرات! (لا يمكنني أبداً أن أقص كل الشعيرات!).

كل سبت تقريباً كان أبي يقوم بضربي بالمشحذ الجلدي لأنه وجد شعرة صغيرة بعد انتهائي من جز الفناء. (كان يجلدني أيضاً باقي أيام الأسبوع، مرة أو مرتين، لأشياء أخرى فشلت في عملها أو لم أقم بعملها بشكل جيد). كان من المستحيل أن أقول لأبي إنه يجب عليَّ أن أذهب لرؤية الرئيس هوفر بدلاً من جز عشب الفناء.

لذا لم أذهب. في ذلك الأحد أخذت بعض الأوراق وجلست لأكتب عن الرئيس وكيف رأيته. سيارته المفتوحة، وأتباعه الذين كانوا خلفه يتبعونه، وكيف دخل إلى ملعب كرة القدم. إحدى السيارات مليئة بالحرس الرئاسي دخلت قبله وسيارتان كانتا وراءه. الحرس كانوا رجالاً شجعان بأسلحتهم التي يحملونها لحماية رئيسنا. الجماهير نهضت من مقاعدها عندما دخلت سيارة الرئيس إلى الميدان. لم يحدث هذا من قبل قط. كان هو الرئيس. كان هو. لوَّح

Tele: @Arab_Books

لهم. هللنا له. عزفت الفرقة. حلّقت النوارس في دوائر في السماء كأنهم كانوا يعلمون أنه كان الرئيس. وكانت هنالك أيضاً طائرات تكتب في السماء. كتبوا كلمات على نحو: «الازدهار قريب جداً».

وقف الرئيس في سيارته، وبينما فعل ذلك تفرقت الغيوم وسقط ضوء الشمس من السماء وأضاء وجهه، كأن الرب بذاته كان يعلم أنه الرئيس. بعدها توقفت السيارات ورئيسنا العظيم المحاط بالحرس الرئاسي سار إلى المنصة ليلقي خطابه. بينما كان يقف وراء المايكروفون، حط طائر من السماء على المنصة بالقرب منه. لوَّح الرئيس للطائر وضحك ونحن ضحكنا معه. بعدها بدأ الرئيس يتكلم وظلت الجماهير تستمع إليه. لم أستطع تقريباً سماع الخطاب لأنني كنت أجلس بالقرب من آلة فشار كانت تصدر الكثير من الضجة بسبب فرقعة حبات الذرة، لكنني أعتقد أنني سمعته يقول إن المشاكل في مانشوريا(*) ليست مشاكل جدية، وأن كل شيء في وطننا سيكون بخير، وإنه يجب علينا ألّا نقلق، وإن كل ما علينا فعله هو الإيمان بأمريكا. والوظائف ستكون متاحة للجميع. وسيكون هناك أطباء أسنان كفاية بأسنان للقلع كافية، وحرائق كافية ورجال أطفاء كفاية ليقوموا بإطفائها. الطواحين والمصانع ستفتح مجدداً. أصدقاؤنا في أمريكا الجنوبية سيسددون لنا ديونهم. وقريباً سننام جميعاً بسلام، وبطوننا وقلوبنا ستكون على آخرها. الرب وبلادنا العظيمة سيحيطاننا بالحب وسيحميانا من الشيطان، من الاشتراكيين، وسيوقظاننا من كابوسنا القومي، للأبد...

استمع الرئيس إلى تصفيق الجماهير، لوَّح لهم، بعدها عاد إلى

(*) مانشوريا: اسم تاريخي يطلق على منطقة جغرافية واسعة في شمال شرق آسيا.

Tele: @Arab_Books

سيارته، صعد إليها، وقادوه إلى خارج الميدان متبوعاً بسيارات ممتلئة برجال الحرس الرئاسي بينما كانت الشمس بدأت تغيب، بدأ الأصيل يتحوّل إلى مساء، أحمر وذهبياً ومدهشاً. لقد رأينا واستمعنا للرئيس هربرت هوفر.

سلمت مقالي يوم الإثنين. في يوم الخميس وقفت السيدة فيرتاغ أمام الفصل:

«لقد قرأت كل مقالاتكم حول زيارة رئيسنا المميزة إلى لوس أنجلس. كنت هناك. لاحظت أن بعضاً منكم لم يستطع المجيء لسبب من الأسباب. وأريد أن أقول لأولئك الذين لم يستطيعوا الحضور أن يقرأوا مقال هنري تشيناسكي».

صمت الفصل كله. كنت أكثر طالب غير مرغوب به في الفصل. كان ذلك الصمت كأن سكيناً ما تقطع كل قلوبهم.

«مقالك مبدع للغاية»، قالت السيدة فيرتاغ، وبدأت تقرأ مقالي. بدت الكلمات جيدة بالنسبة لي. كان الجميع يستمع. كلمات ملأت الحجرة، من السبورة إلى السبورة، اصطدمت الكلمات بالسقف وارتدّت وغطّت حذاء السيدة فيرتاغ وتجمعت على الأرضية. بعض أجمل الفتيات في الفصل بدأن يسرقن النظرات إليّ. كل الأولاد الأقوياء كانوا غاضبين. مقالاتهم لم تكن تساوي قمامة. شربت كلماتي مثل رجل عطش. حتى أنني بدأت في تصديقها. رأيت خوان جالساً هناك ويبدو كأنني لكمته على وجهه. مددت ساقيّ واتكأت للخلف. ثم انتهت السيدة فيرتاغ من قراءة المقال.

«بهذه المقالة الرائعة»، قالت السيدة فيرتاغ، «أُنهي هذه الحصة...».

نهض الجميع وبدأوا يجهزون أنفسهم للخروج من الفصل.

«ليس أنت يا هنري»، قالت السيدة فيرتاغ.

Tele: @Arab_Books

جلست على مقعدي والسيدة فيرتاغ وقفت هناك تنظر إليّ. ثم قالت، «هنري، هل كنت هناك؟».

جلست على المقعد محاولاً التفكير في إجابة. لم أجد. «لا، لم أكن هناك»، قلت.

ابتسمت لي. «هذا يجعل الأمر رائعاً أكثر».

«نعم، سيدة فيرتاغ...».

«يمكنك المغادرة يا هنري». قالت.

نهضت من مقعدي وخرجت من الفصل. إذاً، هذا ما كانوا يريدونه: كذبات. كذبات جميلة. هذا ما كانوا يحتاجون إليهه. الناس كانوا حمقى. سيصبح الأمر أسهل بالنسبة لي. نظرت حولي. خوان ورفيقه لم يكونا يلاحقانني. يبدو أن كل الأمور ستصبح أفضل من الآن فصاعداً.

- ٢٠ -

كانت هناك أوقات كنت فيها أنا وفرانك صديقَين مع تشاك وإيدي وجين. لكن دائماً ما كان يحدث شيء ما بيننا (أغلب الأوقت أكون أنا السبب) وعندها يقومون بطردي من المجموعة، وفرانك يُطرد جزئياً أيضاً من المجموعة لأنه كان صديقي.

كان التسكع ممتعاً مع فرانك. كنا نطلب توصيلات من غرباء إلى كل مكان. أحد أمكنتنا المفضلة كان ذلك الستوديو السينمائي. كنا نزحف تحت السياج المحاط بالأعشاب الطويلة لنتمكن من الدخول إليه. رأينا الحائط الضخم والدَّرجات التي استخدموها في فيلم كينغ كونغ. رأينا الشوارع المزيفة والمباني المزيفة. المباني كانت مجرد واجهات بلا أي شيء خلفها. تمشينا في كل أنحاء الستوديو لعدة

Tele: @Arab_Books

مرات إلى أن قام الحارس بمطاردتنا إلى خارجه. أوقفنا إحدى السيارات وطلبنا توصيلة للشاطئ إلى بيت المرح. كنا نبقى هناك لثلاث أو أربع ساعات. حفظنا المكان. لم يكن جيداً كثيراً. الناس يتبرزون ويتبولون هناك والمكان كان مليئاً بالزجاجات الفارغة. كانت هناك أوقية ذكرية ملقاة في المراحيض، طويلة ومجعدة. المتشردون كانوا ينامون في بيت الفرح في نهاية اليوم عندما تُقفل أبوابه. في الحقيقة لم يكن يوجد أي شيء مرح في بيت المرح. بيت المرايا كان جيداً في البداية. بقينا فيه إلى أن حفظنا كل شيء فيه، كيف نعبر خلال متاهة المرايا وغير ذلك، بعدها لم يعد جيداً مثل البداية.

أنا وفرانك لم ندخل قطّ في أية مشاجرات. كنا فضوليَّين حول الكثير من الأمور. ذات مرة كانوا يعرضون هذا الفيلم حول عملية قيصيرية على رصيف الشاطئ فذهبنا لمشاهدته. كان مليئاً بالدماء. في كل مرة كانوا فيها يقطعون جلد المرأة، تطايرت الدماء إلى الخارج، تدفقت منها، ومن ثم قاموا بإخراج الرضيع.

كنا نذهب لاصطياد السمك من على رصيف الشاطئ، وكلما نصطاد شيئاً نذهب لبيعه إلى السيدات المسنات اليهوديات اللاتي كنَّ يجلسن على المقاعد. ضربني أبي ذات مرة لأنني ذهبت مع فرانك إلى الشاطئ إلا أنني كنت أعلم أنه سيضربني بالرغم من كل شيء، لذا لم أهتم وحاولت أن أمرح على الأقل.

لكن المتاعب تواصلت معي من قبل الأولاد الآخرين في الحي. أبي لم يساعد. مثلاً، أحضر أبي لي ذات مرة زياً للهنود الحمر وقوساً وسهماً بينما كان كل الأولاد الآخرين يملكون زي كاوبوي. كان ذلك الأمر مشابهاً لما حدث في ساحة المدرسة - تجمعوا من حولي-. كانوا يحيطون بي بأزياء الكاوبوي خاصتهم ومسدساتهم، وعندما كان يسوء الأمر كنت أضع السهم في القوس، أسحبه للخلف وأنتظر. كان

Tele: @Arab_Books

ذلك دائماً ما يجعلهم يذهبون عني. لم أرتد زي الهنود الأحمر أبداً إلا عندما أرغمني أبي على ارتدائه.

ظللت أتشاجر مع تشاك وإيدي وجين ولكننا كنا نعود لنصبح أصدقاء مجدداً ومن بعد ذلك نتشاجر مجدداً وهكذا كل مرة.

في ظهيرة أحد الأيام كنت واقفاً في الأرجاء. لم تكن علاقتي سيئة أو جيدة بالضبط معهم. كنت فقط أنتظرهم في الأرجاء لينسوا آخر شيء فعلته لإغضابهم. لم يكن يوجد أي شيء آخر لفعله. هواء أبيض فقط وانتظار. تعبت في النهاية من الوقوف في الأرجاء، فقررت أن أسير باتجاه التلة، إلى جادة واشنطن، شرق بيت الأفلام وبعدها غرباً إلى جادة آدامز. وربما سأسير بجانب الكنيسة. بدأت السير. ثم سمعت صوت ايدي:

«هنري، تعال إلى هنا!».

كانوا واقفين في ممر ركن السيارات ما بين منزلين. إيدي، فرانك، تشاك وجين. كانوا يشاهدون شيئاً. كانوا منحنين على أجمة كبيرة يشاهدون شيئاً.

«تعال إلى هنا يا هنري!».

«ماذا هناك؟».

سرت إليهم، إلى المكان الذي كانوا ينحنون عليه.

«إنها عنكبوت تستعدّ لتأكل ذبابة!» قال إيدي.

نظرت. كانت العنكبوت قد صنعت شبكتها بين أغصان الأجمة والذبابة علقت هناك. كانت العنكبوت مهتاجة. حاولت الذبابة أن تهز نفسها من خارج الشبكة. كانت تطن بقوة ودون جدوى بينما كانت العنكبوت تُطلق خيوطها المؤذية على أجنحة الذبابة وجسدها. واصلت العنكبوت الحركة حول الذبابة وهي تلفّها كلياً بخيوطها

Tele: @Arab_Books

البيضاء بينما استمرت في إصدار الطنين. كانت العنكبوت كبيرةً للغاية وقبيحة.

«ستقترب منها وستأكلها!» صاح إيدي، «ستغرس أنيابها فيها!».

اندفعتُ بينهم وركلت وأسقطت العنكبوت والذبابة من على الشبكة بقدمي.

«ما الذي فعلته بحق الجحيم؟» سأل تشاك.

«يا ابن القحبة!» صاح إيدي، «لقد أفسدت الأمر!».

تراجعت. حتى أن فرانك حدق فيّ بطريقة غريبة.

«لنقم بركل مؤخرته!» صاح جين.

كانوا بيني وبين الشارع. ركضت عبر ممر ركن السيارات إلى فناء خلفي لمنزل غريب. كانوا يلاحقونني. ركضت عبر الفناء الخلفي إلى وراء المرآب. كان يوجد سياج حديدي مشبك مغطى بكرمات عنب. ركضت باتجاه السياج وتسلقته، استمررت في الركض عبر الفناء الخلفي التالي إلى ممر ركن السيارات، وبينما كنت أركض رأيت تشاك وهو يتسلق قمة السياج. ثم رأيته يتعثر ويسقط على ظهره. «اللعنة!» قال تشاك. انعطفت يميناً واستمررت في الركض. ركضت لسبعة أو ثمانية أحياء، ثم جلست في فناء أحدهم وارتحت. لم يكن يوجد أحد في الأرجاء. تساءلت إن كان ممكناً لفرانك أن يغفر لي. تساءلت إن كان ممكناً للآخرين أن يغفروا لي. قررت أن أتوارى عن الأنظار لأسبوع أو أكثر...

وهكذا نسوا الأمر بعد وقت. لم يحدث الكثير لمدة من الزمن. كان هنالك العديد من الأيام الخاوية. بعدها انتحر والد فرانك. لم يعرف أحد السبب. قال لي فرانك إنه هو ووالدته سيضطران إلى الانتقال إلى مكان أصغر في حي آخر. قال لي إنه سيكتب لنا. إلا أننا لم نكتب له. رسمنا رسومات حول آكلي لحوم البشر. كانت رسوماته

Tele: @Arab_Books

حول متاعب آكلي لحوم البشر وبعدها كنت أستمر في رسم القصة حول متاعب آكلي لحم البشر حيث توقف فرانك. ذات يوم وجدت أمي رسومات فرانك وأرتها لأبي، وهكذا انتهى أمر الرسائل بيننا.

الصف الخامس أصبح الصف السادس وأصبحت أفكر في الهروب بعيداً عن المنزل لكنني قررت أنه إن كان أغلب آبائنا لا يستطيعون الحصول على عمل، فكيف سيمكن بحق الجحيم لشخص ما أقل من خمسة أقدام الحصول على عمل؟ جون ديلينجر(*) كان بطل الجميع، الكبار والصغار سواء. كان يأخذ المال من المصارف. وكان هنالك أيضاً بريتي بوي فلويد(**) وما باركر(***) والماشين غان كيلي(****).

بدأ الناس يذهبون إلى المساحات الشاغرة من الأرض حيث تنمو الحشائش. علموا أن بعض هذه الحشائش يمكن طبخها وأكلها. كان يحدث عراك بالأيادي بين الرجال في تلك المساحات الشاغرة وفي الشوارع وفي الزوايا. كان الجميع غاضبين. دخن الرجال سجائر البول دورهام ولم يسمحوا لأنفسهم بتلقي الهراء من أي أحد. تركوا بطاقة علبة بول دورهام المدورة تبرز من جيوب قمصانهم الأمامية وكانوا كلهم يستطيعون لف سيجارة بيد واحدة فقط. وإذا رأيت رجلاً

(*) جون ديلينجر: هو أحد اللصوص والمجرمين الذين اشتهروا في الغرب الأوسط الأمريكي في بداية الثلاثينات من القرن العشرين.

(**) بريتي بوي فلويد: سارق مصارف أمريكي ذاع صيته في بداية الثلاثينات من القرن العشرين.

(***) ما باركر أو الأم باركر: اسمها الحقيقي كايت باركر، وكانت امرأة أمريكية خارجة عن القانون، وهي أم أربعة مجرمين كانوا أفراد عصابتها، ذاع صيتها في بداية الثلاثينات من القرن العشرين.

(****) الماشين غان كيلي أو الرشاش كيلي: هو سارق ومجرم أمريكي من ممفيس ذاع صيته في الثلاثينات من القرن العشرين.

Tele: @Arab_Books

ببطاقة بول دورهام متدلية من جيبه، كان ذلك يعني أن عليك الحذر منه. بدأ الناس يتحدثون في الأرجاء عن الرهون العقارية الثانية والثالثة. عاد أبي ذات ليلة إلى المنزل بيد مكسورة وعيناه زرقاوان منتفختان. أمي كان لديها عمل يدفع راتباً قليلاً في مكان ما. وكل فتى في الحي كان يملك سروالين، سروالا يوم الأحد، وسروالا لكل يوم. وعندما تتمزق الأحذية لم تكن هناك أحذية جديدة. كانت في الأسواق نعال وكعوب الأحذية وكانوا يبيعونها بـ ١٥ أو ٢٠ سنتاً مع الصمغ، وتلك النعال والكعوب يتم لصقها بالصمغ أسفل الأحذية الممزقة. والدا جين كانا يملكان ديكاً واحداً وبعض الدجاجات في فنائهم الخلفي، وكانوا يأكلون أي دجاجة لا تبيض كفاية.

بالنسبة لي، كان كل شيء كما هو، في المدرسة، ومع تشاك، جين وإيدي. لم يكن الأمر يحدث للكبار فقط، أعني كيف أصبحوا حانقين وغاضبين، الأمر ذاته حلَّ بالأطفال، وحتى الحيوانات أصبحت غاضبة وحانقة على كل شيء. كان ذلك كأنهم احتذوا بالناس.

في ظهيرة أحد الأيام كنت أقف في المنطقة، منتظراً كالعادة، لم تكن الأمور جيدة مع العصابة، ويبدو أنها لن تكون لمدة طويلة. فجأةً رأيت جين، أسرع نحوي، «هنري، تعالَ!».

«ماذا هناك؟».

«قلت لك تعال!».

بدأ جين بالركض بعيداً فركضت خلفه. ركضنا خلال ممر ركن السيارات إلى الفناء الخلفي لمنزل عائلة غيبسون. كانوا يملكون سوراً ضخماً من القرميد على طول فنائهم الخلفي.

«انظر! لقد حشر القط هناك! سيقتله!».

كان قطاً أبيض صغيراً عالقاً في إحدى زوايا السور. لم يكن

Tele: @Arab_Books

بإمكانه الصعود إلى أعلى، ولا التحرك إلى أي اتجاه. ظهره كان مقوساً وبصق اللعاب من فمه، ومخالبه مهيئة للدفاع عن نفسه. لكنه كان صغيراً جداً وكلب تشاك البولدوغ، اسمه بارني، كان يزأر ويقترب أكثر باتجاه القط. خامرني إحساس أنهم وضعوا القط هناك عمداً ثم أتوا بكلب البولدوغ. كنت واثقاً من إحساسي، كون تشاك وإيدي وجين واقفين هناك يشاهدون الأمر: نظرة المذنبين علت وجوههم.

«أنتم فعلتم ذلك»، قلت.

«لا»، قال تشاك، «ذاك كان خطأ القط، هو أتى إلى هنا، دعه يقاتل من أجل طريق خروجه».

«أكرهكم يا أبناء الحرام!» قلت.

«بارني سيقتل ذاك القط!» قال جين.

«بارني سيمزقه لقطع!» قال فريدي، «إنه خائف من مخالب القط لكنه عندما يتحرك حركته الأولى سينتهي كل شيء».

بارني كان كلب بولدوغ بنياً ضخماً يملك فكّين يسيل منهما اللعاب بكثرة. كان كلباً غبياً وبديناً بعينين بنيتين ضعيفتين. كانت زمجرته على نسق واحد وكان يتقدم باتجاه القط بثبات، والشعر على رقبته وظهره كان منتصباً. شعرت أنني سأركله على مؤخرته الحمقاء لكنني فكرت بعدها أنني إن فعلت ذلك فسيمزق ساقي. كان يبدو أنه مصمماً على القتل. كان القط الأبيض فتياً وصغيراً. كان يتكئ على السور وينتظر، كائن جميل، نظيف للغاية.

تقدم الكلب ببطء نحوه. لماذا قاموا بفعل ذلك؟ هذا لم يكن أمراً له علاقة بالشجاعة، كانت حركة قذرة منهم. أين الكبار؟ أين السلطات؟ كانوا دائماً موجودين حولي يتهمونني، أين هم الآن؟

فكرت في الاندفاع نحو السور، إمساك القطّ والركض به بعيداً

Tele: @Arab_Books

من هنا، لكنني لم أكن أملك الشجاعة الكافية. كنت خائفاً من أن يهاجمني كلب البولدوغ. معرفة حقيقة أنني لم أكن أملك الشجاعة لفعل ما هو ضروري جعلني أشعر بالأسى. بدأت أشعر بالمرض في جسدي. كنت ضعيفاً. لم أكن أرغب في أن يحدث الأمر ولكنني لم أكن أستطيع التفكير في أية طريقة لإيقافه.

«تشاك»، قلت، «دعه يذهب، أرجوك! دع كلبك يتراجع!».

لم يجبني تشاك، ظل يشاهد، ثم قال، «بارني، اقض عليه! اقضِ على ذاك القط!».

تقدم بارني باتجاهه، وفجأةً قفز القط. كان كرة مشوشة مهسهسة غاضبة بيضاء، مخالب وأسنان. تراجع بارني إلى الخلف وتراجع القط إلى السور مجدداً.

«اقض عليه يا بارني!» قال تشاك مجدداً.

«تباً لك، أغلق فمك!» قلت له.

«لا تكلمني بهذه الطريقة!» قال تشاك.

بدأ بارني بالتقدم مجدداً.

«أنتم دبّرتم هذا الأمر عن عمد!» قلت.

سمعت صوتاً ما خلفنا ونظرت خلفي. رأيت السيد غيبسون وهو يشاهدنا من نافذة غرفة نومه. أراد أن يُقتل القط هو الآخر، مثل الآخرين. لماذا؟

كان السيد غيبسون العجوز رجل بريد الحي ورجل بريد منزلنا، كان يملك أسناناً مزيفة، وزوجته كانت تتواجد في المنزل طوال الوقت. كانت فقط تخرج لإلقاء القمامة. كانت السيدة غيبسون دائماً ترتدي غطاء مشبكاً على شعرها وكانت دائماً ما ترتدي ثوب النوم وفوقه رداء الحمام، وخفين. بعدها فيما أنا أشاهد الأمر، خرجت

Tele: @Arab_Books

السيدة غيبسون وهي ترتدي الملابس ذاتها التي ترتديها دائماً ووقفت بجانب زوجها، وانتظرت أن يُقتل القط. كان السيد غيبسون العجوز أحد الرجال القلائل في الحي الذين يملكون عملاً لكنه كان ما زال يريد أن يرى موت القط. غيبسون كان مثل تشاك وإيدي وجين. كان هناك الكثير مثلهم.

تقدم كلب البولدوغ أقرب نحو القط. لم أستطع مشاهدة الأمر. شعرت بالعار لأنني تركت القط هكذا. كانت دائماً هناك فرصة أن يهرب القط، لكنني كنت أعرف أنهم سيمنعونه من ذلك. لم يكن ذاك القط يواجه كلب البولدوغ فقط، بل كان يواجه البشرية كلها.

التفتُّ وسرت بعيداً، بعيداً عن الفناء، عبر ممر ركن السيارات وإلى الرصيف. سرت على الرصيف نحو المكان الذي كنت أعيش فيه، وهناك أمام فناء منزله الأمامه، كان أبي يقف منتظراً.

«أين كنت؟» سأل.

لم أجبه.

«ادخل إلى المنزل»، قال، «وتوقف عن التظاهر بأنك هكذا تعيس للغاية أو سأعطيك شيئاً لتكون تعيساً بسببه بجد!».

- ٢١ -

بعدها بدأتُ الدراسة في مدرسة ماونت جاستن الإعدادية. حوالي نصف الطلاب من مدرستي، مدرسة ديلسي الابتدائية، كانوا هناك، النصف الأشد والأكبر. قدمت عصابة أخرى من العمالقة من مدارس أخرى. صفنا السابع كان أكبر حتى من الصف التاسع في المدرسة. وعندما كنا نقف في صف واحد في حصة الجمنازيوم كان ذلك مضحكاً. معظمنا كان أكبر حجماً حتى من أساتذة صف

Tele: @Arab_Books

الجمنازيوم. كنا نقف هناك إلى أن يقوموا بجولة المناداة بالاسم، مترهلين، بطوننا متدلية، رؤوسنا لأسفل، وأكتافنا كذلك.

«يا إلهي!» قال فاغنر، مدرس حصة الجمنازيوم، «ارفعوا أكتافكم يا أولاد! قفوا مستقيمين!».

لا أحد منا كان يغير وقفته. كنا كما نحن، ولم نكن نريد أن نكون أيّ شيء آخر. كلنا أتينا من عائلات مرحلة الكساد الاقتصادي وأغلبنا لم نكن نأكل جيداً، بالرغم من ذلك كبرنا لنصبح ضخاماً وأقوياء. أظنّ أن أغلبنا تحصل على القليل من الحب من عائلاتنا، ولم نكن نطلب الحب أو الود من أي أحد. كنا مجرد مزحة لكن الناس كانوا حذرين من أن يضحكوا علينا أمامنا. كان ذلك كأننا كبرنا بسرعة وأصبحنا ضجرين من كوننا مجرد أطفال. لم نكنّ الاحترام للكبار. كنا مثل نمور مصابة بالجرب.

أحد الزملاء اليهود، سام فلدمان، كانت لديه لحية سوداء وكان عليه أن يحلقها كل صباح. في الظهيرة ذقنه يسودّ مجدداً. وكان لديه شعر أسود على صدره بالكامل ورائحته إبطيه كانت كريهة. شخص آخر كان يبدو مثل جاك دمبسي(*). أحد آخر، بيتر مانغالوري، كان يملك قضيباً ناعماً طوله ١٠ إنشات. وعندما ذهبنا إلى الحمام للاغتسال بعد حصة الجمنازيوم، اكتشفت أنني أملك أكبر خصيتين بينهم جميعاً.

«انظر إلى حجم خصيتَي ذاك الشخص! ما هذا!».

«اللعنة! القضيب ليس كبيراً، لكن انظر إلى الخصيتين! اللعنة!».

لا أعرف ما هو الشيء المميز فينا، لكننا كنا نملك شيئاً ما، وكنا نشعر به. كان بالإمكان رؤيتنا ونحن في الطريق نسير ونتحدث. لم

(*) جاك دمبسي: ملاكم أمريكي.

Tele: @Arab_Books

نكن نتحدث كثيراً، كنا نستنتج من الكلام القليل بيننا، وهذا ما جعل الجميع غاضبين، كيف كنا نأخذ الأمور كأنها أمر مسلّم به.

كان فريق الصف السابع يلعب كرة القدم بعد المدرسة ضد الصفين الثامن والتاسع. لم يكن هناك منازع. كنا نهزمهم بسهولة، نُسقطهم أرضاً، فعلنا ذلك بسهولة، وبدون جهد يذكر. معظم الفرق في كرة القدم مررت الكرة في كل لعبة، بينما فريقنا كان يركض معظم الأحيان. بعدها كنا نُعد حاجز الدفاع ولاعبو فريقنا كانوا يركضون باتجاه المهاجمين من الفريق الآخر ويوقعونهم أرضاً. كان ذلك عذراً لممارسة العنف، لم نهتم قطّ بالراكض من الفريق المنافس. دائماً ما كان الطرف الثاني سعيداً عندما نقرر أن تكون لعبتنا القادمة التمرير.

الفتيات بقين بعد دوام المدرسة وشاهدننا. بعضهن كن يخرجن مع أولاد من المدرسة الثانوية، لم يكن يردن أن يعبثن مع أوغاد من المدرسة الإعدادية، لكنهن بقين لمشاهدة أولاد الصف السابع. كنا معروفين. الفتيات بقين بعد المدرسة ليشاهدننا ونحن نلعب وننتصر. لم أكن في الفريق لكنني كنت أقف على جانب الملعب، مدخناً السجائر بالخفاء، شاعراً أنني مدرب أو شيء كهذا. اعتقدنا أننا كلنا سنضاجع ونحن نشاهد الفتيات. لكن معظمنا مارسوا العادة السرية فقط.

العادة السرية. أتذكر كيف تعلمت ذلك. في صباح أحد الأيام دقّ ايدي على نافذة غرفة نومي.

«ما هذا؟» سألت إيدي.

كان يحمل أنبوب اختبار فيه شيء أبيض في قعره.

«ما هذا؟».

«تعال»، قال إيدي، «إنه منيّي».

«ماذا؟».

Tele: @Arab_Books

«أجل، كل ما تفعله هو أن تبصق في يدك وتبدأ بفرك قضيبك، الشعور رائع، وبعدها بقليل يبصق قضيبك عصيراً أبيض، وهذا اسمه منيّ».

«حقاً؟».

«أجل، حقاً!».

رحل إيدي وهو يحمل أنبوب الإختبار خاصته. فكرت في الأمر لفترة ثم قررت أنني سأجرب ذلك. أصبح قضيبي صلباً وخالجني إحساس رائع، تزايد مع استمراري في الفرك، واستمررت حتى شعرت بشيء لم أشعر به من قبل. اندفع العصير من رأس قضيبي. بعدها بدأت أمارس ذلك من حين لآخر. يصبح الأمر أفضل إن تخيلت فتاة ما بينما تقوم بفعلها.

في أحد الأيام كنت واقفاً على خطوط الملعب أشاهد فريقنا وهو يركل مؤخرة فريق آخر وينتصر عليه بكل سهولة. كنت أدخن سيجارة بالخفاء وأنا أشاهد المباراة. كانت هناك فتاة ما بجانبي. وبينما اخترق فريقنا دفاع الفريق الآخر رأيت مدرب الجمنازيوم، كيرلي فاغنر، وهو يسير نحوي. رميت السيجارة وبدأت أصفق.

«لنُسقطهم على مؤخراتهم يا أولاد!».

سار فاغنر نحوي. وقف أمامي وحدقّ فيّ. لقد أصبحت قادراً على إظهار تعبير شرير على وجهي.

«سأقوم بالإمساك بكم قريباً! كلكم!» قال فاغنر، «وخاصة أنت!».

التفت برأسي ونظرت إليه نظرة خاطفة، ثم التفت برأسي بعيداً عنه. وقف فاغنر هناك محدقاً فيّ. ثم سار بعيداً.

شعرت بشعور جيد بعدها. كنت أحب أن يراني الناس كواحد

Tele: @Arab_Books

من الأولاد السيئين. أحببت أن أشعر أنني سيئ. أي أحد يمكنه أن يكون شخصاً جيداً، ولكن هذا لم يكن يحتاج إلى أي شجاعة. ديلينجر كان شجاعاً. ما باركر كانت امرأة رائعة وهي تعلّم أولئك الرجال كيفية العمل على الرشاش الآلي. لم أكن أريد أن أكون مثل أبي. كان يتظاهر أنه سيئ، لا أكثر. عندما تكون سيئاً أنت لا تتظاهر، فقط تكون سيئاً. أحببت أن أكون سيئاً. محاولة أن أكون شخصاً جيداً تثير اشمئزازي.

الفتاة بجانبي قالت لي، «ليس عليك أن تتقبل هذه المعاملة من فاغنر. هل أنت خائف منه؟».

التفت وبقيت أنظر إليها. حدقت فيها لفترة طويلة دون أن تصدر مني أي حركة.

«ما خطبك؟» سألتني.

أزحت نظري عنها وبصقت على الأرض وسرت بعيداً. بدأت أمشي ببطء على طول الملعب، وخرجت من البوابة الخلفية وأكملت طريقي للمنزل.

كان فاغنر دائماً يرتدي قميصاً قطنياً رمادي اللون وسروالاً رياضياً رماديا أيضاً، وبطنه بارزة قليلاً للأمام. كان هناك شيء ما مزعج حول فاغنر. أفضليته الوحيدة كانت عمره. كان يحاول خداعنا كل مرة، لكن مع الوقت لم يعد يفيد ذلك. كان دائماً ما يوجد ذلك الشخص الذي يضغط عليّ ولا يملك الحق على الإطلاق في الضغط عليّ. فاغنر وأبي. أبي وفاغنر. ماذا كانا يريدان مني؟ لماذا كنت أنا في طريقهما؟

Tele: @Arab_Books

في أحد الأيام، مثلما حدث تماماً في المدرسة الابتدائية مع ديفيد، التصق بي أحد الفتية. كان صغيراً ونحيلاً وكان لا يملك أي شعر على رأسه. الرفاق سموه «بولدي». اسمه الحقيقي كان إيلي لاكروس. أحببت اسمه الحقيقي، لكنه لم يرق لي. لقد ألصق نفسه بي. كان مثيراً للشفقة للغاية ولم أكن أستطيع أن أقول له اغرب عن وجهي. كان مثل الكلب الهجين، دائماً جائع ودائماً يركل. لم أكن أشعر بخير وهو يرافقنا في الأرجاء. لكنني كنت أعرف شعور الكلب الهجين، لذا تركته يتسكع معي. كان يستخدم كلمة بذيئة في كل جملة، على الأقل كلمة واحدة، لكن كل ذلك كان مزيفاً، لم يكن فتى قوياً، كان جباناً. لم أكن جباناً لكنني كنت مشوشاً، إذاً ربما كنا ثنائياً ملائماً.

كنت أسير معه إلى منزله كل يوم بعد دوام المدرسة. كان يعيش مع والدته، والده وجده. كانوا يملكون منزلاً صغيراً مقابل حديقة صغيرة. أحببت المنطقة، كان فيها أشجار مظللة، وحيث إن الناس كان يقولون إنني قبيح، دائماً ما أحببت أن أبقى تحت الظل على البقاء تحت الشمس، الظلام لا الضوء.

حدثني بولدي عن والده أكثر من مرة خلال المرات التي كنت أسير فيها معه إلى منزله. كان والده طبيباً، جراحاً ناجحاً، إلا أنه فقد رخصته الطبية لأنه كان سكيراً. في أحد الأيام قابلت والد بولدي. كان يجلس على كرسي تحت شجرة، جلس هناك فحسب.

«بابا»، قال بولدي، «هذا هنري».

«أهلاً يا هنري».

ذكّرني الأمر بنفسي عندما رأيت جدي لأول مرة وهو يقف على

Tele: @Arab_Books

درجات منزله. كان لوالد شعر أسود ولحية سوداء، لكن عينيه كانتا مثل عيني جدي، عبقريتين ومضيئتين، غريبتين للغاية. وها هو بولدي، الابن، ولم يكن مضيئاً على الإطلاق.

«تعال»، قال بولدي، «الحق بي».

نزلنا إلى القبو تحت المنزل. كان مكاناً مظلماً وقذراً، وقفنا هناك لفترة حتى اعتادت أعيننا على الظلام. بعدها استطعت أن أرى عدداً من البراميل.

«هذه البراميل مليئة بأنواع مختلفة من النبيذ»، قال بولدي، «كل برميل له حنفية. هل تريد أن تجرب بعضاً من النبيذ؟».

«لا».

«هيا جرب، خذ رشفة لعينة واحدة».

«لماذا؟».

«أنت تعتقد أنك رجل لعين ما أو ماذا؟».

«أنا قوي!» قلت.

«إذاً جرب قليلاً من النبيذ اللعين!».

ها هو بولدي الصغير يتحداني. لا مشكلة. سرت نحو أحد البراميل وأنزلت رأسي لأسفل.

«افتح الحنفية اللعينة! افتح فمك اللعين!».

«هل توجد أي عناكب هنا في الأرجاء؟».

«هيا اشرب! هيا اشرب! اللعنة!».

وضعت فمي تحت حنفية البرميل وفتحتها. تدفق سائل قوي الرائحة إلى فمي، فبصقته.

«لا تكن جباناً! ابلعه، ماذا بك اللعنة!».

فتحت الحنفية مجدداً وفتحت فمي. دخل السائل قوي الرائحة فمي وبلعته. أغلقت الحنفية ووقفت هناك. فكرت أنني سأتقيأ.

Tele: @Arab_Books

«الآن، اشرب أنت بعضاً منه!» قلت لبولدي.

«أكيد»، قال، «أنا لست جباناً!».

نزل بولدي تحت البرميل وأخذ رشفة جيدة من النبيذ. أحمق مثل هذا لن يغلبني. نزلت تحت برميل آخر، فتحته وأخذت رشفة منه. وقفت. بدأ يخامرني إحساس جيد.

«اسمع يا بولدي»، قلت، «لقد أحببت هذا السائل!».

«حسناً إذاً، اشرب المزيد منه».

شربت أكثر. أصبح طعمه أفضل. بدأت أشعر بشعور أفضل.

«هذا المشروب ملك والدك يا بولدي، لا يجدر بي أن أشربه كله».

«إنه لا يهتم بالأمر. لقد توقف عن الشرب».

أبداً لم أشعر بمثل هذا الشعور الجيد من قبل. لقد كان أفضل من العادة السرية.

بدأت أشرب وأنتقل من برميل إلى آخر. لقد كان الأمر ساحراً. لماذا لم يخبرني أي أحد من قبل؟ بهذا، الحياة كانت رائعة، الرجل كان كاملاً ومثالياً، لا شيء يمكن أن يمسه.

وقفت باستقامة ونظرت إلى بولدي. «أين هي والدتك؟ أنا سأضاجع والدتك!».

«سأقتلك، يا ابن القحبة، ابقَ بعيداً عن أمي!».

«أنت تعرف أنه يمكنني التغلب عليك بسهولة يا بولدي».

«أجل».

«حسناً، سأدع أمك وشأنها».

«لنذهب يا هنري».

«رشفة واحدة أخرى فقط...».

Tele: @Arab_Books

ذهبت إلى برميل آخر وأخذت رشفة طويلة. بعدها خرجنا من القبو. عندما خرجنا وجدنا والد بولدي جالساً كما هو في كرسيه.

«يا أولاد، كنتم في قبو النبيذ، هاه؟» قال والد بولدي.

«أجل»، قال بولدي.

«بدأتم باكراً، أليس كذلك؟».

لم نجبه. ذهبنا من هناك وسرنا باتجاه الجادة. دخلنا أنا وبولدي إلى المتجر واشترينا علكة. اشترينا عدة علب من العلكة ووضعناها في أفواهنا. كان بولدي خائفاً من أن تكتشف والدته الأمر. لم أكن قلقاً من أي شيء. جلسنا على المقعد في الحديقة وأخذنا نمضغ العلكة، وفكرت، حسناً، الآن لقد اكتشفت شيئاً ما، لقد اكتشفت شيئاً ما سيساعدني لمدة طويلة قادمة. عشب الحديقة بدا أكثر اخضراراً، مقاعد الحديقة بدت أجمل والورود كانت تبدو أجمل. ربما هذا السائل، هذا الشيء، ليس جيداً للجراحين بل لأي أحد يريد أن يكون جراحاً، على العموم كان هناك خطأ ما فيهم منذ اللحظة الأولى.

- ٢٣ -

في مدرسة ماونت جاستن، كانت حصة الأحياء الدقيقة بديعة حقاً. كان معلمنا السيد ستانهوب. كان رجلاً عجوزاً عمره ٥٥ عاماً تقريباً وكنا تقريباً مسيطرين عليه تماماً في الحصة. كانت ليلي فيشمان معنا في الفصل وكان جسدها بالغاً حقاً. كان نهداها كبيرين ومؤخرتها مثيرة للغاية وكانت تهتز بينما كانت تسير في أرجاء المدرسة وهي ترتدي كعبها العالي. كانت رائعة، تحدثت مع كل الأولاد وكانت تلتصق بهم كلما تحدثت معهم.

كل يوم في حصة الأحياء الدقيقة الشيء نفسه يحدث. لم نتعلم

Tele: @Arab_Books

أي شيء عن الأحياء الدقيقة. كان السيد ستانهوب يتحدث لعشرة دقائق ومن ثم كانت ليلي تقول، «أوه، سيد ستانهوب، دعنا نبدأ العرض!».

«لا!» كان السيد ستانهوب يقول.

«أوه، سيد ستانهوب!».

كانت تنهض من مقعدها وتسير نحو مكتبه، تنحني عليه بكل لطف وتهمس في أذنه شيئاً ما.

«أوه، حسناً، حسناً...». كان يقول.

بعدها تبدأ ليلي بالغناء والتمايل. كانت تفتتح العرض دائماً بأغنية «تهويدة من برودواي» وبعدها تنتقل إلى أغان أخرى. كانت رائعة، مثيرة، تشتعل إثارة، ونحن كنا مثارين أيضاً. كانت مثل امرأة بالغة، تثير ستانهوب، وتثيرنا أيضاً. كان ذلك مذهلاً. كان ستانهوب العجوز يجلس هناك يتلعثم ويُريِّل. كنا نضحك عليه ونهتف لليلي. استمر الأمر ذاته كل مرة إلى أن دخل علينا الناظر السيد لايسفيلد ذات يوم.

«ماذا يحدث هنا؟».

جلس ستانهوب هناك غير قادر على التفوه بكلمة.

«لقد انتهت هذه الحصة!» صرخ لايسفيلد.

بينما كنا نخرج من الفصل، قال لايسفيلد، «وأنتِ يا آنسة فيشمان، ستأتين معي إلى مكتبي!».

بالطبع، بعد ما حدث لم نقم بعمل واجباتنا قط، وهذا كان جيداً حتى أتى اليوم الذي أعطانا فيه السيد ستانهوب أول امتحان لنا.

«تباً!» قال بيتر مانغالوري بصوت عالٍ، «ماذا سنفعل؟».

بيتر كان ذلك الولد الذي يملك قضيباً ناعماً طوله ١٠ إنشات.

«لن يتوجب عليك أبداً أن تعمل لأجل لقمة العيش»، قال الولد الذي يشبه جاك ديمبسي، «هذه هي مشكلتنا».

Tele: @Arab_Books

«ربما يجب علينا أن نحرق المدرسة»، قال ريد كيركباتريك.

«تباً!» قال أحدهم من آخر الغرفة، «كل مرة أتحصل فيها على درجة راسب يقوم أبي باقتلاع أحد أظافري».

كلنا نظرنا إلى ورقة الامتحان. فكرت في أبي. ثم فكرت في ليلي فيشمان. يا ليلي فشيمان، فكرت، أيتها العاهرة، أيتها المرأة الشريرة التي تتمايل بجسدها أمامنا وتغني بتلك الطريقة، سترسلينا جميعاً إلى الجحيم. ستانهوب كان يراقبنا.

«لماذا لا يكتب أي أحد منكم؟ لماذا لا يجيب أحد منكم عن الأسئلة؟ هل لدى كل أحد منكم قلم؟».

«أجل، أجل، جميعاً لدينا أقلام»، قال أحدهم.

جلست ليلي في المقعد الأمامي، أمام مكتب السيد ستانهوب مباشرةً. رأيناها وهي تفتح كتاب الأحياء الدقيقة وتبحث عن جواب السؤال الأول. هذا ما كان عليه الأمر. قمنا جميعاً بفتح كتب الأحياء الدقيقة خاصتنا. جلس ستانهوب هناك يراقبنا فحسب. لم يكن يعلم ماذا يجب عليه أن يفعل. بدأ يتلعثم. جلس هناك لخمس دقائق طويلة، ثم قفز من كرسيه وركض إلى نهاية الفصل وبدايته عدة مرات.

«ما الذي تفعلونه؟ أغلقوا هذه الكتب! أغلقوا هذه الكتب!».

أغلق الطلبة الكتب بينما كان يركض بجانبهم، وعندما يتخطاهم كانوا يفتحون الكتب مجدداً.

بولدي كان جالساً في المقعد الذي كان بجانبي، وكان يضحك.

«إنه أحمق! يا له من عجوز أحمق!».

شعرت ببعض الأسى تجاه ستانهوب لكن كان الأمر إما هو أو أنا. وقف ستانهوب وراء مكتبه وصرخ، «يجب أن تُغلق كل الكتب وإلا جعلت الفصل كله يرسب!».

ثم وقفت ليلي فيشمان فجأة، رفعت تنورتها وسحبت قليلاً

Tele: @Arab_Books

لأسفل أحد جواربها النسائية الحريرية. قامت بتعديل رباط الجورب، ونحن رأينا لحمها الأبيض. ثم رفعت ساقها الأخرى وعدلت الجورب الآخر.

يا له من مشهد لم نره من قبل قطّ، حتى ستانهوب لم يرَ شيئاً كهذا من قبل. جلست ليلي وأكملنا نحن الامتحان بالكتب مفتوحة على مصراعيها. وقف ستانهوب وراء مكتبه، مهزوماً تماماً.

مزحنا مع شخص آخر، يدعى بوب فارنزوورث. بدأ الأمر في أول يوم في حصة الميكانيكا. قال لنا، «هنا نحن نتعلم عن طريق التطبيق العملي. سنبدأ من هذه اللحظة. ليأخذ كل منكم محركاً مفكوكاً، ولتقوموا بتركيبه مجدداً ليصبح في شكله السليم تماماً خلال هذا الفصل الدراسي. هناك تجدون اللوحات الإرشادية على الحائط وأنا سأقوم بالإجابة عن أي سؤال لديكم. وأيضاً سأريكم أفلاماً عن كيفية عمل المحرك. لكن الآن رجاءً ابدأوا بتفكيك المحركات التي أمامكم. الأدوات تجدونها على الرف».

«اسمع يا بوب، لنشاهد الأفلام أولاً، ما رأيك؟» قال أحدهم.

«لقد قلت، ابدأوا بالعمل أولاً!».

لا أعلم من أين تحصلون على كل هذه المحركات. كانت مشحّمة وسوداء ويعتريها الصدأ. كان شكلها كئيباً حقاً.

«اللعنة!» قال أحدهم، «هذا الشيء هو كتلة مسدودة من الزبالة».

وقفنا وراء محركاتنا. معظمنا أخذ مفتاح ربط من فوق الرف. ريد كيركباتريك أخذ مفك مسامير وبدأ بفرك أعلى المحرك ببطء وبحذر حتى تكوّن شريط من الشحم الأسود طوله قدمان.

«هيا يا بوب، ما رأيك أن نشاهد فيلماً الآن؟ لقد خرجنا لتونا من الجمنازيوم، نحن متعبون جداً! جعلنا فاغنر نقفز ونجري مثل زمرة ضفادع!».

Tele: @Arab_Books

«ابدأوا بعمل واجبكم كما طُلب منكم!» قال بوب.

بدأنا بالعمل. كان العمل بلا أية مشاعر. كان أسوأ من حصة تقدير الموسيقي. كان يمكن سماع قعقعة الآلات ومعها الأنفاس العميقة التي صدرت منا.

«اللعنة!» صرخ هاري هيندرسون، «لقد قمت بكشط مفصلي اللعين بالكامل! اللعنة! ما نفعله هذا ليس إلا ضرباً من العبودية البيضاء!».

قام هاري بلفّ منديل حول مفصله وبقي يشاهد الدم وهو يُقطر من المنديل. «تباً»، قال هاري.

بقيتنا ظلوا يحاولون. «أُفضل أن أضع رأسي في فرج فيل على أن أعمل هذا!» قال ريد كيركباتريك.

قام جاك ديمبسي برمي مفتاحه على الأرض. «أنا أستسلم»، قال، «افعل بي أي شيء تريد، أنا أستستلم. اقتلني. اقطع خصيتي حتى! أنا أستستلم!».

سار جاك نحو الحائط واتكأ عليه. طوى يديه على صدره وأنزل عينيه وظل يشاهد نعله.

بدا الوضع فظيعاً حقاً. لا توجد فتيات معنا. عندما تنظر عبر الباب الخلفي من الورشة يمكنك أن تشاهد ساحة المدرسة، ضوء الشمس، الساحة الفارغة هناك حيث لا يوجد أي شيء تفعله. وهنا كنا منحنين على محركات غبية غير موصولة بأية سيارة، كان الأمر بلا جدوى. حديد غبي لا أكثر. حديد أحمق وصلب. احتجنا إلى الرحمة. حياتنا كانت سيئة كفاية. شيء ما عليه أن ينقذنا. سمعنا أن بوب كان مرناً بعض الشيء لكن يبدو أن تلك كانت كذبة. لقد كان ابن قحبة ضخماً ببطن سكير، يرتدي زي الميكانيكي الملطخ بالشحم الأسود، وبشعره الطويل المتدلي على عينيه والشحم الملتصق بلحيته.

Tele: @Arab_Books

رمى آرني وايتشايبل مفتاحه على الأرض وسار إلى السيد فارنزوورث. ظهرت ابتسامة كبيرة على وجه آرني. «اسمع يا بوب، ما الذي تريده منا بحق الجحيم؟».

«عُد إلى محركك يا وايتشايبل!».

«اه، هيا يا بوب، ماذا بك!» آرني كان أكبر من معظمنا بعدة سنوات، ولقد أمضى عدة سنوات في مدرسة إصلاحية للأولاد. بالرغم من كونه أكبر منا سناً، كان أصغر منا حجماً. كان لديه شعر أسود كثيف وكان يسرحه للخلف بالفازلين. كان يقف أمام المرآة في حمام الأولاد ويبدأ بعصر الحبوب على وجهه، وكان يتحدث بشكل بذيء مع الفتيات ويحمل أوقية الشِيكّ الذكرية في جيوبه.

«لدي نكتة جيدة من أجلك يا بوب»، قال آرني.

«حقاً؟ عُد إلى محركك يا وايتشايبل!».

«إنها نكتة جيدة يا بوب».

وقفنا هناك نشاهد آرني وهو يخبر بوب النكتة القذرة. كان رأساهما متقاربين. ثم انتهت النكتة، بوب بدأ يضحك. تَضخم ذاك الجسد الضخم مرتين وأمسك بوب بطنه من الضحك. «يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي!» ظل يضحك. ثم توقف. «حسناً يا آرني، عُد الآن إلى محركك!».

«لا، انتظر يا بوب، لدي نكتة أخرى!».

«حقاً؟».

«أجل، اسمع...».

تركنا المحركات وسرنا نحو بوب وآرني. أحطنا بهما، واستمعنا لآرني وهو يروي النكتة الثانية. عندما انتهى، تضخم حجم بوب مرة ثانية، «يا إلهي! اللعنة! يا إلهي!».

«اسمع هذه النكتة يا بوب. هذا الرجل يقود سيارته في

Tele: @Arab_Books

الصحراء، فلاحظ هذا الرجل الذي ظل يقفز على الطريق. كان عارياً ويداه وقدماه مربوطتين بحبل، فأوقف الرجل سيارته وسأل الرجل، «أنت يا صديقي، ما المشكلة؟» فرد عليه الرجل، «حسناً، كنت على حالي أقود سيارتي على الطريق عندما رأيت هذا الشخص اللعين واقفاً في الطريق يحاول الحصول على توصيلة، فأوقفت السيارة لأوصله، فأخرج ابن القحبة هذا مسدساً وشهره عليَّ! أخذ ملابسي ثم ربطني بهذا الحبل، ثم قام ابن القحبة القذر باغتصابي في مؤخرتي!»»

«أحقاً فعل ذلك؟» قال الرجل وهو يترجل من سيارته.

«أجل حقاً، هذا ما فعله ابن القحبة القذر!» قال الرجل العاري.

«حسناً»، قال الرجل وهو يُنزل سحّاب سرواله، «أعتقد أن هذا اليوم ليس يوم سَعدك!».

بدأ بوب يضحك، تَضخم حجمه مرة ثانية. «أوه لا! أو لا! أوه... اللعنة... اللعنة... يا إلهي.. اللعنة.. يا إلهي...!» ثم توقف عن الضحك. «اللعنة عليك»، قال بوب بصوت هادئ، «أوه يا إلهي...».

«ما رأيك أن نشاهد الفيلم الآن يا بوب؟» قال آرني.

«أوه حسناً، لا بأس».

بعدها أقفل أحدهم الباب الخلفي وأنزل بوب الشاشة البيضاء القذرة لأسفل. قام بوب بتشغيل جهاز العرض. كان فيلماً سيئاً لكنه كان أفضل من العمل على تلك المحركات. كان البنزين يشتعل بالشرارة الخارجة من شمع الاحتراق والانفجار يصيب رأس الأسطوانة والرأس يُدفع لأسفل وهذا يدير العمود المرفق ومن ثم تُفتح الصمامات وتُغلق ورأس الأسطوانة يظل يتحرك لأعلى وأسفل والعمود المرفق يتحرك أكثر. الأمر ليس مثيراً للاهتمام كثيراً، لكنه

Tele: @Arab_Books

كان أفضل من لاشيء، وكان يمكنك أن تتكأ على كرسيك وتفكر بما تريد أن تفكر به. لم يكن يتوجب عليك أن تفرك بيديك على حديد غبي.

لم نستطع أبداً فك تلك المحركات ولا تركيبها على أية حال، ولا أعرف كم مرة شاهدنا الفيلم ذاته. نكات وايتشابيل لم تنته، كل يوم نكتة جديدة، وكنا نضحك بجنون في كل مرة حتى لو كانت النكت سيئة للغاية، إلا بالنسبة لبوب فرانزوورث الذي ظل يتضخم حجمه مرتين كلما سمع النكات. - «يا إلهي! أوه لا! أوه لا، لا، لا!...».

كان شخصاً جيداً. لقد أحببناه.

- ٢٤ -

معلمتنا لمادة الإنجليزية، الآنسة غريدس، كانت أروع معلمة. كانت شقراء ولها أنف طويل حاد. لم يكن أنفها جميلاً لكنك لا تلاحظ الأمر بعد النظر إلى باقي جسدها. كانت ترتدي فساتين ضيقة ذات رقبة واسعة، وكعباً أسود دائماً وجوارب نسائية حريرية. كانت مثل الأفعى بساقين طويلتين جميلتين. كانت تجلس وراء مكتبها فقط عندما كانت تسجل الغياب في الفصل. كانت تترك مقعداً فارغاً أمام مكتبها وبعد أن تسجل الغياب تأتي لتجلس فوق المقعد وهي تواجهنا. جلست الآنسة غريدس جاثمة هناك ووضعت ساقيها فوق بعضهما البعض فارتفعت تنورتها. لم نر في حياتنا كاحلين مثل كاحليها، مثل ساقيها، مثل فخذيها. حسناً، صحيح كانت هناك ليلي فيشمان، لكن ليلي كانت فتاة - امرأة أما الآنسة غريدس فكانت امرأة كاملة. وكان بإمكاننا أن نشاهدها لساعة كاملة كل يوم. لم يكن يوجد

Tele: @Arab_Books

ولد في ذلك الفصل لا يعتريه الحزن عندما يُقرع جرس نهاية حصة مادة الإنجليزية. كنا نتحدث عنها.

«ألا تعتقد أنها تريد أن تُضَاجع؟».

«لا، أعتقد أنها فقط تغيظنا. إنها تعلم أنها تدفعنا للجنون، هذا كل ما تحتاج إليه، هذا كل ما تريده».

«أنا أعرف أين تعيش. سأذهب إلى هناك ذات ليلة».

«لن تملك الجرأة لفعل ذلك!».

«حقاً؟ حقاً؟ سأضاجعها وأجعلها تتغوّط! إنها تريد ذلك!».

«أعرف شخصاً في الفصل الثامن قال إنه ذهب إلى بيتها ذات ليلة».

«حقاً؟ ماذا حدث؟».

«فتحت الباب وهي ترتدي ثوب النوم، صدرها شبه مكشوف. قال إنه نسي واجب اليوم التالي وكان يتساءل ما هو، فدعته إلى الداخل».

«اللعنة، حقاً؟».

«أجل. لم يحدث شيء. حضرت له بعض الشاي، أخبرته عن الواجب، ثم غادر».

«لو استطعت الدخول فقط، هذا سيفي بالغرض!».

«حقاً؟ ماذا كنت ستفعل؟».

«أولاً كنت سأصبعها بمؤخرتها، بعدها كنت سألحس فرجها، ثم أضاجعها بين نهديها وبعد ذلك سأرغمها على رضع قضيبي!».

«أنت تحلم، أيها الفتى الحالم! هل مارست الجنس من قبل؟».

«بالطبع، مارست الجنس من قبل، عدة مرات».

«كيف كان ذلك؟».

«سيئاً».

Tele: @Arab_Books

«لم تستطع القذف، أليس كذلك؟».

«لا، لقد قذفت في كل أرجاء المكان، وظننت أن ذلك لن يتوقف».

«قذفت على كف يدك أليس كذلك؟».

«ها، ها، ها، ها!».

«أوه، ها، ها، ها، ها، ها!».

«ها، ها، ها!».

«على يدك أليس كذلك؟».

«تباً لكم!».

«لا أعتقد أن أحداً فينا مارس الجنس من قبل»، قال أحد الأولاد.

حلَّ الصمت.

«هذا هراء، لقد مارست الجنس عندما كنت في السابعة!».

«هذا لا شيء، أنا مارست الجنس عندما كنت في الرابعة!».

«بالطبع يا ريد، أنت أروع فتى!».

«كنّا أنا وفتاة صغيرة تحت المنزل».

«هل تمكنت من رفعه؟».

«أكيد».

«وقذفت؟».

«أعتقد ذلك. شيء ما خرج منه».

«أكيد، لقد تبولت في الفتاة يا ريد!».

«هراء!».

«ما كان اسمها؟».

«بيتي آن».

Tele: @Arab_Books

«تباً»، قال الولد الذي ادّعى أنه مارس الجنس عندما كان في السابعة. «الفتاة التي ضاجعتها كان اسمها بيتي آن أيضاً».

«تلك العاهرة!» قال ريد.

في يوم ما في فصل الربيع كنا جالسين في الفصل في حصة الإنجليزية والآنسة غريدس كانت جالسة فوق المقعد وهي تواجهنا. كانت تنورتها هذه المرة مرتفعة أكثر من كل مرة، كان ذلك رهيباً، جميلاً، مذهلاً وقذراً.

مثل تلك السيقان، مثل تلك الأفخاذ، كنا قريبين جداً من السحر. كان ذلك لا يصدق. جلس بولدي في المقعد الذي كان بجانب مقعدي. مد بولدي إصبعه إلى ساقي ولكزني:

«إنها تُحطم كل الأرقام القياسية!» همس لي، «انظر! انظر!».

«يا إلهي!» قلت، «اصمت وإلا ستقوم بإنزال تنورتها لأسفل!».

أرجع بولدي يده للخلف وأنا انتظرت. لم نقم بإخافة الآنسة غريدس. ظلت تنورتها مرتفعة للغاية. كان بالفعل يوماً للذكرى. لم يكن هناك فتى في الفصل بدون قضيب منتصب والآنسة غريدس ظلت تتكلم. أنا متأكد أن الأولاد لم يسمعوا أي كلمة من الكلمات التي قالتها. على أية حال، التفتت الفتيات ونظرن إلى بعضهن البعض كأنهن يردن القول، هذه العاهرة تمادت كثيراً. الآنسة غريدس لم تكن تتمادى. كان الأمر تقريباً أكثر من مجرد فرج موجود هناك فوق المقعد، أكثر من ذلك بكثير. تانك الساقان. ثم عبرت الشمس من النافذة وانهمرت على تينك الساقين والفخذين، لعبت الشمس فوق ذلك الحرير الضيق المربوط على اللحم. كانت التنورة مشدودة للغاية لأعلى، صلينا كلنا للمحة واحدة من سروالها الداخلي، لمحة واحدة من شيء ما، يا إلهي، كان ذلك كأن العالم انتهى وبدأ وانتهى وبدأ مجدداً، كان ذلك كل شيء، حقيقي وغير حقيقي، الشمس،

Tele: @Arab_Books

الفخذان، والحرير، ناعم جداً، دافئ جداً، مغر جداً. الغرفة كلها ارتجفت. النظر أصبح مشوشاً ثم عاد مجدداً والآنسة غريدس ظلت جالسة كما هي كأن لا شيء يحدث وظلت تتكلم كأن كل شيء على ما يرام. هذا ما جعل الأمر فظيعاً للغاية وجيداً للغاية: حقيقة أنها كانت تتظاهر أن شيئاً لم يحدث. نظرتُ لأسفل إلى سطح مقعدي للحظة، ورأيت العروق على الخشب، كانت تبدو أعمق كأن مسار كل واحد منها هو دوامة من سائل يدور حول نفسه. ثم نظرت بسرعة إلى تينك الساقين والفخذين غاضباً على نفسي لأنني نظرت بعيداً للحظة ولربما فوتُّ شيئاً ما على نفسي.

ثم بدأت الأصوات: «عاهرة، عاهرة، عاهرة، عاهرة...». قال ريتشارد وايت. كان يجلس في مقعد في مؤخرة الفصل. كان يملك أذنين هائلتي الحجم وشفتين غليظتين، كانت الشفتان منتفختين ومتوحشتين وكان يملك رأساً كبيراً. كانت عيناه بالكاد تملكان أي لون، لم تكونا مثيرتين للاهتمام ولم تعكسا عبقرية ما. كانت قدماه كبيرتين وفمه دائماً ما كان مفتوحاً بشكل هائل. عندما كان يتكلم، تخرج منه الكلمات واحدة تلو الأخرى، ببطء مثلعثم، وباستراحات طويلة بينها. لم يكن مخنثاً حتى. لم يتحدث مع أحد أبداً. لا أحد كان يعرف ما الذي كان يفعله في مدرستنا. لقد أعطى انطباعاً أن شيئاً ما مفقوداً من مظهره. كان يرتدي ثياباً نظيفة، لكن قميصه كان دائماً متدلياً من الخلف، زر واحد أو اثنان كانا مفقودين من قميصه أو سرواله. ريتشارد وايت. كان يعيش في مكان ما وكان يأتي للمدرسة كل يوم.

«عاهرة، عاهرة، عاهرة، عاهرة...».

ريتشارد وايت كان يمارس العادة السرية تحيةً لساقَي وفخذَي الآنسة غريدس. لقد استسلم للأمر في النهاية. ربما لم يكن يفهم

Tele: @Arab_Books

كيف كان يسير المجتمع. الآن سمعناه كلنا. الآنسة غريدس سمعته أيضاً. الفتيات سمعنه. عرفنا جميعاً ما الذي كان يفعله. كان غبياً لعيناً لدرجة أنه لم يملك حتى حساً كافياً ليكون هادئاً وهو يفعلها. وكان يُثار أكثر مع كل لحظة تمضي. كلمة العاهرة التي يرددها أصبحت أعلى وأعلى. قبضته كانت ترتطم بسطح المكتب من تحت.

«عاهرة، عاهرة، عاهرة، عاهرة...».

نظرنا إلى الآنسة غريدس. ماذا كانت ستفعل؟ ترددت. نظرت إلى كل الفصل. ابتسمت، هادئة مثلما كانت دائماً، وثم استمرت في الكلام:

«أنا أعتقد أن اللغة الإنجليزية هي أكثر أشكال التواصل تعبيراً والأسهل انتشاراً. في البداية، علينا أن نكون شاكرين أننا نملك هذه الهبة الرائعة، هبة اللغة الإنجليزية. وإن أسأنا إليها فنحن لا نسيء إلا لأنفسنا. إذاً لنسمع، لنعتن، ولنعترف بتراثنا، وأكثر من ذلك لنستكشف ولنخاطر مع لغتنا هذه...».

«عاهرة، عاهرة، عاهرة، عاهرة...».

«علينا أن ننسى إنجلترا واستخدامها للساننا العامي في الكلام. حتى لو كان الاستخدام الإنجليزي جيداً، لكن لغتنا الأمريكية تحتوي على آبار عميقة من الموارد غير المكتشفة بعد. هذه الموارد، لا تزال حتى اليوم غير مستعملة. وفي وجود اللحظة المناسبة والكُتاب المناسبين سيحدث الانفجار الأدبي ذات يوم».

«عاهرة، عاهرة، عاهرة، عاهرة...».

أجل، ريتشارد وايت كان أحد القلائل الذين لم نتكلم معهم أبداً. في الحقيقة، كنا خائفين منه. لم يكن شخصاً يمكنك ضربه، هذا لن يجعل أي أحد منا يشعر بشعور جيد. أنت أردت فقط أن تبتعد أقصى مسافة ممكنة عنه، لم تكن تريد أن تنظر إليه، لم تكن تريد أن

Tele: @Arab_Books

تنظر إلى تلك الشفاه الكبيرة، الفم المفتوح الذي لا يُغلق مثل فم ضفدع متورم. نبذته لأنك لم تكن تستطيع التغلب على ريتشارد وايت.

انتظرنا وانتظرنا بينما كانت الآنسة غريدس تتحدث عن الفرق بين الثقافة الإنجليزية والأمريكية. انتظرنا بينما واصل ريتشارد فعلته. ارتطمت قبضة ريتشارد بأسفل سطح المقعد مجدداً، فنظرت الفتيات إلى بعضهن البعض ونحن الأولاد كنا نفكر، لماذا يتواجد هذا المخبول معنا في الفصل نفسه؟ سيفسد كل شيء. مخبول واحد وستقوم الآنسة غريدس بإنزال تنورتها لأسفل للأبد.

«عاهرة، عاهرة، عاهرة، عاهرة...».

وبعدها توقف. جلس ريتشارد هناك. لقد انتهى. خطفنا بعض النظرات بإتجاهه. بدا كما هو. هل كان المنيّ كله يسيل على حضنه أم في يده؟ رن الجرس. حصة اللغة الإنجليزية انتهت.

بعدها لم يتوقف الأمر، كان هنالك المزيد. ريتشارد وايت فعلها في العادة بينما كنا نستمع للآنسة غريدس وهي جالسة فوق المقعد الأمامي وساقاها فوق بعضهما البعض. نحن الأولاد تقبلنا الوضع. حتى أنه بعد فترة بدأنا نستمتع بالأمر. الفتيات تقبلن الأمر كذلك لكنهن لم يحببن هذا الوضع خاصةً ليلي فيشمان التي شعرت أنها كانت منسية.

إلى جانب ريتشارد وايت كنت أواجه مشكلة أخرى في الفصل: هاري والدن. ظنّت الفتيات أنّ هاري والدن كان وسيماً، وكانت لديه فتلات شعر ذهبية طويلة وكان يرتدي ملابس غريبة، لكن أنيقة. كان يبدو مثل رجل متأنق من القرن الثامن عشر، ألوان غريبة عديدة، أخضر داكن، أزرق داكن، لا أعرف من أين استطاع والداه إيجاد هذه الملابس اللعينة. دائماً ما جلس بثبات واستمع بانتباه. كأنه فهم كل

Tele: @Arab_Books

شيء. قالت الفتيات، «إنه عبقري». لم يبدُ كأي شيء بالنسبة لي. ما لم أكن أفهمه أن الأولاد المشاغبين لم يقوموا بمضايقته. أزعجني ذلك. كيف يمكنه أن يتجنب كل ذلك بكل سهولة؟ وجدته ذات يوم في ردهة المدرسة. أوقفته.

«أنت لا تبدو لي أنك تساوي أي شيء»، قلت له، «كيف يعتقد الجميع أنك رائع؟».

نظر والدن إلى يمينه وعندما التفت برأسي لأنظر في ذات الاتجاه، تجاوزني كأنني كنت شيئاً ما خرج من المجاري وبعدها بلحظات وجدته جالساً في مقعده في الفصل.

مثل كل يوم والآنسة غريدس مستمرة في عرضها، وريتشارد مستمر فيما يفعله، وهذا الشخص والدن جالس هناك لا يقول أي شيء ويتصرف كأنه حقاً كان يصدق أنه عبقري. مللت من كل ذلك.

سألت بعض الأولاد الآخرين، «اسمعوا، هل تعتقدون حقاً أن هاري والدن عبقري؟ إنه فقط يجلس في الأرجاء بملابسه الجميلة ولا يقول أي شيء. ماذا يثبت هذا؟ يمكننا جميعاً أن نفعل الأمر ذاته».

لم يجيبوني. لم أفهم مشاعرهم تجاه هذا الولد اللعين. والأمر ازداد سوءاً. انتشرت إشاعة أن هاري والدن سيبدأ في مقابلة الآنسة غريدس كل ليلة، لأنه كان تلميذها المفضل، وأنهما كانا سيمارسان الحب كل ليلة أيضاً. ضايقني ذلك كثيراً. استطعت حتى تخيله وهو ينزع بدلته الخضراء والزرقاء، يطبقها ويضعها على كرسي، ثم ينزع سرواله الداخلي البرتقالي الملطخ ويتمدد بجانب الآنسة غريدس تحت غطاء السرير حيث تبدأ الآنسة غريدس باللعب والتربيت على فتلات شعره الذهبية على كتفها وأشياء أخرى أيضاً.

كانت تلك الشائعة تتداول بين الفتيات دون أن يعرفن كل شيء. وحتى بالرغم من كونهن لم يحببن الآنسة غريدس، كن يعتقدن أن هذا

Tele: @Arab_Books

الأمر لا بأس به، حيث إنه كان منطقياً، لأن هاري والدن كان شخصاً عبقرياً وأنيقاً وحساساً ويحتاج إلى كل عطفٍ ممكن.

ضبطت هاري والدن في الردهة مرة ثانية. «سأضرب مؤخرتك! يا ابن القحبة! لا يمكنك خداعي!».

نظر إليّ هاري والدن. ثم نظر فوق كتفي وأشار وقال، «ما هذا هناك؟».

التفت إلى الوراء. وعندما أرجعت رأسي لم أجده. ثم وجدته جالساً في الفصل بأمان وهو محاط بكل الفتيات اللاتي أحببنه وكنّ يعتقدن أنه عبقري.

انتشرت الشائعات جديدة حول ذهاب هاري والدن إلى بيت الآنسة غريدس في الليل وفي بعض الأيام لم يكن هاري موجوداً بالفصل. تلك كانت أفضل أيام بالنسبة لي لأن الشيء الوحيد الذي كان عليّ أن أتعامل معه هو عادة ريتشارد القبيحة وليست فتلات الشعر الذهبية والإعجاب الكبير لمثل هذه الأشياء من قبل الفتيات الصغيرات بتنوراتهن وستراتهن القطنية وفساتينهن المنقطة. كانت الفتيات يهمسن لبعضهن البعض عندما لا يتواجد هاري في الفصل، «إنه حساس جداً...».

فيقول ريد كيركباتريك، «إنها تضاجعه حتى الموت!».

في عشية أحد الأيام دخلت إلى الفصل ووجدت كرسي هاري والدن فارغاً. ظننت أنه يضاجع كالعادة. ثم انتشرت الكلمة من مقعد لمقعد. دائماً ما كنت آخر شخص يسمع أي شيء. ثم وصل الخبر إليّ: هاري انتحر الليلة الماضية. الآنسة غريدس لم تسمع بالأمر بعد. نظرت إلى مقعده. لن يجلس مجدداً فيه. كل تلك الألوان الجميلة ذهبت للجحيم. أنهت الآنسة غريدس تسجيل الغياب. سارت من خلف مكتبها وجلست فوق المقعد الأمامي، ووضعت ساقيها فوق

بعضهما البعض. كانت ترتدي جوارب حريرية أخف من كل الجوارب التي ارتدتها من قبل. تنورتها كانت مرتفعة حتى فخذيها.

«ثقافتنا الأمريكية»، قالت، «من المقدر لها أن تكون عظيمة. اللغة الإنجليزية، الآن محدودة جداً وبنيوية، ولكن سيعاد إنتاجها وسيتم تطويرها. كتّابنا سيستعملون كما أحب أن أسميها في عقلي، الأمريكينية...».

كانت جوارب الآنسة غريدس الحريرية قريبة من لون بشرتها. بدت كأنها لم ترتد أي جوارب إطلاقاً، بدت كأنها عارية بالكامل أمامنا، لكن بحكم أنها لم تكن عارية وكانت تبدو فقط كأنها عارية، هذا جعل الأمر أفضل بكثير من ما هو عليه.

«ومع المزيد والمزيد من الوقت سنكتشف حقائقنا وطريقتنا الخاصة في الكلام، وهذا الصوت الجديد سيُرتب ويُبسط من قبل التواريخ القديمة، العادات القديمة، الأحلام القديمة الميتة عديمة الجدوى...».

«عاهرة، عاهرة، عاهرة، عاهرة... »

- ٢٥ -

كيرلي فاغنر اختار موريس موسكفيتز. كان ذلك بعد دوام المدرسة وقد سمع ثمانية أو عشرة منا بالأمر فسرنا وراء الجمنازيوم لمشاهدة ذلك. فاغنر وضع القوانين، «نحن سنتقاتل حتى يصرخ أحد منا أستسلم».

«أوكي، أنا موافق»، قال موريس.

كان موريس فتى طويلاً نحيلاً، كان غبياً بعض الشيء ولم يتحدث كثيراً قطّ ولم يضايق أحداً أيضاً.

Tele: @Arab_Books

نظر إليّ فاغنر. «وبعد أن أنتهي من هذا الفتى، سيأتي دورك!».

«أنا، يا مدرب؟».

«أجل، أنت يا تشيناسكي».

هزأت من كلامه.

«سأتحصل على بعض الاحترام اللعين منكم أيها الأولاد ولو كان يعني ذلك ضربكم جميعاً!».

كان فاغنر مغروراً. كان دائماً ما يتمرن على الألواح المتوازية أو يتشقلب على السجادة في الجمنازيوم أو يركض لعدة لفات على المضمار. كان يحب أن يقف ويحدق في شخص ما لمدة طويلة كأن ذلك الشخص لا يساوي أي شيء. لم أكن أعرف ما خطبه. ضايقناه. أعتقد أنه كان يظن أننا كنا نضاجع كل الفتيات كالمجانين ولم يكن يحب أن يفكر في هذا الأمر.

بدآ يتصارعان. كان لدى فاغنر حركات جيدة. كان يتمايل، يراوغ، يحرك قدميه بسرعة وبذكاء، يتحرك للأمام والخلف، وكانت تصدر منه أصوات هسهسة. كان مثيراً للإعجاب. نال من موسكفيتز بثلاث لكمات مباشرة. وقف موسكفيتز هناك فحسب وذراعاه على جانبيه، لم يكن يعرف أي شيء عن الملاكمة. ثم حطم فاغنر موسكفيتز بلكمة يمنى مباشرة على ذقنه. «تباً!» قال موريس ورمى لكمة بيمناه إلا أن فاغنر تفاداها. رد فاغنر بلكمة يمنى ويسرى على وجه موسكفيتز. انهمرت الدماء من أنف موسكفيتز. «تباً!» قال وبدأ يلوح بيديه بعشوائية. كان يمكنك سماع صوت اللكمات وهي ترتطم برأس فاغنر. حاول فاغنر أن يرد لكن لكماته لم تكن قوية وغاضبة مثل موسكفيتز.

«يا إلهي! اقض عليه يا موري!».

كان موسكفيتز يعرف كيف يلكم. رمى لكمة على بطن فاغنر،

Tele: @Arab_Books

تأوه فاغنر ألماً وسقط. سقط على كلتا ركبتيه. كان وجهه مجروحاً وينزف. وكان ذقنه على صدره وبدا شكله مثل شخص مريض.

«أستسلم»، قال فاغنر.

تركناه هناك وراء المبنى ولحقنا بموريس موسكفيتز وهو يسير بعيداً من هناك. كان بطلنا الجديد.

«اللعنة يا موري! عليك أن تفكر في الاحتراف!».

«كلا، أنا عمري ثلاثة عشر عاماً فقط!».

سرنا وراء ورشة الميكانيكا ووقفنا حول الدَّرج. أشعل أحدهم عدة سجائر فمررناها بيننا.

«ما الذي يملكه هذا الرجل ضدنا ليكرهنا إلى هذا الحد؟» سأل موريس.

«تباً لذلك يا موري، أنت حقاً لا تعرف؟ إنه يغار منا. إنه يعتقد أننا نضاجع كل الفتيات!».

«ماذا؟ أنا لم أُقبّل أي فتاة طوال حياتي!».

«اللعنة! أتتكلم بجد يا موري؟».

«أجل، بجد».

«عليك أن تجرب مضاجعة يدك يا موري، إن ذلك رائع!».

ثم رأينا فاغنر وهو يتجاوزنا. كان يمسح وجهه بمنديل.

«اسمع يا مدرب»، صاح أحد الأولاد، «ما رأيك بمباراة أخرى؟».

وقف فاغنر ونظر إلينا. «ضعوا السجائر أرضاً يا أولاد!».

«آه، لا يا مدرب، نحن نحب أن ندخن!».

«تعال إلى هنا يا مدرب وأرغمنا على إطفاء سجائرنا!».

«أجل، تعال يا مدرب!».

Tele: @Arab_Books

وقف فاغنر ينظر إلينا. «أنا لم أنته منكم بعد! سأقضي على كل واحد منكم، بطريقة ما أو بأخرى!».

«كيف ستفعل ذلك يا مدرب؟ قدراتك محدودة جداً!».

«أجل يا مدرب، كيف ستفعل ذلك؟».

سار في الملعب باتجاه سيارته. شعرت بالأسف لأجله. عندما يكون الشخص بذلك البغض عليه أن يكون قادراً على التحمل.

«أعتقد أنه يظن أنه لن تتبقى أي عذراء في ساحة المدرسة مع الوقت الذي سنتخرج فيه»، قال واحد منا.

«أعتقد»، قال فتى آخر، «أن أحداً لم يمارس العادة السرية على أذنه وقذف داخل عقله!».

رحلنا بعد ذلك. كان يوماً جيداً تماماً.

- ٢٦ -

كانت أمي تذهب إلى عملها قليل الأجر كل صباح، وأبي الذي لا يملك عملاً كان يغادر المنزل كل صباح أيضاً. بالرغم من كون كل الجيران عاطلين عن العمل لم يكن أبي يريدهم أن يعتقدوا أنه عاطل من العمل. لذلك صعد سيارته كل صباح في الوقت ذاته وقادها بعيداً كأنه ذاهب إلى العمل. وفي المساء كان يعود دائماً في الوقت ذاته. كان الأمر جيداً بالنسبة لي، لأن المكان كله أصبح ملكي لأفعل ما يحلو لي. كانا يغلقان المنزل لكنني كنت أعرف طريقةً للدخول. كنت أفتح الباب المُشبك بقطعة من الكرتون. كانا يغلقان الباب الداخلي أيضاً ويتركان المفتاح عالقاً فيه من الداخل. كنت أضع جريدة تحت الباب وألكز المفتاح إلى أن يقع. ثم أسحب الجريدة التي سقط عليها المفتاح من تحت الباب وأفتحه وأدخل. وعندما أغادر، أقوم بإرجاع

Tele: @Arab_Books

خطاف الباب المُشبك، أُغلق الباب الداخلي من الداخل تاركاً المفتاح عالقاً من الداخل. ثم أغادر من الباب الأمامي مغلقاً إياه بالسقاطات السفلية.

أحببت كوني وحيداً. في أحد الأيام كنت ألعب إحدى ألعابي. كانت هناك ساعة على الرف بها يد ثانية، كنت أعقد مسابقات بنفسي لأرى كم مدة من الوقت يمكنني فيها حبس أنفاسي. في كل مرة لعبت فيها، تجاوزت المدة التي سبقتها. مررت بألم عظيم جداً لكنني كنت فخوراً بنفسي في كل مرة استطعت فيها زيادة بعض الثواني على رقمي القياسي الأول. في ذاك اليوم استطعت زيادة خمس ثوان كاملة، كنت واقفاً أستعيد أنفاسي عندما سرت نحو النافذة الأمامية. كانت نافذة كبيرة مغطاة بستارة حمراء. كانت هناك فتحة بين قطعتَي الستارة، فنظرت إلى الخارج. يا إلهي! كانت نافذتنا تقع مباشرةً أمام الشرفة الأمامية لمنزل السيدة أندرسون. كانت السيدة أندرسون تجلس على الدَّرج، وكنت أستطيع الرؤية خلال واستطعت أن أرى عبر فستانها. السيدة أندرسون كانت تبلغ من العمر ٢٣ سنة ولها ساقان مذهلتان. استطعت رؤية كل شيء تقريباً عبر فستانها. ثم تذكرت منظار أبي العسكري. كان موجوداً على الرف العلوى من خزانته. ركضت إلى خزانته وأخذت المنظار ثم ركضت إلى النافذة، جثمت لأسفل وعدلت المنظار على ساقَي السيدة أندرسون. أخذني المنظار إلى هناك مباشرةً!

وكان ذلك يختلف عن النظر إلى ساقَي الآنسة غريدس: لم يكن عليك أن تتظاهر أنك لا تنظر إليهما. يمكنك التركيز عليهما. وأنا فعلت ذلك. كنت هناك. كنت مثاراً ومحموماً. يا إلهي! يا لهما من ساقين، يا لها من خاصرة! وفي كل مرة تحركت فيها، كان ذلك لا يحتمل، لا يصدق.

Tele: @Arab_Books

نزلت على ركبتيَّ وأمسكت بالمنظار بيد وأخرجت قضيبي بيدي الثانية. بصقت على راحة يدي وبدأت. للحظة ظننت أنني رأيت سروالها الداخلي. كنت على وشك القذف. توقفت. ظللت أنظر بالمنظار ثم بدأت بالفرك مجدداً. وعندما كنت على وشك القذف توقفت مجدداً. ثم انتظرت وبدأت بالفرك مرة ثانية. هذه المرة عرفت أنني لن أتمكن من التوقف. كانت هناك. كنت أنظر إليها! كان ذلك مثل الجنس. قذفت. قذفت على الأرضية الخشبية تحت النافذة. كان أبيض وكثيفاً. نهضت وذهبت إلى الحمام وأخذت بعض ورق الحمام، ثم رجعت ومسحته. ثم ذهبت إلى الحمام مجدداً ورميته في المرحاض ودفقتُ الماء.

أتت السيدة أندرسون وجلست على ذلك الدرج كل يوم تقريباً وفي كل مرة كانت تأتي فيها كنت أقوم بإحضار المنظار وأبدأ في مراقبتها وأمارس العادة.

لو علم السيد أندرسون بأمري، فكرت، سيقوم بقتلي...

كان والداي يذهبان إلى السينما كل ليلة أربعاء. كان يوجد سحب على جوائز مالية، فأرادا الفوز ببعض المال. كان ذلك في ليلة أربعاء عندما اكتشفت أمراً ما. كانت عائلة بيروزي تعيش في المنزل الذي يقع جنوب منزلنا. مدخل السيارات خاصتنا كان متوازياً مع الجهة الشمالية من منزلهم وكانت توجد نافذة في منزلنا تقع مباشرةً أمام غرفتهم الأمامية. كانت النافذة مغطاة بستارة خفيفة وشبه شفافة. كان يوجد جدار أصبح متقوساً على الجهة الأمامية لمدخل السيارات خاصتنا وحوله نمت الكثير من الشجيرات. لم يستطع أحد رؤيتي من الطريق، خاصةً تلك الليلة.

زحفت هناك. كان ذلك رائعاً، أفضل مما توقعت. كانت السيدة بيروزي جالسة على الأريكة تقرأ جريدة. كانت تضع ساقيها فوق

Tele: @Arab_Books

بعضهما البعض، وفي كرسي مريح في الغرفة جلس السيد بيروزي يقرأ جريدة هو الآخر. لم تكن السيدة بيروزي صغيرة في العمر مثل الآنسة غريدس أو السيدة أندرسون، لكنها كانت تملك ساقين جميلتين، وكانت ترتدي الكعب العالي، وفي كلّ مرة كادت تطوي فيها صفحة من جريدتها، فتحت ساقيها فارتفعت تنورتها لأعلى أكثر فكان بإمكاني رؤية المزيد.

لو عاد والداي إلى المنزل من السينما وأمسكا بي هنا، فكرت، كانت حياتي ستنتهي. لكن ذلك كان يستحق المجازفة.

ظللت هادئاً للغاية وراء النافذة وحدقت في ساقَي السيدة بيروزي. كان لديهم كلب كبير نوعه كولي، اسمه جيف، وكان نائماً أمام الباب. لقد نظرت إلى ساقَي الآنسة غريدس في حصة اللغة الانجليزية، ثم شاهدت ومارست العادة على ساقَي السيدة أندرسون وها أنا الآن أشاهد المزيد. لماذا لم ينظر السيد بيروزي إلى ساقَي السيدة بيروزي؟ لقد ظل فقط يقرأ جريدته. كان الأمر واضحاً، كانت السيدة بيروزي تحاول إثارته لأن تنورتها كانت مستمرة في الارتفاع أكثر وأكثر كل مرة. ثم طوت صفحة ثانية وفتحت ساقيها بسرعة فانقلبت تنورتها وانكشفت فخذاها البيضاوان. كانت بيضاء مثل اللبنة! أمرٌ لا يصدق! كانت أجملهنّ جميعاً!

بعدها رأيت ساقَي السيد بيروزي تتحركان من زاوية عيني. نهض بسرعة وسار نحو الباب الأمامي. بدأت الركض، مرتطماً بالشجيرة بعد الشجيرة. سمعته وهو يفتح الباب الأمامي. كنت في مدخل السيارات خاصتنا ثم ظللت أركض إلى باحتنا الخلفية ثم اختبأت وراء المرآب. وقفت للحظة محاولاً سماع أي حركة. ثم تسلقت السور الخلفي، فوق كروم العنب وإلى الباحة الخلفية الثانية. ركضت خلال تلك الباحة إلى مدخل السيارات وبدأت أهرول كالكلب متسللاً

Tele: @Arab_Books

جنوب الطريق مثل شخص يتمرن على الاستعداد للعدو في المضمار. لم يكن يوجد أي شخص ورائي لكنني ظللت أهرول. لو علم أنه كان أنا، لو قال لأبي، لقُضي عليّ. لكن ربما كان يقوم بإخراج الكلب لقضاء حاجته لا غير؟ هرولت إلى جنوب حي أدامز وجلست على مقعد في الشارع. جلست هناك لخمس دقائق أو أكثر، ثم عدت إلى المنزل. عندما وصلت، لم أجد والديّ، لم يعودا بعد. دخلت المنزل، نزعت ملابسي، فتحت الأضواء وانتظرت قدوم الصباح...

في ليلة أربعاء أخرى، كنت أنا وبولدي نسير في طريقنا المختصرة المعتادة ما بين منزلين. كنا في طريقنا إلى منزل والده لقبو النبيذ عندما توقف بولدي أمام نافذة. كانت الستارة منزوعة لكن ليس تماماً. توقف بولدي، انحنى، واختلس النظر إلى الداخل. لوَّح لي بالقدوم.

«ماذا هناك؟» همست له.

«انظر!».

كان هنالك رجل وامرأة في الفراش، عاريَين تماماً. كان هناك غطاء سرير موضوع بشكل جزئي عليهما. كان الرجل يحاول تقبيل المرأة لكنها كانت تدفعه بعيداً.

«اللعنة! دعيني أقبلك يا ماري!».

«لا!».

«لكنني مُثار، أرجوك!».

«انزع يديك اللعينة عني!».

«لكن ماري، أنا أحبك!».

«أنت وحبك الملعون...».

«ماري، أرجوك!».

«هل يمكنك إغلاق فمك؟».

Tele: @Arab_Books

التفت الرجل إلى الحائط. أخذت المرأة مجلة من على الأرض، وضعت وسادة وراء رأسها، وبدأت في قراءة المجلة.

ابتعدتُ أنا وبولدي من على النافذة، «يا إلهي!» قال بولدي، «هذا جعلني أشعر بالاشمئزاز!».

«ظننت أننا سنشاهد شيئاً ما!» قلت.

عندما وصلنا إلى منزل والد بولدي، وجدنا قفلاً كبيراً وضعه والد بولدي على باب قبو النبيذ.

ذهبنا إلى النافذة مرة ثانية ومرة أخرى لكن لم يحدث شيء. كان الأمر ذاته يحدث دائماً.

«ماري، لقد مضى وقت طويل. نحن نعيش سوياً، أنتِ تعرفين. نحن زوجان!».

«يا له من أمر عظيم لعين!».

«هذه المرة فقط يا ماري، ولن أزعجك مرة ثانية، لن أزعجك لمدة طويلة، أعدك!».

«اسكت! أنت تجعلني أشعر بالاشمئزاز!» ابتعدتُ أنا وبولدي.

«اللعنة!» قلت.

«اللعنة!» قال بولدي.

«لا أظن أن لديه قضيباً»، قلت.

«يبدو أنه لا يملك واحداً»، قال بولدي.

من بعد ذلك توقفنا عن الذهاب إلى هناك.

- ٢٧ -

لم ينته فاغنر منا بعد. كنت أقف في الساحة خلال حصة الجمنازيوم عندما سار نحوي.

Tele: @Arab_Books

«ماذا تفعل يا تشيناسكي؟».

«لا شيء».

«لا شيء؟».

لم أجب.

«لماذا لم تشارك في أي من الألعاب؟».

«تباً لذلك. تلك ألعاب أطفال».

«سأضعك في مهمة فرز القمامة إلى إشعار آخر».

«لماذا؟ ما تهمتي؟».

«التسكع. ٥٠ نقطة».

كان على الأطفال أن يعملوا من أجل نقاطهم في فرز القمامة. لو لديك أكثر من عشرة نقاط من العقوبات ولم تعمل بها، لم يكن بمقدورك التخرج. لم أكن أهتم إن تخرجت أو لا. هذه كانت مشكلتهم. كان باستطاعتي أن أبقى في الأرجاء وأتقدم أكثر في العمر وأُصبح أكبر. كنت سأنال كل الفتيات.

«٥٠ نقطة؟» سألت، «هل هذا كل ما ستعطيني؟ ما رأيك بمئة؟».

«أوكي، مئة إذاً. أنت تحصلت عليها».

ثم ذهب فاغنر متخبتراً بما فعل. كان لدى بيتر منغالوري ٥٠٠ نقطة. أنا أصبحت في المركز الثاني الآن، ومازلت أتحصل على النقاط...

أول فرز للقمامة كان خلال آخر ثلاثين دقيقة من نهاية الغداء. في اليوم التالي كنت أحمل سلة قمامة مع بيتر مانغالوري. كان ذلك بسيطاً. كنا كلانا نملك عصا في طرفها مسمار حاد. التقطنا الأوراق بالعصا ورميناها في السلة. كانت الفتيات يتفرجن علينا عندما كنا نسير بجانبهن. كنَّ يعلمن أننا أشقياء. بيتر بدا ضجراً وأنا بدوت كأنني لا أهتم بأي شيء. عرفت الفتيات أننا أشقياء.

Tele: @Arab_Books

«أتعرف ليلي فيشمان؟» سألني بيتي بينما كنا نسير.

«أوه، أجل، أجل».

«حسناً، هي ليست عذراء».

«كيف عرفت ذلك؟».

«لقد أخبرتني».

«من تحصل عليها؟».

«والدها».

«اممم... حسناً لا يمكنك أن تلومه».

«ليلي سمعت أنني أملك قضيباً كبيراً».

«أجل، المدرسة كلها سمعت».

«حسناً، ليلي تريده. إنها تدّعي أنها تستطيع التعامل معه».

«ستقطعها إلى قطع!».

«أجل، سأفعل. على العموم، هي تريده».

وضعنا سلة القمامة على الأرض وحدقنا إلى بعض الفتيات اللاتي كنَّ جالسات على المقعد في الساحة. سار بيتي نحو المقعد. ظللت واقفاً في مكاني. سار إلى إحدى الفتيات وهمس شيئاً ما في أذنها. بدأت تضحك. عاد بيتي إلى سلة القمامة. حملناها وذهبنا.

«إذاً»، قال بيتي، «في هذا المساء الساعة الرابعة، سأقطع ليلي إلى قطع!».

«حقاً؟».

«أتعرف تلك السيارة الخردة خلف المدرسة التي أخذ بوب فرانزوورث محركها؟».

«أجل».

«حسناً، قبل أن ينقلوا سيارة ابن القحبة تلك، ستكون غرفة نومي. سأأخذها إلى المقعد الخلفي».

Tele: @Arab_Books

«بعض الأشخاص يعيشون الحياة فعلاً».

«قضيبي ينتصب بمجرد التفكير في الأمر»، قال بيتي.

«أنا أيضاً بالرغم من أنني لست الشخص الذي سيفعلها في المقعد الخلفي».

«لكن هناك مشكلة واحدة»، قال بيتي.

«لا تستطيع القذف؟».

«لا، ليس هذا. أحتاج إلى شخص يراقب لي الوضع بينما أقوم بالأمر».

«حقاً؟ حسناً، اسمع، أنا أستطيع فعل ذلك».

«أستفعل ذلك؟» سأل بيتي.

«بالطبع. لكننا نحتاج إلى شخص آخر ليراقب في الجهة الثانية».

«حسناً، من تقترح؟».

«بولدي».

«بولدي؟ تباً، هو لا يساوي الكثير».

«لا، لكنه جدير بالثقة».

«حسناً. إذاً سأراكم الساعة الرابعة».

«سنكون هناك».

في الساعة الرابعة مساءً التقينا ببيتي وليلي بجانب السيارة.

«مرحباً!» قالت ليلي. بدت مثيرة. كان بيتي يدخن سيجارة. بدا ضجراً.

«مرحباً ليلي»، قلت.

«مرحباً عزيزتي ليلي»، قال بولدي.

كان هناك بعض الفتية يلعبون كرة القدم في الساحة الأخرى لكن هذا جعل الأمر أفضل بالنسبة لنا، وسيلة للتخفي إن أمكنني القول.

Tele: @Arab_Books

كانت ليلي تهز جسدها، تتنفس بعمق، وكان نهداها يتحركان لأعلى وأسفل.

«حسناً»، قال بيتي وهو يرمي سيجارته، «لنصبح أصدقاء يا ليلي».

فتح الباب الخلفي للسيارة، انحنى، ثم دخلت ليلي. دخل بيتي بعدها وقام بخلع حذائه، ثمّ سرواله وسرواله الداخلي. نظرت ليلي لأسفل ورأت لحم بيتي يتدلى.

«أوه يا»، قالت، «لا أعرف...».

«هيا يا صغيرتي»، قال بيتي، «لا أحد سيعيش للأبد».

«حسناً، أنت محق، أعتقد...».

نظر بيتي من النافذة. «أنتما، هل أنتما تراقبان المكان لتتأكدا أنه آمن؟».

«أجل يا بيتي»، قلت، «نحن نراقب».

«نحن نراقب»، قال بولدي.

رفع بيتي تنورة ليلي لأعلى. كان يوجد لحم أبيض فوق جواربها التي كانت تصل لركبتيها وكان يمكنك رؤية سروالها الداخلي. يا له من شيء مذهل. أمسك بيتي بليلي وأخذ يقبّلها. ثم تراجع.

«أيتها العاهرة!» قال.

«تكلم معي باحترام يا بيتي!».

«أيتها العاهرة - القحبة!» قال لها وصفعها على وجهها بقوة. بدأت تبكي.

«لا تفعل يا بيتي، لا تفعل...».

«اسكتي يا قحبة!».

بدأ بيتي بنزع سروال ليلي الداخلي. كان يمر بوقت عصيب. كان سروالها الداخلي مشدوداً على مؤخرتها الكبيرة. قام بيتي بشدة عنيفة

Tele: @Arab_Books

وقوية، مزق سروالها الداخلي وسحبه لأسفل حول ساقيها وعلى حذائها. ثم نزعه ورماه على أرضية السيارة. بعدها بدأ يلعب بفرجها. بدأ يلعب به ويقبّلها مرة وراء مرة. بعدها اتكأ على المقعد. لم ينتصب عضوه بالكامل بعد. نظرت ليلي إلى أسفل.

«ما أنت، شاذ؟».

«لا يا ليلي، أنا فقط لا أعتقد أن هذين الولدين يراقبان المكان ليتأكدا من أنه آمن أو لا. إنهما يشاهداننا. أنا لا أريد أن يمسكوا بي هنا!».

«المكان آمن يا بيتي»، قلت، «نحن نراقب!».

«نحن نراقب!» قال بولدي.

«لا أصدقهما»، قال بيتي، «كل ما يشاهدانه هو فرجك يا ليلي!».

«أيها الجبان! كل هذا اللحم ومازال لم ينتصب بالكامل!».

«أنا خائف أن يُمسكوا بنا يا ليلي!».

«أنا أعرف ما الذي يمكنني فعله»، قالت ليلي. بعدها انحنت لأسفل ومررت لسانها على طول عضو بيتي. لفَّت لسانها حول رأسه المهول. ثم وضعته في فمها.

«ليلي... يا إلهي»، قال بيتي، «أنا أحبك...».

«ليلي، ليلي، ليلي... أوه، أوه، أوه...».

«هنري!» صرخ بولدي، «انظر!».

نظرت. رأيت فاغنر وهو يجري نحونا عبر الساحة وخلفه الفتية الذين كانوا يلعبون كرة القدم، بالإضافة إلى بعض الناس الذين كانوا يشاهدون المباراة، فتيان وفتيات.

«بيتي!» صرخت، «إن فاغنر قادم ومعه ٥٠ شخصاً!».

«اللعنة!» تأوه بيتي.

Tele: @Arab_Books

«أوه، اللعنة»، قالت ليلي.

بولدي وأنا هربنا. ركضنا خارج البوابة وواصلنا الركض لنصف الحي. نظرنا خلفنا عبر السياج. بيتي وليلي لم يملكا أي فرصة. وصل فاغنر إليهما وفتح الباب بقوة أملاً أن يجد ما ينظر إليه. ثم حاصروا السيارة ولم نتمكن بعدها من رؤية أي شيء...

بعد ذلك، لم نر بيتي أو ليلي مرة ثانية. لم تكن لدينا أية فكرة عمّا حلَّ بهما. بولدي وأنا تحصلنا على ألف نقطة من العقوبات التي وضعتني في الصدارة متفوقاً على مانغالوري بألف ومئة نقطة. كان من المستحيل أن أنفّذها كلها. كنت سأبقى في ماونت جاستن للأبد. بالطبع، أبلغوا أهالينا.

«لنذهب»، قال أبي، وبدأت بالسير نحو الحمام. أنزل المشحذ الجلدي.

«انزع سروالك وسروالك الداخلي أيضاً»، قال.

رفضت. مدَّ يده أمامه، قام بفك حزامي، فك أزرار السروال ونزعه. نزع سروالي الداخلي أيضاً. وضع المشحذ على لحمي. كان الأمر ذاته، الصوت المتفجر ذاته، الألم ذاته.

«أنت ستقتل أمك!» صرخ.

ضربني مجدداً. لكن الدموع لم تنزل. كانت عيناي جافتين بشكل غريب. فكرت في قتله. لا بدّ من وجود طريقة لقتله. بعد عدة سنوات يمكنني أن أضربه إلى أن يموت. لكنني أردت أن أفعل ذلك الآن. لم يكن يساوي الكثير. لا بدّ أنهما تبنّياني. لم تعد الرؤية مشوشة في الغرفة كالمرات السابقة. أمكنني رؤية كل شيء بوضوح. بدا كأن أبي شعر بتغيّري، فبدأ بجلدي بشكل أقوى، مرة تلو أخرى، لكن كلما ضربني أكثر كنت أشعر بالألم أقل. بدا الأمر تقريباً كأنه هو العاجز

Tele: @Arab_Books

وليس أنا. شيء ما حدث، شيء ما تغير. توقف أبي، نفخ، ثم سمعته وهو يعلق المشحذ. سار إلى الباب. التفت. «اسمع»، قلت.

التفت أبي ونظر إليّ. «اضربني أكثر»، قلت له، «لو كان هذا سيجعلك تشعر أفضل».

«إيّاك أن تتكلم معي بهذه الطريقة!» قال.

نظرت إليه. رأيت ثنيات اللحم تحت ذقنه وحول رقبته. رأيت التجاعيد والشقوق. كان وجهه معجناً ومتعباً ووردي اللون. كان يرتدي قميصه الداخلي، وبطنه منتفخاً ومتدلياً تحت قميصه الداخلي. لم تكن عيناه شرستين كما كانتا. نظرت عيناه بعيداً ولم تستطيعا أن تقابلا عينيّ. شيء ما حدث. منشفة الحمام عرفت ذلك، ستارة حوض الاستحمام عرفت ذلك، المرآة عرفت ذلك، حوض الغسيل والمرحاض عرفا ذلك. التفت أبي وخرج من الباب. كان يعرف ذلك. تلك كانت آخر مرة أتعرض فيها للضرب منه.

- ٢٨ -

مضت المدرسة الإعدادية بسرعة كافية. مع السنة الثامنة إلى السنة التاسعة، ظهر حَب الشباب. الكثير من الأولاد أصيبوا به، لكن حالتي كانت مختلفة. حالتي كانت سيئة للغاية. كانت أسوأ حالة في المدينة كلها. علت البثور والدمامل كل وجهي، ظهري، رقبتي، وبعض من مناطق صدري. حدث ذلك لي مع الوقت الذي كانوا على وشك قبولي فيه كفتى شرس وقائد. كنت ما أزال شرساً لكن الأمر لم يكن ذاته. كان عليّ أن أنسحب. أصبحت أشاهد الناس من بعيد، كان ذلك مثل المسرح. إلا أنهم كانوا على المسرح وأنا كنت الجمهور المكون من شخص واحد فقط. عانيت دائماً من المشاكل مع الفتيات

Tele: @Arab_Books

لكن مع حَب الشباب كان الأمر بالنسبة لي مستحيلاً. الفتيات أصبحن أبعد عني أكثر وأكثر. بعضهن كنَّ جميلات بصدق - فساتينهن، شعرهن، أعينهن، الطريقة التي كن يقفن بها في الأرجاء. فقط لو استطعت السير مع واحدة منهن في عشية يوم ما، أنت تعرف، أتكلم معها عن كل شيء وأي شيء، أعتقد أن ذلك كان سيجعلني أشعر بشعور جيدٍ حقاً.

كان هناك أيضاً شيء ما فيّ يُدخلني في المشاكل بشكل مستمر. أغلب المعلمين والمعلمات لم يثقوا بي ولم يحبوني، وخاصةً المعلمات. لم أقل قط أي شيء يتعارض مع الأخلاق العامة لكنهن زعمن أن السبب كان «سلوكي».

كان السبب شيئاً ما في طريقة جلوسي المتراخية في المقعد ونبرة صوتي. أغلب الأحيان كانوا يتهمونني بالتشخير في الفصل بالرغم من أنني لم أكن واعياً بذلك. وكان العقاب في أغلب الأحيان الوقوف في الردهة خارج الفصل أثناء الحصة أو إرسالي إلى مكتب الناظر. كان الناظر يقوم بفعل الأمر ذاته دائماً. كانت لديه حجيرة هاتف صغيرة في مكتبه. كان يجعلني أقف فيها والباب مغلق. قضيت الكثير من الساعات في تلك الحجيرة. الشيء الوحيد الذي كان ممكناً قراءته في الحجيرة هو الجورنال المنزلي للسيدات. كان ذلك عذاباً بطيئاً. قرأت الجورنال المنزلي للسيدات على أية حال. كنت أقرأ كل مرة عدداً جديداً. كنت آمل أنني ربما يمكنني أن أتعلم شيئاً ما عن النساء.

كنت أملك ٥٠٠٠ نقطة عقاب مع وقت التخرج لكن ذلك لم يبدُ مهماً. كانوا يريدون التخلص مني. كنت أقف خارجاً في الطابور الذي كان يملأ قاعة الاحتفالات طالباً طالباً. كنا جميعاً نرتدي قبعاتنا الصغيرة الرخيصة وأرديتنا التي كانت تتناقل من مجموعة متخرجين إلى أخرى. كنا نستطيع سماع اسم كل شخص بينما كنا نسير على

Tele: @Arab_Books

المنصة. كانوا يجعلون التخرج من الإعدادية كأنه أمر عظيم لعين.

عزفت الفرقة أغنية مدرستنا:

«أوه، ماونت جاستن،
أوه، ماونت جاستن
سنكون صادقين،
وقلوبنا تغني بجموح
وسماؤنا كلها زرقاء...».

وقفنا في الطابور، كل واحد منا ينتظر ليسير على المنصة. وبين الجمهور كانت تجلس عائلتنا وأصدقاؤنا.

«أنا على وشك التقيؤ»، قال أحد الفتية.

«نحن فقط ننتقل من حماقة إلى حماقة أكبر»، قال آخر.

بدت الفتيات أكثر جدية منا. لهذا لم أثق بهن في الحقيقة. بدَوْنَ كأنهن جزء من هذه الأشياء الخاطئة. بدَوْنَ هن والمدرسة كمَن يملكون الأغنية نفسها.

«هذه الأمور تحبطني»، قال أحد الفتية، «كم أتمنى تدخين سيجارة هذه اللحظة».

«امسك هذه...». أعطاه أحد الفتية سيجارة. مررناها بيننا نحن الأربعة أو الخمسة أولاد. أخذت نفساً ونفثت الدخان من فتحتَي أنفي. ثم رأيت كيرلي فاغنر وهو يدخل.

«ارمها!» قلت، «ها قد أتى رأس القيء!».

سار فاغنر اتجاهي. كان يرتدي بدلته الرياضية الرمادية، وفوقها قميص قطني، كما رأيته أول مرة والمرات التي تلتها. وقف فاغنر أمامي.

«اسمع»، قال فاغنر، «أنت تعتقد أنك ستفلت مني لأنك سترحل

Tele: @Arab_Books

من هنا، لكن لن تستطيع! سألاحقك لبقية حياتك، سألاحقك إلى نهاية الأرض وسأنال منك!».

نظرت إليه نظرة خاطفة ولم أعلق، بعدها ذهب. خطاب التخرج الصغير الذي أعطاه فاغنر لي جعلني أكبر في أعين الأولاد أكثر من ذي قبل. اعتقدوا أنني قمت بعمل لعين كبير لأغيظه. لكن ذلك لم يكن صحيحاً. فاغنر ببساطة كان مجنوناً.

اقتربنا أكثر من باب قاعة الاحتفالات. لم يكن بإمكاننا سماع الأسماء التي يعلن عنها والتصفيق فقط، بل أمكننا رؤية الجمهور أيضاً. بعدها أتى دوري.

«هنري تشيناسكي»، قال الناظر على الميكروفون.

تقدمت للأمام. لم يصفق أي أحد. ثم صفقت روح طيبة واحدة مرتين أو ثلاثة.

كان هناك صفوف من الكراسي مرتبة فوق المنصة من أجل الطلبة المتخرجين. جلسنا هناك وانتظرنا. ألقى الناظر خطابه الذي كان عن الفرص والنجاح في أمريكا. ثم انتهى الأمر. عزفت الفرقة أغنية مدرسة ماونت جاستن. نهض الطلبة وأولياء الأمور واختلطوا مع بعض. تجولت في الأنحاء وأنا أبحث. والداي لم يكونا هناك. تأكدت من ذلك. تجولت في الأنحاء وبحثت جيداً.

لا بأس بذلك. شخص شرس مثلي لا يحتاج إلى ذلك. نزعت القبعة العتيقة والرداء وأعطيتهما للشخص الذي يقف نهاية الممر - البواب. قام بطيّ القطع ليعطيها لشخص آخر المرة القادمة.

خرجت. أول واحد خرج. لكن أين يمكنني الذهاب؟ كنت أملك أحد عشر سنتاً في جيبي. في نهاية الأمر عدت إلى المنزل.

Tele: @Arab_Books

ذاك الصيف، تموز ١٩٣٤، أطلقوا النار على جون ديلينجر خارج دار السينما في شيكاغو. لم يملك أية فرصة. المرأة صاحبة الفستان الأحمر أمسكت به. قبل أكثر من سنة انهارت المصارف. تم رفع قرار حظر الكحول فبدأ أبي بشرب بيرة إيست سايد مرة ثانية. لكن أسوأ شيء كان هو مقتل ديلينجر. الكثير من الناس كانوا معجبين به وهذا جعل الجميع يشعر بالسوء.

روزفلت كان الرئيس. ألقى خطابات نارية على محطات الراديو والجميع استمع إليها. كان يمكنه الكلام حقاً. وبدأ في سَنّ برامج لتوظيف الناس. لكن الأمور كانت ما زالت سيئة للغاية. والدمامل التي لديّ ازدادت سوءاً، كانت كبيرة بشكل لا يصدق.

في أيلول من تلك السنة كان من المقرر أن أبدأ الدراسة في مدرسة وودهافن الثانوية لكن أبي أصر أن أذهب إلى مدرسة تشلسي الثانوية.

«اسمع»، قلت له، «مدرسة تشلسي خارج المقاطعة. إنها بعيدة للغاية».

«ستفعل ما أقوله لك، ستسجل في مدرسة تشلسي الثانوية!».

عرفت لماذا كان يريدني أن أذهب إلى مدرسة تشلسي. الأولاد الأغنياء ذهبوا هناك. أبي كان مجنوناً. كان ما يزال يفكر أن يصبح غنياً. عندما علم بولدي أنني سأذهب إلى مدرسة تشلسي قرر أن يذهب هناك أيضاً. لم أستطع التخلص من بولدي ولا من دماملي.

في أول يوم ذهبنا بدراجاتينا وركنّاهما أمام المدرسة. كان شعوراً فظيعاً. أغلب اولئك الفتية، على الأقل الأكبر سناً، كانت لديهم سيارات، الكثير منها مكشوفة، ولم تكن سيارات زرقاء أو سوداء مثل

Tele: @Arab_Books

أغلب سياراتنا، كانت سيارات صفراء، خضراء، برتقالية وحمراء. جلس الفتية فيها خارج المدرسة، والفتيات كنَّ يتجمعن في المنطقة ويسرن نحو السيارات. الجميع كانوا يرتدون ملابس أنيقة، الفتية والفتيات، كانوا يرتدون أفضل أنواع البلوفر القطني، ساعات اليد وأحدث أنواع الأحذية، بدوا كأنهم كبار ووقورون ومتفوقون. وها أنا هنا بقميصي محليّ الصنع، سروالي الرث الوحيد، حذائي المهترئ، وجسدي ووجهي المكسوين بالدمامل. الأولاد في السيارات لم يقلقوا بسبب حَب الشباب. كانوا وسيمين للغاية، طويلي القامة ونظيفين بأسنانهم البيضاء البراقة ولا يبدو أنهم كانوا يغسلون شعورهم بصابون الأيادي. بدوا كأنهم يعرفون شيئاً ما لا أعرفه. أصبحت في القاع مجدداً.

بما أن كل الأولاد كانت لديهم سيارات، أنا وبولدي شعرنا بالخجل من دراجاتينا. تركناهما في المنزل ومشينا إلى المدرسة وعدنا منها مشياً أيضاً، ميلَيْن ونصف ذهاباً، ومثلها إياباً. كنا نحمل أكياس بنّية فيها غداؤنا. لكن معظم الطلاب الآخرين لم يأكلوا حتى في كافتيريا المدرسة. كانوا يقودون سياراتهم إلى مقهى مع الفتيات، يتلهّون بالأغاني على صندوق الموسيقى ويضحكون مع بعض. كانوا في طريقهم للدراسة في جامعة جنوب كاليفورنيا.

شعرت بالخجل من دماملي. في تشلسي لديك خياران إما حصة الجمنازيوم أو حصة تدريب ضباط الاحتياط في الجيش. اخترت الأخيرة لأنه لم يكن عليّ أن أرتدي بذلة رياضية ولا أحد كان سيستطيع رؤية الدمامل على جسدي. لكنني كرهت الزي العسكري. القميص كان من الصوف وكان يثير الدمامل على جسدي. كنا نلبس البذلة من الاثنين إلى الخميس. في يوم الجمعة كان مسموحاً لنا ارتداء ملابس عادية.

Tele: @Arab_Books

درسنا كتاب الدليل الإرشادي العسكري. كان يتحدث عن الحرب وترهات كهذه. كان علينا أن ننجح في الامتحانات. كنا نسير منضبطين في الميدان. تدربنا على الكلام الموجود في كتاب الدليل الارشادي العسكري. واجهت صعوبات كبيرة في إمساك البندقية في التمارين العسكرية المختلفة. كان ذلك سيئاً بالنسبة لي. كانت لديّ دمامل على كتفيّ. في بعض الأحيان عندما ألطم البندقية على كتفي، ينسحق دمل ويبدأ القيح بالتسرب من خلال قميصي. يبدأ الدم بالتسرب عبر القميص لكن لأن القميص غليظ ومصنوع من الصوف، فلا يمكنك ملاحظة بقع الدم غير الواضحة التي لا تبدو كأنها بقع دم على أية حال.

أخبرت أمي عما كان يحدث لي. فقامت أمي بخياطة قطع من القماش في القميص من جهة كتفيّ، لكن هذا لم يساعدني إلا قليلاً.

في إحدى المرات تقدم مني أحد الضباط للتفتيش. أخذ البندقية من يدي وأمسكها، بدأ ينظر داخل الماسورة ليفتش عن أي غبار داخلها. رمى إليّ البندقية بعدها، ثم رأى بقعة الدم على كتفي اليمنى.

«تشيناسكي!» صرخ فيّ، «بندقيتك تقطر الزيت!».

«أجل سيدي». قلت.

استطعت النجاة خلال الفصل الدراسي لكن الدمامل أصبحت أكثر سوءاً. كانت كبيرة الحجم مثل حبات الجوز وغطت كل وجهي. كنت أشعر بالخجل جداً من نفسي. في بعض الأحيان في المنزل كنت أقف قبالة مرآة الحمام وأبدأ بفقس الدمامل. قيح أصفر اللون ينطلق منها ويتناثر على المرآة وتظهر بعدها حفر بيضاء مكانها. كان فظيعاً ومذهلاً أن كل هذه الأشياء كانت موجودة داخل الدمامل. لكنني كنت أعرف كم كان الأمر صعباً على الناس أن ينظروا إليّ.

لا بدّ أن المدرسة نصحت أبي. فمع نهاية الفصل الدراسي

Tele: @Arab_Books

سحبوني من المدرسة. ظللت في السرير ووالداي غطّياني بالمراهم. كان هنالك هذا المرهم البني وكانت رائحته كريهة. أبي فضّل هذا المرهم على المراهم الأخرى. حرقني المرهم. أصر أبي أن أبقيه على جسدي لوقت أطول، لوقت أطول أكثر من الوقت المكتوب في ورقة الإرشادات. في إحدى الليالي أصر أبي أن أتركه على جسدي لساعات. بدأت أصرخ. ركضت إلى حوض الاستحمام، ملأته بالماء وغسلت المرهم البني من على جسدي بصعوبة. لقد احترقت، وجهي، ظهري، وصدري. في تلك الليلة جلست على حافة السرير. لم أتمكن من الاستلقاء على ظهري ولا صدري.

دخل أبي إلى الغرفة.

«أظن أنني قلت لك أن تترك المرهم على جسدك!».

«انظر ما الذي حدث لي»، قلت له.

أتت أمي إلى الغرفة.

«ابن القحبة هذا لا يريد أن يُشفى!» قال لها أبي. «لماذا رزقت بولد مثل هذا!».

أمي فقدت عملها. أبي ظل يغادر المنزل بسيارته كل صباح كأنه ذاهب إلى العمل. «أنا مهندس»، قال للناس. لطالما أراد أن يكون مهندساً.

قرروا أنني سأذهب إلى مستشفى مقاطعة لوس أنجلس العام. أعطوني بطاقة بيضاء طويلة. أخذت البطاقة وركبت الحافلة رقم ٧. ثمن تذكرة الحافلة كان سبعة سنتات لأربع قطع رمزية. وضعت القطعة الرمزية وصعدت إلى مؤخرة الحافلة. كان موعدي في الساعة ٨:٣٠ صباحاً.

بعد عدة أحياء، صعدت الحافلة امرأة وطفل صغير. المرأة كانت بدينة وكان عمر الطفل تقريباً أربعة أعوام. جلسا في المقعد خلفي.

Tele: @Arab_Books

نظرت خارج النافذة. انطلقت الحافلة من جديد. أحببت الحافلة رقم ٧. كانت سريعة حقاً وتهتز كثيراً بينما الشمس كانت تُشرق في الخارج.

«ماما»، سمعت الفتى الصغير يقول، «ما خطب وجه ذاك الرجل؟».

لم تجبه المرأة. سألها الطفل مجدداً السؤال نفسه. لم تجبه.

ثم صرخ الطفل الصغير مكرراً السؤال، «ماما! ما خطب وجه ذاك الرجل؟».

«اسكت! أنا لا أعرف ما خطب وجهه!».

ذهبتُ إلى غرفة الاستقبال في المستشفى، قاموا بإرشادي إلى الطابق الرابع للإبلاغ عن وصولي. هناك أخذت الممرضة على المكتب اسمي وقالت لي أن أجلس. جلسنا في صفين طويلين من الكراسي الخضراء المعدنية، كل كرسي يقابل الكرسي الآخر. مكسيكيون، بيض، سود. لم يتواجد هناك أي شرقي. لم يكن هناك أي شيء لقراءته. بعض المرضى حملوا جرائد قديمة. الناس من مختلف الأعمار، شخص هزيل، شخص بدين، قصير وطويل، كبار في السن وصغار. لا أحد تكلم. الجميع بدوا متعبين جداً. القائمون على النظام كانوا يمرون أمامنا، في مرة تشاهد ممرضة، ولكنك لا تشاهد أي طبيب أبداً. مضت ساعة، ساعتان. لم ينادوا أحداً. نهضت للبحث عن صنبور ماء. نظرت إلى الغرف الصغيرة حيث يقومون بفحص الناس. لم يوجد أي شخص في تلك الغرف، لا مرضى ولا أطباء.

رجعت إلى المكتب. كانت الممرضة تحدق في كتاب ضخم فيه الكثير من الأسماء. رن الهاتف. أجابت عليه. «الدكتور مينين لم يأتي بعد»، أقفلت الخط.

Tele: @Arab_Books

«عفواً»، قلت.

«نعم؟» سألت الممرضة.

«الأطباء لم يأتوا بعد، هل يمكنني العودة لاحقاً؟».

«لا».

«لكن لا أحد هنا».

«الأطباء مناوبون».

«لكن لدي موعد الساعة ٨:٣٠ صباحاً».

«كلهم لديهم موعد الساعة ٨:٣٠ صباحاً!».

كان يوجد حوالي ٤٥ إلى ٥٠ شخصاً ينتظرون.

«بما أن اسمي موجود في قائمة الانتظار، ربما أمكنني العودة لاحقاً بعد عدة ساعات، ربما تواجد بعض الأطباء».

«إذا غادرت الآن، فستفقد موعدك تلقائياً. سيكون عليك العودة غداً لو كنت مازلت تريد العلاج».

عدت وجلست على الكرسي. الآخرون لم يحتجوا. لم تصدر منهم أي حركة، إلا قليلاً.

في بعض المرات تسير ممرضتان أو ثلاث من أمامنا وهنّ يضحكن. في مرة كنَّ يدفعن رجلاً على الكرسي المتحرك. كلتا ساقيه كانتا ملفوفتين بالكثير من الضمادات، وأذنه في الجهة من رأسه التي تقابلني كانت مقطوعة. كانت هناك حفرة سوداء مكانها منقسم إلى عدة أقسام صغيرة، وبدت كأن عنكبوتاً دخلت هناك ونسجت شباكَها. مضت ساعات. حلّ الظهر وولّى. مضت ساعة أخرى. ساعتان. جلسنا وانتظرنا. ثم قال أحدهم، «ذاك هو الدكتور!».

دخل الطبيب إلى إحدى غرف الفحص وأغلق الباب. شاهدنا الأمر كلنا. لا شيء. دخلت ممرضة إلى غرفة الفحص. سمعنا

Tele: @Arab_Books

ضحكاتها. ثم خرجت. مضت خمس دقائق. عشر دقائق. ثم خرج الطبيب من الغرفة وهو يحمل لائحة في يده.

«مارتينيز؟» سأل الطبيب، «خوسي مارتينيز؟».

نهض رجل عجوز هزيل وبدأ يسير باتجاه الطبيب.

«مارتينيز؟ مارتينيز، يا إلهي، كيف حالك؟».

«مريض يا دكتور... أعتقد أنني سأموت...».

«حسناً... تقدم إلى هنا...».

دخل مارتينيز. بقي هناك داخل الغرفة لمدة طويلة. أخذت جريدة ملقاة على الأرض وحاولت أن أقرأها. لكننا كلنا كنا نفكر في شيء واحد، في مارتينيز. إذا كان سيخرج من هناك على الإطلاق، أحد ما سيكون بعده.

ثم صرخ مارتينيز. «اه اه اه! اه اه اه اه اه اه! توقف! توقف! اه اه اه! الرحمة! يا إلهي! يا إلهي! أرجوك توقف!».

«هيا، هيا، هذا لا يؤلم...». قال الطبيب.

صرخ مارتينيز مجدداً. ركضت ممرضة إلى غرفة الفحص. ثم حلَّ الصمت. كل ما أمكننا رؤيته هو الظل الأسود لباب الغرفة نصف المفتوح. ثم ركض أحد القائمين على النظام إلى غرفة الفحص. صوت غرغرة كان يصدر من مارتينيز. قاموا بإخراجه من الغرفة على نقالة مدولبة. الممرضة والقائم على النظام دفعا مارتينيز على طول الممرّ وخلال بعض الأبواب الدوارة. كانوا يغطون مارتينيز بغطاء أبيض ولكنه لم يكن ميتاً لأنهم لم يغطوا وجهه.

بقي الطبيب في غرفة الفحص لعشر دقائق أخرى. ثم خرج وهو يحمل اللائحة.

«جيفرسون ويليامز؟» سأل.

لم يجبه أحد.

Tele: @Arab_Books

«هل جيفرسون ويليامز موجود هنا؟».

لم يتلقّ أية إجابة.

«ماري بلاكثورن؟».

لم يجبه أحد.

«هاري لويس؟».

«نعم يا دكتور؟».

«تعالَ من فضلك...».

كان ذلك بطيئاً جداً. عاين الطبيب خمسة مرضى آخرين. ثم خرج من غرفة الفحص، توقف على المكتب، أشعل سيجارة وتحدث مع الممرضة لخمس عشرة دقيقة. بدا كأنه رجل ذكي جداً. كانت لديه هذه الرعشة على الجانب الأيمن من وجهه التي ظلت تظهر باستمرار، وكان له شعر أحمر يغزوه بعض الشيب. ارتدى الطبيب نظارات وظل ينزعها ويرتديها باستمرار. ظهرت ممرضة أخرى وأعطته كوباً من القهوة. أخذ رشفة، ثم، ممسكاً بكوب القهوة بيد قام بدفع الباب الدوار بيده الأخرى ورحل.

بعدها خرجت ممرضة المكتب من وراء المكتب وهي تحمل بطاقاتنا البيضاء، ثم بدأت تنادي أسماءنا. بينما كنا نجيب، كانت تقوم بإعطاء كل واحد منا بطاقته من جديد.

«هذا القسم أغلق لليوم. الرجاء العودة غداً لو أردتم ذلك. موعدكم ستجدونه مدوَّناً على بطاقتكم».

نظرت إلى بطاقتي. الموعد المدوَّن كان هو ذاته، الساعة ٨:٣٠ صباحاً.

Tele: @Arab_Books

في اليوم التالي كنت محظوظاً. نادوا اسمي. لم يكن الطبيب نفسه. اتجهت إلى غرفة الفحص. قام بتوجيه ضوء أبيض حار عليّ وبدأ يفحصني. كنت جالساً على حافة طاولة الفحص.

«امممم، امممم»، قال الطبيب، «أوه، اه. . .».

جلست هناك.

«منذ متى وأنت هكذا؟».

«منذ سنوات. والحالة تزداد سوءاً مع مرور كل يوم».

«اه، أوه. . .».

استمر في فحصي.

«الآن، أريدك أن تتمدد هنا على بطنك. سأعود حالاً».

مضت عدة لحظات وفجأة امتلأت الغرفة بالناس. كانوا كلهم أطباء. على الأقل كانوا يفحصونني ويتحدثون كأنهم أطباء. من أين أتى كل هؤلاء؟ فكّرت أنه لا يوجد بالكاد أي أطباء في مستشفى مقاطعة لوس أنجلس العام.

«أكني فولغارس(*). أسوأ حالة رأيتها في حياتي كلها كطبيب ممارس!».

«مذهل!».

«لا يصدق!».

«انظر إلى وجهه!».

«الرقبة!».

«لقد انتهيت منذ قليل من فحص فتاة لديها هذا المرض الجلدي. ظهرها غطته الدمامل والبثور. كانت تبكي. قالت لي: «كيف يمكنني

(*) أكني فولغارس: الاسم العلمي لحَب الشباب.

Tele: @Arab_Books

العثور على رجل وأنا هكذا؟ الندوب على ظهري ستبقى للأبد. أريد قتل نفسي!» والآن انظروا إلى هذا الشخص! لو فقط استطاعت رؤيته، ستعرف أن حالتها لا تستحق أن تتذمر بشأنها مقارنةً به!»

أيها الوغد اللعين، فكرت، ألا ترى أنني يمكنني سماع ما تقوله؟ كيف يمكن لرجل أن يصبح طبيباً؟ هل يقبلون أياً كان؟

«هل هو نائم؟».

«لماذا؟».

«يبدو هادئاً جداً».

«لا، لا أعتقد أنه نائم. هل أنت نائم يا ولدي؟».

«أجل».

ظلوا يُحركون الضوء الأبيض الحار على مناطق مختلفة من ظهري.

«هيا انهضْ وانقلبْ على ظهرك».

انقلبت على ظهري.

«انظروا، هناك آفة داخل فمه!».

«حسناً، كيف يمكننا معالجتها؟».

«الإبرة الكهربائية، أعتقد...».

«أجل، بالطبع، الإبرة الكهربائية».

«أجل، الإبرة».

وهكذا قرروا.

- ٣١ -

في اليوم التالي جلستُ في القاعة على الكرسي الأخضر الحديدي، وأنا أنتظر أن ينادى اسمي. أمامي جلس رجل كان لديه

Tele: @Arab_Books

شيء ليس على ما يرام في أنفه. كان أنفه أحمر جداً ومسلوخاً عنه الجلد وكبيرا جداً وطويلاً، كان يبدو كأنه ينمو على نفسه. كان بإمكانك رؤية المناطق من أنفه التي نمت على مناطق أخرى. شيء ما أثار أنف الرجل وجعله ينمو هكذا. نظرت إلى أنفه ثم حاولت التوقف عن النظر. لم أرد أن يراني الرجل وأنا أنظر إليه، كنت أعرف كيف كان يشعر. لكن الرجل بدا مرتاحاً للغاية. كان رجلاً بديناً وكان يجلس هناك شبه نائم.

نادوه أولاً. «السيد سليث؟»

تحرك للأمام قليلاً من على كرسيه.

«سليث؟ ريتشارد سليث؟».

«اه، نعم، أنا هنا...».

وقف وسار نحو الطبيب.

«كيف حالك اليوم يا سيد سليث؟».

«جيد... أنا بخير...».

بعدها تبع الطبيب إلى غرفة الفحص.

نادوني بعدها بساعة. تبعت الطبيب عبر أبواب دوارة إلى غرفة أخرى. كانت أكبر من غرفة الفحص. طلبوا مني أن أنزع ملابسي وأن أجلس على الطاولة. نظر الطبيب إليّ.

«حالتك معقدة حقاً، ألا تظن؟».

«أجل».

ثم قام بلكز دمل على ظهري.

«آلمك هذا؟».

«أجل».

«حسناً»، قال، «سنحاول القيام بتفريغ بعض الدمامل».

Tele: @Arab_Books

ثم سمعته وهو يشغل الآلة. أصدرت الآلة صوت طنين. استطعت شم رائحة زيت ساخن.

«مستعد؟» سألني.

«أجل».

قام بدفع الإبرة الكهربائية في ظهري. بدأ بحفري. كان الألم فظيعاً. ملأ أرجاء الغرفة. شعرت بالدم وهو يجري على ظهري. ثم رفع الإبرة عن ظهري.

«الآن سنقوم بجلسة تفريغ أخرى»، قال الطبيب.

بدأ بغرس الإبرة فيّ مجدداً. ثم رفعها وغرسها مجدداً في دمل ثالث. رجلان آخران دخلا الغرفة ووقفا يشاهدان. كانا طبيبين أغلب الظن. بدأ يعمل بالإبرة على جسدي مرة ثانية.

«لم أر أي شخص في السابق يوضع تحت الإبرة بهذه الطريقة»، قال أحد الرجلين.

«إنه لا يعطي حتى إشارة واحدة»، قال الرجل الآخر.

«لماذا لا تخرجان من هنا وتذهبان لقرص مؤخرة إحدى الممرضات؟» قلت لهما.

«اسمع يا فتى، لا يمكنك التحدث معنا بهذه الطريقة!».

حفرت الإبرة في جسدي مجدداً. لم أُصدر أيَّ صوت.

«من المؤكد أن الفتى يشعر بالمرارة...».

«أجل بالطبع، هذا هو السبب».

خرج الرجلان.

«هذان رجلان جيدان ومحترفان أيضاً»، قال الطبيب. «ليس في صالحك أن تسيء إليهما».

«أكمِل الحفر فحسب»، قلت له.

Tele: @Arab_Books

أكملَ الحفر. كانت الإبرة ساخنة جداً لكنه ظل يعمل بها. حفر ظهري بالكامل، ثم صدري. ثم تمددت وقام بحفر رقبتي ووجهي.

دخلت ممرضة، وبدأت تتلقى التعليمات من الطبيب.

«الآن آنسة أكيرمان، أريدك أن تصفي هذه البثور بالكامل. وعندما ترين الدم، واصلي العصر. أريدها أن تصفى تماماً».

«حاضر دكتور غروندي».

«بعدها، استخدمي جهاز الأشعة فوق البنفسجية. دقيقتين على كل جانب في البداية...».

«حاضر، دكتور غروندي».

تبعتُ الآنسة أكيرمان إلى غرفة أخرى. طلبت مني أن أستلقي على الطاولة. أحضرت منديلاً وبدأت بالعمل على أول دمل.

«هل يؤلمك هذا؟».

«أنا بخير».

«أيها الفتى المسكين...».

«لا تقلقي، أنا متأسف لأنه عليك أن تفعلي هذا». قلت لها.

«أيها الفتى المسكين...».

الآنسة أكيرمان كانت أول شخص أظهر لي بعض التعاطف والمواساة. كان ذلك شعوراً غريباً. كانت الآنسة أكيرمان امرأة بدينة وقصيرة، في مطلع الثلاثينات من عمرها. «هل تذهب إلى المدرسة؟» سألت.

«لا، كان عليهم أن يخرجوني».

ظلّت الآنسة أكيرمان تعصر بينما تتكلم معي. «ماذا تفعل إذاً طوال اليوم؟».

«أبقى في السرير فقط».

«هذا مروّع».

Tele: @Arab_Books

«لا ، إنه أمر لطيف. أحب ذلك».

«هل يؤلمك هذا الآن؟».

«استمري، لا بأس».

«ما اللطيف في البقاء في السرير طوال اليوم؟».

«أنني لا أرى أحداً».

«تحب ذلك؟».

«أوه، أجل».

«ماذا تفعل طوال اليوم وأنت على السرير؟».

«أستمع إلى المذياع لبعض الوقت».

«ما الذي تستمع إليه؟».

«موسيقى. وناس يتحدثون».

«هل تفكر في الفتيات؟».

«أجل، لكن هذا مستحيل».

«لا تريد أن تفكر بهذه الطريقة».

«أحب القيام بعمل جداول للطائرات التي تحلق فوق المنزل. إنهم يمرّون في الوقت نفسه كل يوم. لقد قمت بتحديد مواعيدها بدقة. لنقل إنني أعرف أن واحدة من الطائرات ستمر فوق المنزل الساعة ١١:١٥ صباحاً. عند الساعة ١١:١٠، أبدأ بالاستماع لصوت المحرك. أحاول سماع الصوت الأول. في بعض الأحيان أتخيل أنني سمعت صوته وفي بعض الأحيان أنا غير متأكد وبعدها أبدأ بسماع صوت المحرك، بعيداً، بالتأكيد. هذا هو. ومن ثم يصبح الصوت أقوى. ثم عند الساعة ١١:١٥ صباحاً تمر الطائرة فوق المنزل والصوت يصبح قوياً لأكثر ما يمكن».

«تفعل ذلك كل يوم؟».

«ليس عندما أكون هنا».

Tele: @Arab_Books

«انقلبْ على الجهة الأخرى»، قالت الآنسة أكيرمان.

انقلبت. ثم في القسم جانبنا بدأ رجل ما في الصراخ. كنا بجانب قسم المختلين. كان صوته عالياً للغاية.

«ما الذي يفعلونه له؟» سألتُ الآنسة أكيرمان.

«إنه في الدوش».

«وهذا يجعله يصرخ هكذا؟».

«أجل».

«أنا أسوأ حالاً منه».

«لا، أنت لست كذلك».

أحببت الآنسة أكيرمان. استرقت نظرة جيدة إليها. كان وجهها مدوراً. لم تكن جميلة جداً لكنها ارتدت قبعة الممرضات بطريقة أنيقة ولها عينان بنيتان كبيرتان. كانت عيناها هما اللتين جعلتاها جميلة. بينما كانت تجمع عدة مناديل طبية لترميها في سلة النفايات الطبية، شاهدتها وهي تسير. حسناً، لم تكن مثل الآنسة غريدس، ولقد رأيت نساء بأجساد أفضل، لكن كان هناك شيء ما دافئ فيها. لم تكن تفكر باستمرار في كونها امرأة.

«بعد أن أنتهي من وجهك»، قالت، «سأضعك تحت جهاز الأشعة فوق البنفسجية. موعدك القادم سيكون بعد الغد الساعة ٨:٣٠ صباحاً».

لم نتكلم أكثر بعدها. ثم انتهت. وضعت نظارات الوقاية وقامت الآنسة أكيرمان بتشغيل جهاز الأشعة فوق البنفسجية.

كان هناك صوت تكتكة مستمرة. كان ذلك يبعث على السلام. ربما كان ذلك العداد المؤقت الذاتي، أو عاكس الأشعة المعدني على المصباح الساخن. كان ذلك مريحاً ومهدئاً، لكن عندما بدأت بالتفكير في الأمر، قررت أن كل شيء فعلوه لأجلي كان بلا جدوى. عرفت

Tele: @Arab_Books

أن الإبرة في مطلق الأحوال ستترك ندوباً على جسدي لبقية حياتي. كان ذلك سيئاً كفاية لكنه لم يكن الأمر الذي أزعجني. الأمر الذي أزعجني أنهم لا يعرفون كيفية التعامل مع حالتي. شعرت بذلك في نقاشاتهم وفي تصرفاتهم. كانوا مترددين، منزعجين، وبطريقة ما غير مهتمين وضجرين. في النهاية لم يكن مهماً ما كانوا يفعلونه. فقد كان عليهم أن يفعلوا شيئاً - أي شيء - لأن عدم فعل شيء كان غير مهني.

كانوا يجرّبون على الفقير، وإن نجحت التجربة، يقومون باستخدام العلاج على الغني. وإن لم تنجح، كان ما يزال هناك فقراء كثيرون ليجرّبوا عليهم أكثر.

أصدر الجهاز تحذيره أن الدقيقتين قد انتهتا. بعدها نهضت الآنسة أكيرمان، طلبت مني أن أنقلب، أعادت ضبط الجهاز، ثم غادرت. كانت ألطف شخص قابلته خلال ثمانية أعوام.

- ٣٢ -

استمر الحفر والعصر لأسابيع لكن لم تكن هناك إلا فائدة قليلة ترجى من ذلك. عندما يختفي دمل يظهر في مكانه آخر. أغلب الأحيان كنت أقف أمام المرآة وحدي، وأتساءل إلى أي مدى يمكن أن يصل قبح الشخص. كنت أنظر إلى وجهي غير مصدق، ثم أعود لفحص كل الدمامل على ظهري. كنت مرعوباً. لا عجب أن الناس كانوا يحدقون، لا عجب أنهم كانوا يقولون أشياء موجعة عني. لم تكن مجرد حالة بسيطة من حَب الشباب. هذه الدمامل والبثور كانت كبيرة، منتفخة، مشتعلة، ومليئة بالقيح. شعرت أنني منعزل، كأنه تم اختياري لأكون هكذا.

Tele: @Arab_Books

لم يتحدث والداي قط عن حالتي. ما زالا عاطلين من العمل. وفي كل صباح تخرج أمي من المنزل للبحث عن عمل. وأبي كان يخرج أيضاً كأنه كان يملك عملاً. في أيام السبت يتحصل العاطلون من العمل على طعام مجاني من الأسواق، علب طعام معدنية أغلب الأحيان، علب لحم مفروم دائماً تقريباً. أكلنا كميات كبيرة من اللحم المفروم المعلب. وشطائر البولوني. والبطاطا. تعلمت أمي كيف تحضّر فطائر البطاطا. وفي كل سبت عندما يذهب والداي إلى السوق ليحصلا على الطعام المجاني لم يذهبا إلى أقرب سوق لأنهما كانا يخافان من أن يراهما الجيران ويعرفوا أنهما عاطلين من العمل أيضاً. لذا كانا يسيران لمسافة ميلين، على طول جادة واشنطن، إلى محل يقع بضعة أحياء بعد كرينشو. كانت مسافة طويلة. كانا يعودان مشياً أيضاً، متعرّقين، حاملين أكياس البضائع المليئة بعلب لحم المفروم المعلب والبطاطا والبولوني والجزر. أبي لم يستعمل السيارة لأنه أراد الإبقاء على البنزين. كان يحتاج إليه ليرحل كل صباح من المنزل إلى عمله الخيالي. الآباء الآخرون لم يكونوا مثله. كانوا يجلسون هادئين فحسب على شرفات منازلهم الأمامية أو يلعبون بحدوة الحصان المعدنية في المساحات الشاغرة من الأرض في الحي.

أعطاني الطبيب مادة بيضاء لأضعها على وجهي. كانت تجعل الدمامل قاسية بقشرة صلبة، وتمنحها منظراً يشبه الجص. المادة لم تبدُ أنها ذات فائدة. في ظهيرة يوم ما كنت وحيداً في البيت، وأنا أضع هذه المادة على وجهي وجسدي. كنت أقف بسروالي الداخلي محاولاً أن أصل بيدي إلى المناطق المصابة من ظهري، عندما سمعت بعض الأصوات. كان بولدي وصديقه جيمي هاتشر. جيمي هاتشر كان ولداً وسيماً ومغتراً بنفسه أيضاً.

«هنري!» سمعت بولدي يناديني. سمعته يتكلم مع جيمي، ثم

Tele: @Arab_Books

نهض عن الشرفة وطرق على الباب. «يا هانك، أنا بولدي! افتح الباب!».

أيها الغبي اللعين، فكرت في نفسي، ألا تفهم أنني لا أريد أن أرى أي أحد؟

«هانك! هانك! هذا نحن! بولدي وجيم!» طرق على باب المنزل.

سمعته يتكلم مع جيم: «اسمع، لقد رأيته! رأيته يسير داخل المنزل!».

«لكنه لا يجيب».

«من الأفضل أن ندخل. ربما حدث له خطب ما».

أيها الغبي، فكرت في نفسي، أنا غبي لأنني صادقتك. لقد صادقتك عندما لم يكن يريد أي أحد أن يقف حتى بجانبك. الآن، انظر إلى هذا!

لم أصدق الأمر. ركضت إلى الخزانة واختبأت داخلها، وتركت بابها مفتوحاً قليلاً. كنت متأكداً أنهما لن يدخلا إلى المنزل. لكنهما دخلا. لقد تركت الباب الخلفي مفتوحاً. سمعت خطواتهما وهما يسيران في أرجاء المنزل.

«لا بدّ أنه هنا»، قال بولدي. «لقد رأيته يتحرك هنا...».

يا إلهي، فكرت في نفسي، ألا يمكنني التحرك في هذا المنزل؟ أنا أعيش هنا.

كنت جاثماً في خزانة مظلمة. عرفت أنه لا يمكنني أن أتركهما يجدانني هنا. فتحت باب الخزانة وخرجت. رأيتهما واقفين في الغرفة الأمامية. فركضت إلى هناك.

«اخرجا من هنا يا ابنَي القحبة!».

نظرا إليّ.

Tele: @Arab_Books

«اخرجا من هنا! ليس لديكما الحق في أن تكونا هنا! اخرجا من هنا قبل أن أقتلكما!».

بدآ يركضان صوب الشرفة الخلفية.

«اركضا! استمرا في الركض! أو سأقتلكما!».

سمعتهما يركضان عبر موقف السيارات ومن بعدها إلى الرصيف. لم أرد أن أشاهدهما. فذهبت إلى غرفة نومي وتمددت على السرير. لماذا أرادا رؤيتي؟ ماذا يمكنهما أن يفعلا من أجلي؟ لم يكن يوجد شيء يمكن فعله. لا شيء للتحدث عنه.

بعدها بأيام، لم ترد أمي أن تغادر المنزل للبحث عن عمل، ولم يكن يومي للذهاب إلى مستشفى مقاطعة لوس أنجلس العام. لذا بقينا في المنزل معاً. لم يعجبني الأمر. أحببت البقاء في المكان وحدي. سمعت خطواتها في أرجاء المنزل فبقيت في غرفة نومي. الدمامل كانت أسوأ من أي وقت مضى. تفقدت جدول مواعيد الطائرات. طائرة الساعة ١:٢٠ ظهراً تأخرت. بدأت بالاستماع. كان متأخراً. الساعة ١:٢٠ ظهراً وما زالت لم تمر بعد من فوق المنزل. عندما عبرت سجلت الوقت بأنها تأخرت ثلاث دقائق. ثم سمعت صوت جرس الباب. سمعت أمي تفتح الباب.

«ايميلي، كيف حالك؟».

«مرحباً، كاتي، كيف حالك؟».

كانت جدتي. أصبحتالآن كبيرة جداً في العمر. سمعتهما تتحدثان لكنني لم أستطع فهم الموضوع الذي تحدثتا عنه. كنت شاكراً لذلك. تحدثتا لخمس أو عشر دقائق ثم سمعت صوتهما وهما تسيران في الممر باتجاه غرفة نومي.

«سأدفنكم جميعاً»، سمعت صوت جدتي. «أين الفتى؟».

فُتح الباب ووقفت جدتي وأمي هناك.

Tele: @Arab_Books

«مرحبا هنري»، قالت جدتي.

«جدتك هنا لمساعدتك»، قالت أمي.

جدتي كانت تحمل حقيبة نسائية كبيرة. وضعتها بجانب المرآة وأخرجت منها صليباً فضياً هائل الحجم.

«جدتك هنا لمساعدتك يا هنري...».

كانت الثآليل على جدتي أكثر من قبل، وكانت أكثر بدانة. بدت كأنها لا تقهر، بدت كأنها لن تموت أبداً. كبرت في العمر كثيراً إلى حد أن موتها أصبح غير منطقي.

«هنري»، قالت أمي، «استلق على بطنك».

درت فاتكأت جدتي عليّ. من زاوية عيني استطعت رؤية الصليب الفضي الهائل وهو يتدلى عليّ. لقد قررت أنني ضد الدين منذ سنوات كثيرة ماضية. فلو كان حقيقياً، فإنه يخدع الناس، أو يجذب إليه الحمقى. ولو لم يكن حقيقياً، فالحمقى عندها سيكونون أكثر حماقة.

لكن هذه المرة لم يكونوا أي أشخاص، إنهما جدتي وأمي. فقررتُ أن أدعهما تحاولان طريقتهما. بدأت جدتي تؤرجح الصليب للأمام والخلف على ظهري، على دماملي، عليّ.

«يا رب»، صلّت أمي، «اطرد الشيطان من جسد هذا الفتى! فقط انظر إلى كل هذه القروح! إنها تثير اشمئزازي، يا رب! انظر إليها! إنه الشيطان، يا رب، الشيطان يقطن في جسد هذا الفتى. اطرد الشيطان من جسده يا رب!».

«اطرد الشيطان من جسد هذا الفتى يا رب!» قالت أمي. ما كنت أحتاج إليه هو طبيب جيد، فكرت في نفسي. ما خطب هاتين المرأتين؟ لماذا لا تتركانني وحدي؟

«يا رب»، قالت جدتي، «لماذا تسمح للشيطان بأن يقطن داخل

Tele: @Arab_Books

هذا الجسد؟ ألا يمكنك رؤية أن الشيطان يستمتع بهذا؟ انظر إلى هذه القروح، أوه يا إلهي، أنا أكاد أتقيّأ بالنظر فقط إليها! إنها حمراء وكبيرة ومنتفخة!».

«اطرد الشيطان من جسد ولدي!» صرخت أمي.

«لينقذنا الرب جميعاً من هذا الشيطان!» صرخت جدّتي. ثم أخذت الصليب ولكزت به وسط ظهري، غرسته في الداخل. اندفع الدم خارجاً، استطعت الشعور بذلك، في البداية دافئ، ثم فجأة شعرت بالبرد. درت وجلست على السرير.

«اللعنة، ما الذي تفعلينه؟».

«أنا أقوم بصنع حفرة ليدفع الرب الشيطان خارج جسدك!» قالت جدتي.

«حسناً»، قلت، «أريدكما أن تخرجا الآن من الغرفة، وبسرعة! هل تفهمان ذلك؟».

«الشيطان ما زال يتلبَّسه!» قالت جدتي.

«اخرجا من هنا، اللعنة عليكم جميعاً!» صرختُ.

خرجتا، مصدومتين ومحبطتين، وأغلقتا الباب وراءهما.

أسرعتُ إلى الحمام، أخذتُ بعض ورق الحمام وحاولت أن أوقف النزيف. ثم سحبت ورق الحمام من وراء ظهري ونظرت إليه. كان كأنه غُمس في الدماء. أخذت حزمة ورق حمام جديدة وأمسكت بها على الجرح في ظهري لمدة. ثم أخذت اليود. مررته على ظهري عدة مرات، محاولاً إيصال اليود إلى مكان الجرح. كان ذلك صعباً. في النهاية استسلمت. من سمع من قبل عن ظهر ملتهب على أية حال؟ إما أن تموت أو تحيا. الظهر كان أحد الأشياء التي لم يتمكن الأوغاد من إيجاد طريقة لبترها.

عدت مجدداً إلى غرفة نومي، صعدت إلى السرير وغطيت نفسي

Tele: @Arab_Books

إلى حد حنجرتي. ثم ظللت أنظر إلى السقف بينما أتكلم مع نفسي.

حسناً يا رب، قل لي إنك هناك حقاً. أنت وضعتني في هذه المعضلة. أنت تريد امتحاني. لنفرض أنني امتحنتك؟ لنفرض أنني قلت إنك غير موجود؟ وأنت تعطيني امتحاناً سماوياً مع والديّ ومع هذه الدمامل. أعتقد أنني نجحت في امتحانك. أنا أقوى منك. لو نزلت إلى هنا الآن، لبصقت على وجهك، لو كنت تملك وجهاً. وهل تتغوط؟ الكاهن لم يجب عن هذا السؤال قط. قال إننا لا يجب أن نملك أي شك. نشك بماذا؟ أنا أعتقد أنك كنت تضايقني كثيراً جداً لذا أنا أسألك أن تنزل إلى هنا لأضعك في الامتحان!

انتظرت. لا شيء. انتظرت قدوم الرب. انتظرت وانتظرت. أظن أنني نمت.

لم أنم قط على ظهري. لكن عندما استيقظت وجدت أنني على ظهري وهذا فاجأني. وكانت ساقاي مثنيتين من ركبتي أمامي، أعطتا شكلاً مثل الجبل مع الأغطية فوقهما. وبينما كنت أنظر إلى جبل الأغطية أمامي رأيت عينين تحدقان فيّ. إلا أن العينين كانتا مظلمتين، سوداوين... بقيتا تحدقان فيّ من تحت غطاء الرأس، غطاء أسود بقمة طويلة حادة، مثل أغطية رؤوس الكو- كلوكس - كلانسمان. بقيتا تحدقان فيّ، عينان مظلمتان فارغتان، ولم يكن يوجد شيء يمكنني فعله. كنت مرعوباً حقاً. فكرت أن هذا هو الرب، لكن الرب ليس من المفترض أن يبدو هكذا.

لم أستطع أن أجعله يزيح عينيه عني. لم أستطع الحراك. لقد بقي هناك ينظر إليّ من فوق المرتفع الذي صنعته ركبتاي وغطاء السرير. أردت أن أهرب. أردت أن أغادر. كان قوياً وأسود ومخيفاً.

بدا كأنه بقي هناك لساعات، يحدق فيَّ فحسب. ثم رحل... ولكنني ظللت في السرير أفكر فيه.

Tele: @Arab_Books

لم أستطع تصديق أن هذا كان الرب، مرتدياً هذه الملابس، بهذه الطريقة. كانت لتكون خدعة رخيصة. لقد كان وهماً، بالطبع.

فكرت في الأمر لعشر أو خمس عشرة دقيقة، بعدها نهضت من السرير وذهبت لأخذ الصندوق البني الصغير الذي أعطته لي جدتي منذ عدة سنوات. في داخله كانت توجد عدة لفات من الورق عليها اقتباسات من الإنجيل. كل لفة ورق صغيرة كان لها مكانها الخاص في الصندوق. من المفترض أنك تطرح سؤالاً وتسحب بعدها ورقة من الصندوق ومن المفترض أيضاً أن هذه الورقة تجيب على سؤالك. جربت ذلك من قبل ووجدته بلا فائدة. الآن جربت ذلك مرة ثانية. سألت الصندوق البني، «ماذا عنى ذلك؟ ما الذي عنته تلك الأعين؟».

سحبت ورقة من الصندوق وفتحتها. كانت قطعة ورق صغيرة بيضاء متصلبة. فتحتها وقرأتها. الرب قد تخلى عنك!

لففت الورقة من جديد ووضعتها في مكانها في الصندوق البني. لم أصدق ذلك. بعدها رجعت إلى السرير وفكرت في الأمر. كان بسيطاً، مباشراً جداً. لم أصدق ذلك. فكرت في ممارسة العادة السرية لتعيدني إلى الواقع. ما زلت غير مصدق. نهضت من جديد وذهبت لأخذ الصندوق وفتحت كل الأوراق وظللت أبحث عن الورقة التي تقول «الرب قد تخلى عنك». فتحت كل الأوراق. لم أجدها. قرأتها كلّها ولكن بلا فائدة. لم أجد الورقة. لففتها كلها وأعدتها بحذر إلى أماكنها في الصندوق البني الصغير.

في غضون تلك الأيام، أصبحت الدمامل أسوأ. وظللتُ أسافر في الحافلة رقم ٧ إلى مستشفى مقاطعة لوس أنجلس العام، وبدأت أقع في حب الآنسة أكيرمان، ممرضتي التي تعصر لي دمامليِ. لن تعرف أبداً كيف تسببت كل طعنة ألم في بناء الشجاعة داخلي. بالرغم من الرعب الذي سببته الدماء والقيح، كانت دائماً إنسانية وطيبة معي.

Tele: @Arab_Books

شعوري بالحب اتجاهها لم يكن جنسياً. فقط تمنيت لو تحضنني داخل بياضها الرسمي، وأننا سنختفي كلانا بعدها للأبد من هذا العالم. لكنها لم تفعل ذلك قط. كان أسلوبها معي مهنياً للغاية. كانت فقط دائماً ما تذكّرني بموعدي القادم في المستشفى.

- ٣٣ -

جهاز الأشعة فوق البنفسجية اشتغل. بدأ العلاج على جهتَي جسدي. نزعتُ نظارات الوقاية وبدأت في ارتداء ملابسي. دخلت الآنسة أكيرمان. «لم ننتهِ بعد»، قالت، «لا ترتدِ ملابسك». ماذا ستفعل لي، فكرت في نفسي؟ «اجلس على حافة الطاولة». جلست هناك ثم بدأتْ في وضع المرهم على وجهي. كانت مادة زبدية سميكة.

«الأطباء قرروا البدء في طريقة علاج جديدة. سنضمد وجهك لزيادة تأثير علاجنا في الجلسات».

«آنسة أكيرمان، ما الذي حدث للرجل ذي الأنف الكبير؟ الأنف الذي يزداد حجمه مع الوقت؟».

«السيد سليث؟».

«الرجل ذو الأنف الكبير».

«ذاك هو السيد سليث».

«لم أعد أراه هنا إطلاقاً». قلت، «هل تعالج؟».

«إنه ميت».

«تقصدين أنه مات بسبب الأنف الكبير؟».

«لقد انتحر».

استمرت الآنسة أكيرمان في وضع المرهم. بعدها سمعت رجلاً

Tele: @Arab_Books

يصرخ من القسم الذي بجانبنا، «جو، أين أنت؟ لقد قلت إنك ستعود يا جو! أين أنت يا جو؟».

كانت الأصوات عالية وحزينة جداً، متألمة جداً.

«إنه يفعل هذا في كل ظهيرة هذا الأسبوع»، قالت الآنسة أكيرمان، «وجو لن يأتي إليه أبداً».

«ألا يمكنهم مساعدته؟».

«لا أعرف. كلهم يسكتون في النهاية. الآن ضع إصبعاً على الضمادة بينما أقوم بتضميدك. هنا. أجل. هذه هي. الآن انزع إصبعك. جيد».

«جو! لقد قلت إنك ستعود يا جو! أين أنت يا جو؟».

«الآن ضع إصبعك على هذه الضمادة. هنا. أمسكها هنا. والآن سأقوم بتضميدك بشكل جيد! حسناً. والآن سأقوم بتثبيت الضمادات».

بعدها انتهت.

«أوكي، ارتد ملابسك الآن. أراك بعد الغد. إلى اللقاء يا هنري».

«إلى اللقاء آنسة أكيرمان».

ارتديت ملابسي، خرجت من الغرفة وسرت في الردهة. كانت توجد مرآة على ماكينة السجائر في القاعة. نظرت في المرآة. كان ذلك رائعاً. رأسي كله مضمد. كلي أبيض. لا يمكن رؤية شيء من رأسي إلا عينيّ، فمي، وأذنيّ، وبعض الشعر الذي يبرز من قمة رأسي. أصبحت مخفياً تماماً. كان ذلك مذهلاً.

وقفتُ وأشعلت سيجارة ونظرت في أرجاء القاعة. بعض المرضى كانوا جالسين يقرأون المجلات والجرائد. شعرت أنني مميز

Tele: @Arab_Books

جداً لكن شرير بعض الشيء، لا أحد كانت لديه أي فكرة عمّا حدث لي. حادث سير. قتال للموت. جريمة قتل. حريق. لا أحد يعرف.

سرتُ خارج القاعة وخرجت من المبنى ووقفت على الرصيف. كنت ما زلت أستطيع سماعه، «جو! جو! أين أنت يا جو!».

جو لن يأتي. الثقة بإنسان آخر ليست مثمرة. فالبشر لا يملكونها فيهم، مهما تطلب الأمر من وقت.

في طريق العودة، جلستُ في مؤخرة الحافلة وظللت أدخن السجائر برأسي المضمد. كان الناس يحدقون فيّ لكنني لم أهتم. كان يوجد خوف أكثر في أعينهم من الاشمئزاز والرعب الذي كان في أعينهم من قبل. تمنيت لو استطعت البقاء هكذا للأبد.

نزلت في آخر محطة للحافلة. كان العصر يتحول إلى مساء وأنا واقف في الزاوية ما بين جادة واشنطن وجادة ويستفيو أراقب الناس. كانت القلة التي لديها عمل عائدة إلى منازلها. سيمر أبي بسيارته عائداً للمنزل من عمله الوهمي قريباً. لم أملك عملاً، لم أذهب إلى المدرسة. لم أفعل أي شيء. كنت مضمداً، وواقفاً في الشارع أدخّن السجائر. كنت رجلاً شرساً، كنت رجلاً خطيراً. كنت أعرف الكثير من الأشياء. سليث والانتحار. لم أكن سأنتحر. سأفضل قتل البعض منهم على ذلك. سآخذ أربعة أو خمسة منهم قبل أن أموت. سأريهم ما معنى العبث مع شخص مثلي.

سارت امرأة في الشارع باتجاهي. كانت ساقاها جميلتين. في البداية حدقت إلى عينيها وبعدها نظرت أسفلاً إلى ساقيها، وبينما مرت من جانبي ظللت أشاهد مؤخرتها، ثملت بالنظر إلى مؤخرتها. حفظت مؤخرتها وما ظهر من جواربها النسائية الحريرية. لم أكن أستطيع فعل ذلك دون الضمادات التي غلفتني.

Tele: @Arab_Books

- ٣٤ -

في اليوم التالي وأنا في السرير، تعبت من انتظار مرور الطائرات من فوق المنزل، ووجدت دفتراً أصفر كبيراً كان من المفروض أن يكون دفتراً لواجبات المدرسة الثانوية. وجدت قلماً أيضاً. ذهبت إلى السرير ومعي الدفتر والقلم. رسمت بعض الرسومات. رسمت نساء يرتدين الكعوب العالية وسيقانهن على بعضها البعض وتنانيرهن مرفوعة لأعلى.

ثم بدأت بالكتابة. كتبت عن طيار ألماني في الحرب العالمية الأولى. البارون فان هيملن. كان يقود طائرة فوكر حمراء. ولم يكن محبوباً من زملائه الطيارين. لم يكن يتحدث معهم. كان يشرب وحيداً ويطير وحيداً. لم يكن يزعج نفسه بالنساء، بالرغم من أنهن أحببنه جميعاً. كان أفضل من ذلك. كان مشغولاً جداً. مشغولاً بإسقاط طائرات الحلفاء العسكرية من السماء. كان قد أسقط ١١٠ طائرات وحده لكن الحرب لم تنته. طائرته الفوكر الحمراء، التي كان يسميها «طائر موت أكتوبر» كانت معروفة في كل الأنحاء. حتى من قوات العدو على الأرض كانت تميزه عندما يطير فوقهم، وهم يطلقون النار عليه وهو يضحك بينما يرمي عليهم زجاجات الشمبانيا المربوطة بمظلات باراشوت صغيرة. البارون فون هيملن لم تهاجمه قط أقل من خمس طائرات مقاتلة للتحالف في مرة واحدة. كان رجلاً بشعاً بندوب على وجهه، لكنه كان جميلاً لو نظرت إليه طويلاً - كانت عيناه، أسلوبه، شجاعته، وحدته الشعواء.

كتبت صفحات وصفحات عن معارك البارون، كيف كان يُسقط ثلاث أو أربع طائرات للعدو، ثم يعود، وتقريباً لم يبق شيء من طائرته الفوكر الحمراء. يهبط بها وهي بحالة سيئة ثم يقفز منها وهي

Tele: @Arab_Books

ما زالت تتحرك ويتجه إلى الحانة ويأخذ الزجاجة ويجلس على الطاولة وحيداً، يصب كأس شراب تلو أخرى ويشربها دفعة واحدة في كل مرة. لم يشرب أحد مثل البارون. الآخرون وقفوا في الحانة ينظرون إليه لا غير. في إحدى المرات قال أحد الطيارين، «ماذا بك يا هيملن؟ تظن أنك أفضل منا؟» كان ذلك ويلي شميدت، أكبر، وأقوى شخص في المجموعة. أنزل البارون شرابه على الطاولة ووضع الكؤوس على الطاولة، نهض وبدأ يسير ببطء باتجاه ويلي الذي كان يقف بجانب البار. الطيارون الآخرون تراجعوا.

«يا إلهي، ماذا تظن أنك فاعل؟» سأل ويلي بينما كان البارون يتقدم نحوه.

استمر البارون في التحرك ببطء باتجاه ويلي، لا يكترث لأسئلته ولا يجيب عنها.

«يا إلهي يا بارون، أنا كنت أمزح فقط! بشرف أمي! اسمعني، بارون... بارون... العدو ليس هنا! بارون!».

أطلق البارون لكمته اليمنى. لم يكن بالإمكان رؤيتها. ارتطمت بوجه ويلي طارحةً إياه فوق البار، ثم أوقعته من على البار تماماً! ارتطم ويلي بمرآة البار مثل قذيفة المدفع وسقطت زجاجات الشراب على الأرض وتحطمت. أخرج البارون سيجاره وأشعله، ثم عاد إلى طاولته، جلس وسكب لنفسه كأساً أخرى. لم يزعجوا البارون بعد ذلك على الإطلاق. من وراء البار رفعوا ويلي. وجهه كان كتلة من الدماء.

أسقط البارون طائرة وراء أخرى من السماء. لا أحد بدا أنه فهمه ولا أحد عرف كيف أصبح موهوباً هكذا بطائرته الفوكر الحمراء وبأساليبه الغريبة. مثل القتال. أو طريقة سيره الرشيقة. استمر البارون ولم يتمكّن أحد من إيقافه. في بعض المرات ساء حظه. ذات يوم،

Tele: @Arab_Books

في طريق العودة بعد أن أسقط ثلاث طائرات للحلفاء، وهو يطير على علو منخفض وراء خطوط العدو، أصابته شظية. اقتلعت يده اليُمنى من الرسغ. لكنه استطاع الهبوط بطائرة الفوكر الحمراء. من بعد تلك الحادثة بدأ البارون في الطيران بيد حديدية بدل يده اليمنى. لم يؤثر ذلك على طيرانه. والرفاق في الحانة أصبحوا أكثر حذراً وخشية عند الحديث معه.

الكثير من الأشياء الأخرى حدثت للبارون بعد ذلك. تحطمت طائرة البارون مرتين في أرض اللاعودة وفي كل مرة استطاع البارون الزحف إلى قاعدة الطيران، نصف ميت، عبر أسلاك شائكة وانفجارات ونيران العدو. وفي الكثير من الأحيان تُرك البارون وحده ليموت من قِبل رفاقه. في إحداها فُقد البارون لثمانية أيام وبقي الطيارون الآخرون جالسين في الحانة، يتحدثون عن كيف كان البارون رجلاً مميزاً بحق. وعندما نظروا إلى الباب، رأوه، البارون كان يقف على الباب، بلحية عمرها ثمانية أيام، وزيه العسكري ممزق وملطخ بالوحل، وعيناه حمراوان وغائمتان، واليد الحديدية تومض بضوء الحانة. عاد البارون. وقف هناك وقال: «من الأفضل أن يتوفر الويسكي اللعين في هذا المكان أو سأقوم بتحطيمه!».

بدأ البارون بعمل أشياء ساحرة. نصف الدفتر كان مليئاً بالبارون فون هيملن. جعلني ذلك أشعر بشعور جيد تجاه البارون. الرجل يحتاج إلى أحدهم. لم يكن يوجد أحد حولي، لذا كان عليك أن تصنع أحدهم، تصنعه مثل رجل يعرف كيف يجب أن يكون الرجل. لم يكن نوعاً من الخيال أو خداعاً. الطريقة الأخرى هي التي ستكون نوعاً من الخيال أو خداعاً: أن تعيش حياتك دون أن يكون رجل مثله حولك.

Tele: @Arab_Books

- ٣٥ -

كانت الضمادات مفيدة. أخيراً قام مستشفى مقاطعة لوس أنجلس بعمل ذي فائدة. الدمامل جفت. لم تختف لكنها أصبحت أقل بروزاً ومسطحة بعض الشيء. لكن في المقابل ظهرت دمامل جديدة مكان القديمة مرة ثانية. حفروني وضمّدوني مرة أخرى.

كانت جلسات الحفر لا تنتهي. الجلسة الثانية والثلاثون، السادسة والثلاثون، الثامنة والثلاثون. لم أعد أخاف من الحفر مثل المرات السابقة. لم يكن هناك أي خوف على أية حال. فقط الغضب. لكن الغضب زال. لم يكن هناك حتى تخلٍّ عن الغضب من قبلي. فقط قرف، قرف لأن هذا لم يحدث إلا لي، وقرف من الأطباء الذين لم يستطيعوا فعل أي شيء لي. كانوا بلا جدوى، وأنا الآخر لا حول ولا قوة لي. الفرق الوحيد بيني وبينهم هو أنني كنت الضحية. كان بإمكانهم العودة إلى منازلهم، إلى حياتهم ونسيان كل شيء، أما أنا فسأكون لا أزال عالقاً بالوجه ذاته.

لكن طرأت تغيرات في حياتي. أبي وجد عملاً. استطاع النجاح في امتحان متحف مقاطعة لوس أنجلس وحصل على عمل هناك كحارس أمن. أبي كان جيداً في الامتحانات. أحبَّ الرياضيات والتاريخ. نجح في النهاية في الامتحان وأخيراً حصل على مكان يذهب إليه كل صباح. كانت توجد ثلاثة أماكن شاغرة لثلاثة حراس وأبي حصل على أحدها.

عرف مستشفى مقاطعة لوس أنجلس العام بطريقة ما أن أبي حصل على عمل، فقالت لي الآنسة أكيرمان ذات يوم، «هنري، هذه آخر جلسة علاج، سأشتاق إليك».

Tele: @Arab_Books

«أوه لا تقولي ذلك»، قلت، «أوقفي المزاح. أنتِ ستشتاقين إليّ مثلما سأشتاق إلى تلك الإبرة الكهربائية!».

إلا أنها كانت حقاً تتصرف بغرابة ذلك اليوم. تانك العينان الكبيرتان كانتا تدمعان. سمعتها تنقر أنفها. ثم سمعت إحدى الممرضات وهي تسألها، «لماذا يا جانيس؟ ما خطبك؟».

«لا شيء، أنا بخير».

المسكينة الآنسة أكيرمان. كان عمري ١٥ عاماً وواقع في حبها وكنت مغطى بالدمامل ولا يوجد أي شيء بإمكاننا فعله.

«حسناً»، قالت، «هذه ستكون آخر جلسة علاج بالأشعة فوق البنفسجية. استلق على بطنك».

«أنا أعرف اسمك الأول الآن»، قلت لها، «جانيس. اسم جميل، يليق بك».

«أوه، اسكت»، قالت.

رأيتها مرة ثانية عندما أطلق الجهاز صوت تحذيره. التفتُّ، رأيت جانيس تخرج من الغرفة بعد أن ضبطت الجهاز. لم أرها مجدداً على الإطلاق.

أبي لم يكن مؤمناً بالأطباء الذين لا يعملون بالمجان. «إنهم يدعونك تتبول في أنبوب، ويأخذون مالك، ويعودون إلى منازلهم لزوجاتهم في بيفرلي هيلز!» قال أبي.

لكنه في مرة أرسلني إلى واحد منهم. إلى طبيب يملك نفساً كريهاً ورأساً مدوراً مثل كرة السلة، ولكن مع عينين صغيرتين ليستا لدى كرة السلة. لم أكن أحب أبي والطبيب لم يكن وضعه أفضل. قال لي، لا مزيد من الطعام المقلي، وعليك أن تشرب عصير الجزر. هذا هو. سأعود إلى المدرسة الثانوية في الفصل الدراسي القادم، قال لي أبي.

Tele: @Arab_Books

«أنا أرهق مؤخرتي اللعينة لإيقاف الناس عن السرقة من المتحف. بالأمس حطم أحد الزنوج زجاج إحدى المعروضات وسرق قطعاً نقدية نادرة. أمسكت بالوغد. تدحرجنا على الدَّرج سوياً. أمسكت به حتى أتى الباقون. أنا أخاطر بحياتي كل يوم. لماذا عليك أن تجلس على مؤخرتك وأنت تبكي إذاً؟ أريدك أن تصبح مهندساً. كيف ستصبح مهندساً وأنا أجد رسوم نساء تنانيرهن مرفوعة إلى مؤخراتهن في دفاترك؟ هل هذا كل ما يمكنك رسمه؟ لماذا لا ترسم الزهور أو الجبال أو المحيط؟ ستعود إلى المدرسة!».

شربت عصير الجزر وانتظرت بداية الفصل الدراسي الجديد. فاتني فصل واحد فقط. الدمامل لم تُشفَ كلياً لكنها أصبحت أقل سوءاً من ذي قبل.

«أتعرف كم يكلفني عصير الجزر؟ عليّ أن أعمل الساعة الأولى من كل يوم من أجل عصير الجزر اللعين خاصتك!».

اكتشفت مكتبة لاسينغا العامة. حصلت على بطاقة مكتبة. كانت المكتبة بالقرب من الكنيسة القديمة في نهاية جادة ويست أدامز. كانت مكتبة صغيرة جداً وكان بها عاملة مكتبة واحدة فقط. كانت راقية حقاً. عمرها حوالى ٣٨ عاماً لكن شعرها أبيض بالكامل ومشدود إلى الخلف بقوة بكعكة شعر وراء عنقها. أنفها كان حاداً وعيناها خضراوين وراء نظارة بدون إطار. شعرت أنها تعرف كل شيء.

سرت في أرجاء المكتبة وأنا أنظر إلى الكتب. سحبت بعضاً منها من الرفوف، واحداً تلو الآخر. لكن كلها كانت تافهة. مملة جداً. صفحات وصفحات من كلمات لا تقول أي شيء. ولو كانت تقول شيئاً ما فإنها كانت تأخذ وقتاً طويلاً لقوله وعندئذ تكون متعباً جداً ليهمك الأمر على أية حال. جرّبت كتاباً بعد كتاب. بالتأكيد، من كل تلك الكتب، كان هنالك كتاب واحد.

Tele: @Arab_Books

في كل يوم أسير فيه إلى المكتبة ما بين شارع أدامز ولابري، أجد داخلها عاملة المكتبة خاصتي، عابسة، ومثالية وصامتة. ظللت أسحب الكتب من الرفوف. أول كتاب حقيقي وجدته كان كتاب شخص يدعى أبتون سنكلير. جُمله كانت بسيطة وكان يتحدث بغضب. كتب بغضب. كتب عن حظائر خنازير شيكاغو. كان مباشراً ويتكلم عن كل شيء بصراحة. ثم وجدت كاتباً آخر. اسمه سنكلير لويس. واسم الكتاب «الشارع الرئيسي». قام سنكلير بنزع طبقات النفاق التي تغطي الناس. إلا أن العاطفة بدت أنها تنقص كتاباته. عدت إلى المزيد من الكتب. قرأت كل كتاب في مساء واحد. في أحد الأيام كنت أسير في المكتبة وأسترق بعض النظرات إلى عاملة المكتبة خاصتي عندما اعترضني كتاب اسمه «انحَنِ للخشب والحجر». الآن هذا الكتاب كان جيداً حقاً، لأن هذا ما كنا نقوم به. وأخيراً، بعض النار. فتحت الكتاب. كان لكاتبة تدعى جوزفين لورنس. امرأة. لا بأس بذلك. أي شخص يمكنه إيجاد المعرفة. فتحت الكتاب وقلبت الصفحات. لكنه كان مثل الكثير من الكتب التي تصفّحتها سابقاً: طفولية، غامضة، مملة. فبدلت الكتاب. وبينما كانت يدي على الرف هناك سحبت كتاباً قريباً آخر. كان الكاتب لورنس آخر. فتحت الكتاب عشوائياً وبدأت القراءة. كان يتحدث عن رجل على البيانو. كم بدا الأمر مزيفاً في البداية. لكنني ظللت أقرأ. الرجل على البيانو كان مضطرباً. عقله يقول عدة أشياء. أشياء مظلمة وغريبة. السطور على الصفحة كانت قريبة من بعضها البعض، مثل رجل يصرخ، لكن لا يصرخ «أين أنت يا جو؟» بل كان الصراخ أقرب إلى «جو أين أي شيء؟» لم يخبرني عنه أحد من قبل. لورنس هذا صاحب السطور المشدودة واللعينة. لماذا أبقوا الأمر سراً؟ لماذا لم يقوموا بالدعاية له؟

Tele: @Arab_Books

قرأت كتاباً له كل يوم. قرأت كل كتب دي. اتش. لورنس الموجودة في المكتبة. عاملة المكتبة بدأت تنظر إليّ بغرابة بينما كنت أتفقد الكتب.

«كيف حالك اليوم؟» كانت تسأل.

بدا سؤالها رائعاً دائماً. شعرت حتى أنني مارستُ الجنس معها. قرأت كل كتب دي. اتش. لورنس وهذا قادني إلى آخرين. إلى اتش. دي، الشاعرة. وهكسلي، أصغر آل هكسلي، صديق لورنس. كل ذلك أتى إليّ بسرعة. كتاب قاد إلى آخر. قرأت لدون باسوس. لم يكن جيداً جداً في الحقيقة، لكنه كان جيداً كفاية. ثلاثيته، حول الولايات المتحدة الأمريكية، أخذت مني أكثر من يوم للقراءة. درايزر لم يتماش معي. شيروود أندرسون على العكس. وثم أتى همنغواي. يا لها من إثارة! كان يعرف كيف يضع سطراً من الكلمات على الورقة. أبهجتني كتبه. كلماته لم تكن مملة، كلماته كانت أشياء تجعل عقلك يدندن. لو قرأتها وأطلقت العنان لنفسك لشعرت بالسحر، كان بإمكانك العيش بلا ألم، بالأمل، بالرغم من أي شيء يحدث لك.

لكن الأمر كان يختلف في المنزل...

«أطفئ الأضواء!» كان أبي يصرخ.

بدأت في القراءة للروس الآن، أقرأ لتورغينيف وغوركي. قانون أبي الجديد هو إطفاء كل أضواء المنزل عند الساعة الثامنة مساءً. أراد أن ينام ليستيقظ منتعشاً ونشطاً لعمله في اليوم التالي. أحاديثه في المنزل كانت دائماً حول «العمل». كان يتكلم مع أمي حول «عمله» من اللحظة الذي يدخل فيها الباب مساءً بعد عودته من العمل حتى اللحظة التي يخلد فيها للنوم. كان مصمماً على الارتقاء في سلم الرتب بالمتحف.

Tele: @Arab_Books

«حسناً، يكفيك من هذه الكتب اللعينة! أطفئ الأضواء!» كان يقول لي.

هؤلاء الرجال الذين دخلوا حياتي من حيث لا أدري كانوا فرصتي الوحيدة. كانوا الأصوات الوحيدة التي تكلمت معي.

«حسناً»، كنت أجيبه. بعدها آخذ مصباح القراءة، أزحف تحت أغطية السرير، أسحب الوسادة معي أسفل الأغطية، وأبدأ في قراءة كتاب جديد، أضعه على الوسادة، تحت لحاف الغطاء. خلال لحظات من القراءة، يصبح الجو حاراً جداً، المصباح يسخن، وأبدأ في مواجهة صعوبة في التنفس، وعندها أرفع الغطاء من أجل بعض الهواء.

«ما هذا؟ هل أرى ضوءاً؟ هنري هل فتحت الأضواء؟» وبسرعة أضع لحاف الغطاء مجدداً وأنتظر ريثما أسمع شخير أبي.

تورغينيف كان شخصاً جدياً للغاية لكنه كان يجعلني أضحك، لأن الحقيقة عندما تقابلك لأول مرة يمكنها أن تكون مضحكة جداً. عندما تكون الحقيقة عند شخص آخر هي نفس الحقيقة عندك، ويبدو الأمر كأنه يُحدثك أنت فقط عنها، هذا أمر رائع.

قرأت كتبي في الليل، ذات الأمر كل مرة، تحت لحاف الغطاء على مصباح القراءة الذي يسخن بسرعة، قارئاً كل تلك السطور الجيدة بينما أختنق. كان ذلك ساحراً.

وأبي وجد عملاً، وهذا كان أمراً ساحراً بالنسبة له...

- ٣٦ -

عندما عدت إلى مدرسة تشلسي الثانوية، لم يتغير أي شيء. مجموعة من طلاب آخر سنة تخرجوا وأخذ مكانهم مجموعة ثانية من

Tele: @Arab_Books

طلاب آخر سنة بسياراتهم الرياضية وملابسهم الباهظة الثمن. لم أواجههم أبداً. تركوني في حالي، تجاهلوني. كانوا مشغولين بالفتيات. لم يتكلموا قط مع الطلاب الفقراء داخل أو خارج الحصة.

بعد أسبوع من بداية دراستي في الفصل الثاني تحدثت مع أبي على العشاء.

«اسمع»، قلت، «الحياة في المدرسة صعبة. أنت تعطيني ٥٠ سنتاً كمصروف أسبوعي. هل يمكنك أن تجعلها دولاراً واحداً؟».

«دولاراً؟».

«أجل».

وضع الشوكة المليئة بالمخلل المقطع داخل فمه وبدأ يمضغ. ثم نظر إليّ من تحت حاجبيه المجعدين، «لو أعطيتك دولاراً كل أسبوع هذا سيعني أنني سأعطيك ٥٢ دولاراً في السنة، وهذا سيجعلني أعمل أسبوعاً إضافياً فقط من أجل ما تسميه أنت مصروفك!».

لم أرد عليه. لكنني فكرت، يا إلهي، لو كنت تفكر هكذا، شيئا بشيء، لن يمكنك شراء أي شيء: خبز، بطيخ، جرائد، دقيق، حليب أو معجون حلاقة. لم أقل أي شيء آخر لأنك عندما تكره، عليك ألّا تتوسل...

أولئك الأولاد الأغنياء أحبوا التفحيط بسياراتهم، بسرعة، تنزلق السيارات، يحترق مطاط الإطارات، وسياراتهم تلمع تحت أشعة الشمس بينما تجتمع الفتيات لمشاهدتهم. الحصص كانت نكتة، الجميع كان سيذهب بطريقة ما أو بأخرى إلى الجامعة، فلم تكن الصفوف إلا عبارة عن ضحك روتيني، كلهم حصلوا على درجات جيدة، ونادراً ما كنت تراهم ومعهم كتب، تراهم فقط يحرقون مزيداً من مطاط الإطارات، مسرعين من الرصيف بسياراتهم المليئة بالفتيات

Tele: @Arab_Books

اللاتي كنَّ يضحكن ويصحن. شاهدتهم ومعي ٥٠ سنتاً في جيبي. لم أكن أعرف حتى كيف أقود سيارة.

خلال كل ذلك، استمر الفقراء والتائهون والأغبياء بالتجمع حولي. كان لديّ هذا المكان تحت مدرج ملعب كرة القدم أحب أن آكل فيه غدائي، شطيرتَي بولوني في الكيس البني الخاص بغدائي. كانوا يأتون إليّ، «مرحباً هانك، هل يمكنني أن آكل بجانبك؟».

«ارحل من هنا أيها اللعين! لن أردد ذلك مرتين!».

اكتفيت من التصاق مثل هذا النوع من الناس بي. لم أكترث لأي أحد منهم: بولدي، جيمي هاتشر، وولد طويل وهزيل ويهودي، ايب مورتينسون. كان أذكى طالب، درجات كاملة دائماً، لكنه كان أكبر أحمق في المدرسة. كان يوجد شيء ليس على ما يرام للغاية فيه. كان اللعاب يتشكل في فمه بكثرة، لكن بدلاً من بصقه على الأرض للتخلص منه كان يبصق به على يديه. لا أعرف لماذا كان يقوم بذلك ولم أسأل. لم أكن أحب أن أسأل. شاهدته فحسب وأقرفني ذلك. عدت معه إلى المنزل ذات مرة وعرفت كيف كان يحصل على درجات كاملة. كانت والدته ترغمه على حشر أنفه أمام الكتاب عند وصوله إلى المنزل على الفور وترغمه على إبقائه هناك. كانت تجعله يقرأ كل كتب المدرسة مرة وراء مرة، صفحة وراء صفحة. «لا بدّ أن ينجح في امتحاناته»، قالت لي. لم يراودها قط أن الكتب ربما تكون مخطئة. أو أنها غير مهمة. لم أسألها.

الأمر يتكرر من جديد، مثل المدرسة الإعدادية بالضبط. لقد تجمعوا حولي، الضعفاء بدل الأقوياء، القبيح بدل الجميل، الخاسرون بدل المنتصرون. بدا الأمر كأن قدري هو أن أرافقهم طوال حياتي. لم يضايقني الأمر كثيراً في الحقيقة أكثر من أنني بدوت شديد الإغراء لهؤلاء الأشخاص البليدين والحمقى. كنت أشبه بغائط يجذب

Tele: @Arab_Books

الذباب بدل زهرة تجذب الفراشات والنحل. أردت أن أحيا حياتي وحدي، شعرت أنني أفضل وحدي، أنقى، ولكنني لم أكن ذكياً كفاية كي أستطيع التخلص منهم. ربما كانوا هم أسيادي: آباء في شكل آخر. في كل حدث، كان من الصعب عليّ أن أجدهم يتسكعون حولي بينما آكل شطائري.

- ٣٧ -

لكن كانت هناك بعض اللحظات الجيدة. جين، الذي كان صديقي أحياناً من الحي، كان أكبر مني بسنة، كان لديه هذا الصديق، هاري غيبسون، الذي خاض مباراة ملاكمة محترفة واحدة وخسرها. كنت عند جين في عشية أحد الأيام أدخن السجائر معه عندما أتى هاري غيبسون ومعه زوجان من قفازات الملاكمة. جين وأنا دخنا السجائر مع كلا أخويه الأكبر منه، لاري ودان.

هاري غيبسون كان شخصاً مغروراً. «هل يريد أحد منكم أن يجرب حظه؟» سأل. لم يقل أحد شيئاً. أخو جين الأكبر، لاري، كان عمره ٢٢ عاما. كان الأكبر حجماً، لكنه كان جباناً ومتخلفاً عقلياً نوعا ما. كان له رأس كبير، وكان قصيراً وبديناً، ولكن جسده كان مكتمل النمو، إلا أن كل شيء أثار خوفه. لذا نظرنا كلنا إلى دان الأخ الأكبر بعد لاري، بعد أن قال لاري، «لا، لا أريد أن أقاتل».

كان دان عبقرياً في الموسيقى، كان شبه متحصل على منحة جامعية لكن ذلك ليس مؤكداً. على العموم، بما أن لاري رفض تحدي هاري، فكان على دان القبول. وضع دان قفازي الملاكمة وبدأ يستعد لقتال هاري غيبسون.

كان هاري غيبسون ابن قحبة مرواغاً وبارعاً حقاً. حتى أن أشعة

Tele: @Arab_Books

الشمس قد سقطت على قفازيه وأضاءتهما بطريقة معينة. تحرك هاري بدقة، وثقة ورشاقة. كان ينط ويتبختر ويرقص حول دان. أما دان فكان واقفاً يضع قفازيه أمام وجهه وينتظر. لكمة غيبسون الأولى كانت قوية وسريعة مثل رصاصة بندقية. كانت توجد بعض الدجاجات في الحظيرة في فناء البيت، اثنتان منها قفزتا في الهواء عند سماعهما صوت اللكمة. سقط دان للخلف. تمدد على العشب، كلتا ذراعيه تمددتا على الأرض مثل مسيح رخيص ما.

نظر لاري إليه وقال، «سأدخل إلى المنزل». سار بسرعة إلى باب الشباك الخارجي، فتحه واختفى.

سرنا إلى دان. وقف غيبسون أمامه بابتسامة صغيرة على وجهه. انحنى جين لأسفل ورفع رأس دان قليلاً.

«دان؟ أنت بخير؟» هز دان رأسه بالإيجاب ونهض ببطء وجلس.

«يا إلهي، هذا الشخص يحمل معه سلاحاً فتاكاً. خذوا هذا القفاز بعيداً عني!».

فك جين فردة القفاز الأولى، وأنا قمت بفك الأخرى. نهض دان وسار صوب الباب الخلفي لمنزلهم مثل رجل عجوز. «سأستلقي قليلاً. . . » ثم دخل المنزل.

التقط هاري غيبسون زوج القفازين ونظر إلى جين. «ما رأيك يا جين؟».

بصق جين على الأرض. «ماذا تحاول أن تفعل بحق الجحيم، تريد أن تضرب العائلة كلها؟».

«أعرف أنك أفضل مقاتل بينهم يا جين، لكنني سأتساهل معك على أية حال».

هزّ جين رأسه موافقاً فقمت بربط القفازين على يديه. كنت جيداً في ربط القفازات.

Tele: @Arab_Books

بدأ القتال. بدأ غيبسون في الدوران حول جين، معداً نفسه للقتال. دار إلى اليمين، ثم دار إلى اليسار. أخذ يتمايل وينط. ثم بدأ يقترب من جين. في البداية لكم جين لكمة قوية بيسراه. حطت اللكمة ما بين عيني جين. تراجع جين فلحقه غيبسون. عندما استطاع غيبسون محاصرة جين أمام حظيرة الدجاج لكمه لكمة خفيفة بيسراه على جبهته ثم لكمة قوية أخرى بيمناه على صدغ جين الأيسر. انزلق جين على سياج حظيرة الدجاج حتى اصطدم بالسور. ثم انزلق على طول السور، وهو يحمي نفسه. لم يكن يحاول القتال. خرج دان من المنزل ومعه قطعة من الثلج مغلفة بخرقة قماش. جلس على دَرج الشرفة وأمسك بخرقة القماش على جبهته. تراجع جين على طول السور. حصره هاري في الزاوية بين السور والمرآب. ثم لكمه واحدة على بطنه وعندما انحنى جين لكمه لكمة سفلية بيمناه. لم يعجبني الأمر. لم يتساهل غيبسون مع جين كما وعده. انفعلت.

«اضرب ذاك النذل يا جين! إنه جبان! اضربه!».

أنزل غيبسون قفازه، نظر إليّ وسار نحوي.

«ماذا قلت يا وغد؟».

«أنا أشجّع رجلي هناك»، قلت.

كان دان بجانب جين ينزع له القفازين.

«هل سمعت شيئاً ما عن كوني جباناً؟».

«أنت قلت إنك ستتساهل معه، لكنك لم تفعل. أنت تقوم بضربه بكل ما تملك من قوة!».

«هل تقول إنني كاذب؟».

«أنا أقول إنه ليست لديك كلمة رجل!».

«هيا تعالى أنت، وضع القفاز في يديّ هذا السافل!».

Tele: @Arab_Books

أتى جين ودان وبدآ بوضع القفاز في يديّ. «تساهل معه يا هانك»، قال جين، «تذكر أنه متعب من قتاله معنا».

جين وأنا تقاتلنا عراة الأيادي في يوم تاريخي جدير بالذكرى لعدة ساعات، من التاسعة صباحاً إلى السادسة مساءً. كان جين جيداً جداً في ذاك القتال. كانت لدي يدان صغيرتان وعندما تملك مثل هاتين اليدين فإنه إما لديك قدرة على اللكم بقوة هائلة أو تكون ملاكماً بارعاً بشكل من الأشكال. وأنا كنت أملك القليل من الأمرين. في اليوم التالي كان جسدي العلوي بالكامل أرجواني اللون ومليئاً بالكدمات وشفتاي منتفختين وبعض أسناني الأمامية تترنح شبه مفكوكة. والآن عليّ أن أقاتل الشخص الذي ضرب الشخص الذي ضربني تلك المرة.

بدأ غيبسون يدور لليسار، ثم اليمين، ثم اندفع نحوي. لم أر لكمته اليسرى على الإطلاق. لا أعرف أين أصابتني لكنني سقطت على الأرض بسببها. لم تكن مؤلمة لكنني كنت على الأرض. نهضت. لو استطاعت لكمته اليسرى فعل ذلك، فماذا يمكن لليمنى أن تفعل؟ كان عليّ أن أجد حلاً ما.

بدأ هاري غيبسون يدور لليسار، يساري. وبدلاً من أن أدور إلى يميني مثل ما توقع، درت إلى يساري. بدا متفاجئاً. وبينما كنا على وشك مقابلة بعضنا البعض لكمته لكمة يسرى قوية أصابته عالياً وبقوة في رأسه. كان ذلك شعوراً رائعاً. لو استطعت ضرب شخص مرة، تستطيع ضربه مرتين.

بعدها تقابلنا وجهاً لوجه فاندفع غيبسون مباشرة إليّ. كاد يصيبني بلكمة خاطفة لكن في اللحظة التي كادت فيها أن تصيب رأسي، أنزلت رأسي لأسفل وتحركت لجهة أخرى بأسرع ما يمكن. لكمته اليمنى تأرجحت في الفراغ فوقي، لم تصبني. اندفعت نحوه وأمسكت به، ولكمته لكمة أرنب. افترقنا وشعرت أنني مثل ملاكم محترف.

Tele: @Arab_Books

«تستطيع القضاء عليه يا هانك!» صاح جين.

«اقض عليه يا هانك!» صاح دان.

اندفعت بسرعة نحو غيبسون ولكمته بيمناي. لم أصبه وعندها لكمني لكمة يسرى أصابت ذقني. رأيت أضواء خضراء وصفراء وحمراء، ثم لكمني لكمة أخرى على بطني. شعرت كأنها اخترقت عظامي. أمسكته وتعلقت به. لكنني لم أخف على سبيل التغيير، وهذا جعلني أشعر بشعور رائع. «سأقتلك، أيها الوغد!» قلت له.

ثم تواجهنا وجهاً لوجه، لا مزيد من الملاكمة. لكماته كانت سريعة وقوية. كان أكثر دقة، أكثر قوة، ولكن بالرغم من ذلك كنت ما زلت أستطيع توجيه بعض اللكمات القوية أيضاً وهذا جعلني أشعر بشعور جيد. وكلما ضربني أكثر شعرت بالألم أقل. شددت بطني إلى الداخل، أحببت هذا الأمر. بعدها أتى جين ودان بيننا. قاموا بتفريقنا عن بعضنا البعض.

«ما المشكلة؟» سألت، «لا توقفوا هذا القتال! أستطيع ركل مؤخرته!».

«توقف عن التفوه بالترهات يا هانك»، قال جين، «انظر إلى نفسك!».

نظرت لأسفل. كان قميصي من الأمام ملطخاً بالدماء وكانت هناك لطخات من القيح. اللكمات سحقت وفتحت ثلاثة أو أربعة دمامل. هذا لم يحدث في قتالي مع جين.

«هذا لا شيء»، قلت، «هذا حظ سيئ لا أكثر. لا أشعر بالألم. أعطوني فرصة وسأسقطه أرضاً أمامكم!».

«لا يا هانك، ستصاب بالتهاب أو شيء كهذا»، قال جين.

«حسناً، اللعنة!» قلت. «انزعوا القفازات عني!».

عندما نزع جين القفازات لاحظت اهتزاز كلتا يدي، وأيضاً

Tele: @Arab_Books

ذراعي ولكن بشكل أقل. وضعت كلتا يدي في جيبَي سروالي. نزع دان قفاز هاري. نظر هاري إليّ. «أنت جيد حقاً يا ولد!».

«شكراً. حسناً، سأراكم مرة أخرى يا رفاق...». بعدها رحلت. وبينما كنت أسير بعيداً أخرجت يديَّ من جيبيّ. ثم أمام ممر موقف السيارات، على الرصيف، توقفت، أخرجت سيجارة ووضعتها في فمي. عندما حاولت إشعال عود الكبريت، كانت كلتا يدي تهتزان بشكل فظيع، فلم أستطع إشعال السيجارة. لوّحت لهم من بعيد، غير مكترث، وسرت بعيداً.

في المنزل نظرت إلى نفسي في المرآة. رائع جداً. بدأت الأمور تتحسن.

نزعت قميصي ورميته تحت السرير. يجب عليّ أن أجد طريقة لإزالة الدماء عن القميص. لم يكن لديّ الكثير من القمصان وكانوا سيلاحظون الأمر لو فقدت أحدها. لكن بالنسبة لي، كان الأمر مختلفاً. وأخيراً قضيت يوماً ناجحاً، أنا لم أكن أملك الكثير من هذه الأيام.

- ٣٨ -

مللت من التواجد مع ايب مورتينسون، لكنه لم يكن إلا أحمق. يمكنك أن تغفر للأحمق لأنه دائماً ما يسير في مسار واحد فقط ولا يقوم بخداع أي أحد. وحدهم المخادعون من يجعلونك تشعر بالتعاسة. كان لجيمي هاتشر شعر ناعم أسود، وبشرته صافية، ولم تكن بنيته الجسدية أكبر مني لكنه كان يمد كتفيه للوراء، ويرتدي ملابس أفضل من معظمنا، وكانت لديه هذه الطريقة في مصادقة أولئك الذين يريد مصادقتهم بسهولة. كانت والدته عاملة بار وأبوه كان قد

Tele: @Arab_Books

انتحر. كان جيمي يملك ابتسامة جميلة، أسنانه مثالية، والفتيات أحببنه بالرغم من أنه لم يملك المال الذي يملكه الأولاد الأغنياء. كنت دائماً أراه يتحدث مع إحدى الفتيات. لا أعرف ما الذي كان يقول لهن. لم أكن أعرف ما يقوله أي أحد من الأولاد للفتيات. كنَّ بعيدات عن متناولي، من المستحيل عليّ أن أحدثهن أو أقترب منهن، لذا تظاهرت أنهن غير موجودات.

لكن هاتشر كان أمراً مختلفاً. عرفت أنه لم يكن مثلياً لكن ظل يتسكع في الأرجاء حولي.

«اسمع يا جيمي، لماذا تستمر في ملاحقتي؟ أنا لا أحب أي شيء فيك».

«أوه، هيا يا هانك، نحن صديقان».

«حقاً؟».

«أجل».

حتى أنه نهض ذات مرة في حصة مادة اللغة الإنجليزية وقرأ مقالة عنوانها «قيمة الصداقة»، وبينما كان يقرأ المقالة ظل ينظر إليّ من حين لآخر. كانت مقالة سخيفة، رقيقة وعامة، لكن الطلبة في الفصل صفّقوا له عندما انتهى، وفكرت في نفسي، هكذا يفكر الناس، ماذا يمكنك أن تفعل؟ فكتبت مقالة للرد عليها عنوانها «قيمة اللاصداقة». لم تسمح لي المعلمة بأن أقرأها للفصل. وأعطتني درجة راسب.

جيمي وبولدي وأنا كنا نعود إلى منازلنا معاً من المدرسة كل يوم. (منزل ايب مورتينسون كان في الاتجاه الآخر وهذا أنقذنا من السير معه كل يوم). في أحد الأيام كنا نسير معاً فقال جيمي، «اسمعا، لنذهب إلى بيت حبيبتي، أريدكم أن تقابلوها».

Tele: @Arab_Books

«اه، تباً، اللعنة على ذلك!» قلت.

«لا، لا»، قال جيمي، «إنها فتاة لطيفة. أريدك أن تقابلها. لقد ضاجعتها بإصبعي».

رأيت فتاته، آن ويذرتون، كانت جميلة للغاية، شعرها بني طويل وعيناها بنيتان كبيرتان، هادئة، وتملك جسداً جيداً. لم أتحدث معها قط لكنني كنت أعرف أنها فتاة جيمي. حاول الأولاد الأغنياء معها لكنها تجاهلتهم جميعاً. بدا أنها فتاة من الطراز الأول.

«لدي مفتاح منزلها»، قال جيمي، «سندخل المنزل وننتظرها هناك. لديها حصة متأخرة».

«يبدو ذلك مملاً بالنسبة لي»، قلت.

«أوه، هيا يا هانك»، قال بولدي، «أنت فقط ستذهب إلى المنزل لتمارس العادة على أية حال!».

«هذا ليس دائماً دون مزايا»، قلت.

فتح جيمي الباب الأمامي بمفتاحه ودخل. بيت صغير جميل ونظيف. ركض كلب بولدوغ صغير أسود وأبيض إلى جيمي، وهو يهز ذيله الصغير.

«هذا بونز»، قال جيمي، «بونز يحبني كثيراً. شاهدوا هذا!» بصق جيمي على راحة يده اليمنى وأمسك قضيب بونز وبدأ بفركه.

«ما الذي تفعله بحق الجحيم يا جيمي؟» سأل بولدي.

«إنهم يبقون بونز مربوطاً في فناء البيت. إنه لا يحصل على أي شيء. يحتاج إلى التنفيس!» استمر جيمي في الفرك.

أصبح قضيب بونز أحمر بشكل مقزز، شيء رفيع، كخيط طويل من التفاهة المتدلية غير الواضحة. بدأ بونز بإصدار أصوات تأوّه. نظر جيمي إلى أعلى بينما كان يعمل على بونز. «هل تريدون معرفة أغنيتنا

Tele: @Arab_Books

المفضلة؟ أعني أغنية آن وأغنيتي أنا؟ إنها «عندما يسقط الأرجواني العميق على حيطان الحديقة النائمة»(*).

ثم بدأ بونز بفعلها. اندفع المني من قضيبه على السجادة. وقف جيمي وبنعل حذائه مسح المني على زغب السجادة.

«سأضاجع آن في أحد هذه الأيام. أنا أقترب من ذلك كل يوم. هي تقول إنها تحبني. وأنا أحبها أيضاً، أحب فرجها اللعين!».

«أيها الحقير»، قلت لجيمي، «أنت تثير اشمئزازي!».

«أنا أعرف أنك لا تعني ذلك يا هانك»، قال لي. ثم سار بعد ذلك إلى المطبخ. «آن تملك عائلة لطيفة. تعيش هنا مع والدها، وأمها، وأخيها. أخوها يعلم أنني سأضاجعها. إنه محق. لكنه لا يمكنه أن يفعل أي شيء لمنعي، فهو يعلم أنني أستطيع القضاء عليه بسهولة. هو لا شيء، شاهدوا ماذا سأفعل!».

فتح جيمي باب الثلاجة وأخرج زجاجة حليب. في منزلنا كنا ما زلنا نملك صندوق ثلج. كان من الواضح أن حالة آل ويذرتون المادية جيدة. أخرج جيمي قضيبه ونزع السدادة الكرتونية عن الزجاجة ووضع قضيبه فيها.

«القليل فقط، أنتم تعرفون. لن يحسوا بالفرق لكنهم سيشربون بولي...».

أخرج قضيبه من الزجاجة، أغلقها، رجّها، وأعادها إلى مكانها في الثلاجة.

«الآن»، قال، «هذا بعض من مربى الجيلو. سيأكلونه الليلة كتحلية بعد العشاء، لكنهم أيضاً سيأكلون...». أخرج إناء مربى

(*) بداية كلمات أغنية مشهورة في بداية الثلاثينات من القرن العشرين لعازف البيانو الأمريكي بيتر دي روسي اسمها (Deep purple).

Tele: @Arab_Books

الجيلو من الثلاجة وأمسكه وفجأة سمعنا صوت المفتاح على الباب الأمامي وصوت فتح الباب الأمامي. وضع جيمي مربى الجيلو بسرعة في مكانه في الثلاجة. أُغلقَ الباب. ثم دخلت آن إلى المطبخ.

«آن»، قال جيمي، «أريدك أن تقابلي أصدقائي المقربين، هانك وبولدي».

«مرحباً!»،

«مرحباً».

«مرحباً».

«هذا بولدي. والآخر هو هانك».

«رأيتكم أكثر من مرة في أرجاء باحة المدرسة».

«أوه، أجل»، قلت، «نحن نتسكع هناك. ولقد رأيناكِ أيضاً».

«أجل»، قال بولدي.

نظر جيمي إلى آن. «هل أنتِ بخير يا عزيزتي؟».

«أجل، جيمي، كنت أفكر فيك». اقتربت منه وحضنته، كانا يقبلان بعضهما البعض. كانا يقفان أمامنا ويقبلان بعضهما البعض. جيمي كان مقابلنا. كنا نستطيع رؤية عينه اليمنى. غمز لنا.

«حسناً»، قلت، «علينا أن نذهب الآن».

«أجل»، قال بولدي.

خرجنا من المطبخ ثم من الغرفة الأمامية وبعدها خارج المنزل. سرنا على الرصيف إلى منزل بولدي.

«ذاك الشخص استطاع فعلها حقاً!» قال بولدي.

«أجل»، قلت له.

Tele: @Arab_Books

في أحد أيام الأحد أقنعني جيمي بالذهاب معه إلى الشاطئ. أراد أن يسبح. لم أشأ أن يراني أحد وأنا أرتدي ملابس السباحة لأن ظهري كان مغطى بالكامل بالدمامل والندوب. ما عدا ذلك، كنت أملك جسداً رائعاً. لكن لا أحد لاحظ ذلك. كنت أملك صدراً جميلاً وساقين جميلتين لكن لا أحد كان يريد مشاهدة ذلك.

ليس لدي أي شيء لفعله هنا، ليس لدي مال والرفاق لا يلعبون في الشوارع في أيام الأحد. فقررت أن الشاطئ ملك للجميع. كان لدي الحق، ندوبي ودماملي لم تكن ضد القانون.

لذا أخذنا دراجاتينا وذهبنا إلى الشاطئ. كان يبعد ١٥ ميلاً. هذا لم يضايقني. لدي ساقان قويتان. قدنا دراجاتينا بسرعة طول الطريق إلى مدينة كالفر. ثم بدأت أُسرع أكثر. بدأ جيمي يضغط على دواسات دراجته محاولاً اللحاق بي. استطعت رؤيته وهو يفقد أنفاسه. أخرجت سيجارة وأشعلتها، وأمسكت علبة السجائر مفتوحة له، «تريد واحدة يا جيم؟».

«لا... شكراً...».

«هذا أفضل بكثير من إسقاط الطيور ببندقية خرز»، قلت له، «علينا أن نفعل هذا في أحيان أكثر!».

بدأت بالدوس بقوة أكبر. كان ما يزال لديّ احتياطي كبير من القوة. «هذا يفعلها حقاً»، قلت له، «هذا أفضل من ممارسة العادة!».

«اسمع، أبطئ قليلاً!».

التفتُّ إليه. «لا يوجد أفضل من صديق يقود دراجته معك، هيا يا صديق!».

Tele: @Arab_Books

بعدها أعطيتها كل قوتي. كانت الرياح تهبّ على وجهي. خامرني شعور رائع.

«اسمع، انتظر! انتظر! اللعنة عليك!» صاح جيمي.

بدأت أضحك وزدت في السرعة. بعدها بقليل كان جيم يبعد عني نصف حي، ثم حياً كاملاً، ثم حيَّين. لا أحد كان يعرف كم كنت جيداً، لا أحد كان يعرف ما كان بمقدوري فعله. كنت معجزة من نوع ما. أسقطت الشمس أشعتها الصفراء في كل مكان وأنا مررت خلالها، سكين مجنون على عجلات. أبي كان متسولاً في شوارع الهند ولكن كل النساء في العالم أحببنني...

كنت أقود الدراجة بأقصى سرعة عندما وصلت إلى إشارة ضوئية. مررت بسرعة خلال السيارات المنتظرة. الآن حتى السيارات كانت هناك من خلفي. لكن ليس لمدة طويلة. شاب وفتاته في سيارة خضراء رياضية لحقا بي وسارا بجانبي على الطريق.

«أنت يا فتى!».

«أجل؟» نظرت إليه. كان رجلاً كبيراً في العشرينات بذراعين مشعرتين ووشم.

«أين تظن نفسك ذاهباً؟» سألني. كان يحاول أن يتفاخر بنفسه أمام فتاته. كانت جميلة، بشعرها الأشقر الطويل وهو يتطاير مع الريح.

«تباً لك يا رجل!» قلت له.

«ماذا؟».

«قلت، تباً لك!».

وعملت له الإصبع.

«هل ستلقن ذلك الفتى درساً يا نيك؟» سمعت فتاته تسأله.

Tele: @Arab_Books

ظل يسير بجانبي على طول الطريق.

«أنت يا فتى»، قال، «أنا لم أسمع جيداً ما قلت. هل تمانع إن كررت ما قلت مرة ثانية؟».

«أجل، كرر ما قلت!» قالت الجميلة التي كان شعرها الأشقر يتطاير مع الريح.

أغضبني ذلك. استطاعت إغضابي.

نظرت إليه. «حسناً أنت تريد المشاكل أليس كذلك؟ اركن سيارتك، أنا بذاتي مشكلة!».

أسرع بسيارته أمامي مسافة نصف حي تقريباً، ركن سيارته، وفتح الباب. بينما كان يخرج من السيارة انعطفت انعطافة واسعة حوله وبالكاد دخلت في مسار سيارة شيفروليه قادمة التي ظل سائقها يزمر لي. بينما انعطفت متفادياً الشيفروليه إلى شارع فرعي استطعت سماع الرجل الضخم يضحك.

بعد أن رحل عدت مجدداً إلى جادة واشنطن، تجاوزت عدة أحياء، ركنت الدراجة ونزلت منها. انتظرت جيم على مقعد انتظار الحافلات. استطعت رؤيته وهو قادم. عندما وصل تظاهرت بأنني نائم.

«هيا يا هانك! لا تمزح معي هذا المزاح اللعين!».

«أوه، مرحباً جيم، وصلت؟».

حاولت أن أجعل جيم يختار بقعة على الشاطئ لا يوجد حولها الكثير من الناس. شعرت أنني طبيعي وأنا أقف هناك مرتدياً قميصي لكن عندما خلعته شعرت أنني مكشوف. كرهت السباحين الآخرين بسبب أجسادهم التي لا يوجد عليها أي ندوب. كرهت كل الناس الملعونين الذين يأخذون حمامات شمس أو يسبحون في الماء أو يأكلون أو ينامون أو يتكلمون أو يرمون كرات الشاطئ. كرهت

Tele: @Arab_Books

ظهورهم ووجوههم ومرافقهم وشعرهم وأعينهم وسرات بطونهم وملابس سباحتهم.

تمددت على الرمل. فكّرت، كان عليّ أن ألكم ابن القحبة ذاك. ماذا كان يعرف؟

تمدد جيم بجانبي.

«ماذا بك؟» قال، «لنذهب للسباحة».

«ليس الآن»، قلت.

الماء كان يعجّ بالناس. ما هو الشيء المذهل في الشاطئ؟ لماذا يحب الناس الشاطئ؟ أليس لديهم شيء أفضل لفعله؟ أليسوا دجاجات لعينة مغسولة الأدمغة.

«فكر في الأمر»، قال جيم، «النساء يدخلن للماء ويتبولن فيه».

«أجل وأنت تبتلعه».

لن تكون هناك طريقة لي أبداً للعيش براحة مع الناس. ربما عليّ أن أُصبح راهباً. سأتظاهر بأنني مؤمن بالرب وأعيش في مهجع وأعزف على الأورغن وأثمل بالنبيذ. لا أحد سيفكر في مضايقتي. يمكنني دخول حلقة تأمل لعدة أشهر حيث لا يوجد أي سبب يجعلني أنظر إلى أي أحد ويمكنهم فقط أن يرسلوا لي النبيذ. المشكلة هي أن أردية الرهبان السوداء كانت مصنوعة بالكامل من القطن. كانت أسوأ حتى من الأزياء العسكرية لضباط الاحتياط في الجيش. لن أتمكن من ارتدائها. عليّ أن أفكر في شيء آخر.

«أوه، أوه»، قال جيم.

«ماذا هناك؟».

«هناك بعض الفتيات ينظرن إلينا».

«وماذا في ذلك؟».

«إنهم يتحدثن ويضحكن، ربما سيأتين هنا».

Tele: @Arab_Books

«حقاً؟».

«أجل. ولو رأيتهن قادمات سأحذرك، عندما أفعل، استلقِ على ظهرك».

لم يكن يوجد الكثير من الدمامل والندوب على صدري.

«لا تنس»، قال جيم، «عندنا أقوم بتحذيرك، استلقِ على ظهرك».

«فهمتك».

كنت أضع رأسي بين ذراعي. كنت أعرف أن جيم كان ينظر إلى الفتيات ويضحك لهن. كان يفهم كيف يتعامل معهن.

«غانيات بسيطات»، قال، «إنهن غبيات حقاً!».

لماذا أتيت إلى هنا؟ فكرت في نفسي. لماذا كان الأمر هكذا دائماً، مسألة اختيار لا غير بين شيء سيئ وشيء أسوأ؟

«أوه، أوه، هانك، ها هن قادمات!».

نظرت إليهن. كنَّ خمس فتيات. استلقيت على ظهري. كنَّ يسرن نحونا ويضحكن. وقفن بعيداً عنا بقليل. قالت إحداهن. «انظرن، أولئك الفتية ظرفاء!».

«أنتن يا فتيات تعشن بالقرب من هنا؟» سأل جيم.

«أوه أجل»، قالتإحداهن، «نحن نعيش في أعشاش النوارس!» ضحكن.

«حسناً إذاً»، قال جيم، «نحن نسور، أنا لا أعرف حقاً ما الذي علينا فعله لخمسة نوارس».

«كيف تقوم الطيور بفعلها على أية حال؟» سألت إحداهن.

«اللعنة عليّ لو كنت أعرف»، قال جيم، «ربما يمكننا أن نعرف ذلك معاً».

«لِمَ لا تأتيان معنا إلى بقعتنا على الشاطئ؟» قالت إحداهن.

Tele: @Arab_Books

«بالطبع»، قال جيم.

ثلاث فقط من الفتيات تكلمن. الاثنتان الأخريان لم تقولا شيئاً، ظلتا واقفتين هناك تغطيان الأماكن التي لا يردن أن نراها من أجسادهن بأزياء السباحة التي يرتدينها.

«احسبوني معكم»، قلت.

«ما خطب صديقك؟» سألت إحدى الفتيات التي كانت تغطي مؤخرتها.

«إنه مختلف»، قال جيم.

«ما خطبه؟» سألت الفتاة الأخيرة.

«إنه مختلف»، قال جيم.

نهض جيم وذهب مع الفتيات. أما أنا فأغمضت عينيّ واستمعت لصوت الأمواج. الآلاف من الأسماك هناك، يأكل بعضها الآخر. أفواه وحفر مؤخرات لا تنتهي تبتلع وتتغوط. الأرض كلها لم تكن إلا أفواهاً وحفر مؤخرات تبتلع وتتغوط، وتضاجع.

التفتُّ إلى الجهة الثانية وشاهدت جيم مع الفتيات الخمس. كان واقفاً مبرزاً صدره للأمام وخصيتاه منتفختان. لم يكن يملك صدري البارز وساقيَّ القويتين. كان جيم نحيلاً وأنيقاً، بذلك الشعر الأسود والفم المتلاعب الصغير بأسنان مثالية، وأذنيه المدورتين ورقبته الطويلة. لم أكن أملك رقبة. على العموم لا يمكن اعتبارها رقبة. بدا رأسي كأنه يجثم على كتفيّ. لكنني كنت قوياً، وشرساً. ليس جيداً كفاية. السيدات يحببن الرجال الأنيقين. لولا الدمامل والندوب، لكنت هناك الآن أريهم شيئاً أو شيئين. سأريهم خصيتيّ، وأجعل عقولهم الفارغة الميتة تهتم بشيء مهم. أنا، بحياة الخمسين سنتاً في الأسبوع التي أعيشها.

بعدها رأيت الفتيات يلحقن بجيم وينزلن إلى الماء. سمعتهن

Tele: @Arab_Books

يضحكن ويصرخن مثل كائنات بلا عقول... ماذا؟ لا، كن لطيفات. لم يكنَّ مثل الكبار والآباء. كن يضحكن. كل شيء كان مضحكاً. لم يكنّ يخفن من الاهتمام. لم يكن أي معنى للحياة، لبنيان الأشياء. دي. اتش. لورنس كان يعرف ذلك. أنت تحتاج إلى الحب، لكن ليس ذلك النوع من الحب الذي استعمله الناس واستُعمل عليهم واستهلكهم. العجوز دي. اتش كان يعرف شيئاً ما. صديقه هكسلي كان قلقاً فكرياً، لكن يا له من شخص مذهل. أفضل من ج. ب. شو، بعقله الشاق المنقلب على نفسه الذي كان دائماً يقوم بحك مؤخرة الرأس، والذي كان بنباهته يُجهد نفسه في مهمة واحدة فقط، أن يكون عبئاً على نفسه، مانعاً إياه من الإحساس بأي شيء، وخطابه العبقري الذي كان في النهاية يُعريك ويحك العقل والأحاسيس. على العموم كان جيداً قراءة كل ذلك. جعلني أدرك أن الأفكار والكلمات بمقدورها أن تكون أخّاذة، وإن لم تكن بذات أهمية في النهاية.

رش جيم الماء على الفتيات. كان إله الماء والفتيات أحببنه. كان الإمكانية والوعد. كان رائعاً. يعرف ما يجب فعله. لقد قرأت العديد من الكتب لكنه قرأ كتاباً واحداً لم أقرأه قط. كان فناناً بشورت السباحة الصغير وخصيتيه ومظهره الخبيث وأذنيه المدورتين. كان الأفضل. لم أكن أستطيع تحدّيه أكثر مما تحدّيت ابن القحبة ذاك في السيارة الرياضية الخضراء وفتاته الجميلة التي كان شعرها يتطاير مع الريح. كلاهما حصلا على ما يستحقان. لم أكن إلا مجرد ٥٠ سنتاً من الغائط تطفو على أرجاء محيط الحياة الأخضر.

رأيتهم يخرجون من الماء، متلألئين، ناعمي البشرة وفتيين، غير مهزومين. أردتهم أن يريدوني. لكن ليس بدافع الشفقة. وبالرغم من أجسادهم الناعمة غير الملموسة وعقولهم أيضاً كانوا فاقدين لشيء ما، إنهم ببساطة لم يخضعوا للتجربة بعد. وفي النهاية ستحلّ الكارثة

Tele: @Arab_Books

في حياتهم، ربما ستكون متأخرة جداً أو شاقة جداً. أنا كنت مستعداً. ربما.

شاهدت جيم وهو يمسح نفسه باستعمال إحدى مناشفهن. بينما كنت أشاهدهم، ظهر أمامي أحد الأطفال، عمره حوالي الأربعة أعوام، أخذ حفنة من التراب بيده ورماها على وجهي. ثم وقف هناك فحسب، محدقاً فيّ. فمه الأحمق الصغير الملطخ بالرمل عَلته تكشيرة تدل على النصر بشكل من الأشكال. كان نذلاً صغيراً جريئاً. أشرت له بإصبعي أن يقترب مني، اقترب، اقترب. وقف هناك.

«أيها الولد الصغير»، قلت، «تعال هنا. لدي كيس من الحلوى المغطاة بالغائط لك لتأكلها».

ظل ذلك النذل ينظر إليّ، ثم استدار وهرب. كانت لديه مؤخرة مضحكة. وفخذان مثل ثمرتي كمثرى تهتزان، بالكاد كانتا مفصولتين عن بعضهما البعض. لكن، على الأقل، عدو آخر رحل.

بعدها، جيم، زير النساء، عاد. وقف هناك أمامي. محدقاً أيضاً.

«لقد ذهبن»، قال.

نظرت إلى مكان الفتيات الخمس جيداً ولمدة كافية لأتأكد أنهن ذهبن.

«أين ذهبن؟» سألت.

«من يهتم؟ لدي أرقام هواتف أجمل اثنتين بينهنّ».

«أجمل في أي شيء؟».

«للمضاجعة أيها الأبله!».

وقفت.

«أعتقد أنني سأقوم بضربك أيها الأبله!».

Tele: @Arab_Books

بدا وجهه رائعاً في رياح البحر. أمكنني أن أتخيله، مضروباً، يتلوى من الألم على الرمل، وهو يحاول ركلي بباطن قدميه الأبيضين. تراجع جيم.

«اهدأ يا هانك! اسمع، يمكنك أخذ أرقام هواتفهن إن أردت!».

«احتفظ بها. لا أريد أذانهن الغبية اللعينة!».

«أوكي، أوكي، نحن صديقان، تتذكر؟».

سرنا على طول الشاطئ إلى المكان الذي ركنّا وأقفلنا فيه دراجاتنا بالأقفال وراء منزل يطل على الشاطئ يملكه أحدهم. وبينما كنا نسير على الشاطئ كان كلانا يعرف يوم من كان هذا، وضرب أحدهم وإسقاطه على مؤخرته لن يغير الأمر، رغم أنه كان سيساعد قليلاً، لكنه لن يكون كافياً.

طوال طريقنا إلى منزلينا، على دراجاتينا، لم أحاول التبجح بسباقه كما فعلت سابقاً. احتجت إلى شيء أفضل. ربما كنت أحتاج إلى تلك الشقراء في السيارة الرياضية الخضراء بشعرها الطويل المتطاير مع الريح.

- ٤٠ -

حصة تدريب ضباط الاحتياط في الجيش كانت لغير المرغوب فيهم. مثلما قلت، إما هذا أو حصة الجمنازيوم. كنت سأختار الأخيرة لكنني لم أود أن يرى الناس الدمامل على ظهري. كان هناك خطأ ما في كل المنتسبين لحصة تدريب ضباط الاحتياط في الجيش. جمعيهم تقريباً كانوا لا يحبون كل الرياضات أو الأولاد الذين فرض عليهم آباؤهم الانتساب لضباط الاحتياط في الجيش لأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك واجب وطني. آباء الأولاد الأغنياء كانوا أكثر الناس

Tele: @Arab_Books

وطنية لأنهم كانوا أكثر الناس عرضةً لخسارة ما يملكون لو سقطت البلد. الآباء الفقراء كانوا أقل وطنية، وكانوا يُظهرون وطنيتهم أحياناً فقط لأن ذلك كان متوقعاً منهم أو لأن تلك كانت الطريقة التي تربوا عليها. في لاوعيهم كانوا يعلمون أن حياتهم لن تصبح أفضل أو أسوأ لو سيطر الروس أو الألمان أو الصينيون أو اليابانيون على البلد، وخاصة إذا كانوا يملكون بشرة داكنة. ربما ستتحسن الأمور على العموم، بما أن الكثير من آباء الطلبة في مدرسة تشلسي الثانوية كانوا أغنياء، فكنا نملك أكبر مركز تدريب لضباط جيش الاحتياط في الجيش في المدينة كلها.

كنا نسير بانضباط تحت الشمس، وتعلمنا حفر المراحيض في الأرض، وعلاج لدغة الأفعى، والاعتناء بالجرحى، وربط الضمادات لوقف النزيف، وطعن العدو بالحربة. درسنا القنابل اليدوية، التسلل، انتشار القوات، المناورات، التراجعات، الهجوم، والانضباط الجسدي والنفسي. كنا نطلق النار في الميدان الخاص بذلك، بانغ بانغ، وحصلنا على ميداليات الرماة. كنا نؤدي مناورات جماعية حقيقية، نذهب إلى الغابة ونبدأ حرباً مزيفة. كنا نزحف على بطوننا اتجاه بعضنا البعض ومعنا بنادقنا. كنا جديين للغاية. حتى أنا كنت جدياً. كان هناك شيء ما في الأمر يجعل دمك يجري. كان الأمر غبياً وكنا كلنا نعرف أن الأمر كان غبياً، معظمنا على الأقل، لكن شيئاً ما أثار عقولنا وأردنا حقاً أن نشارك في ذلك.

كان لدينا ضابط جيش متقاعد، الكولونيل ساسكس. كان يخرف ويسيل لعابه أحياناً، قطرات من اللعاب تسيل من زوايا فمه إلى أسفل ذقنه. لم يقل شيئاً قط. كان فقط يقف هناك في زيه العسكري المغطى بالميداليات ويأخذ راتبه من المدرسة الثانوية. خلال مناوراتنا العسكرية المزيفة كان يحمل معه لوح الأوراق ويسجل النتيجة. كان

Tele: @Arab_Books

يجلس على تلة عالية ويسجل على لوح الأوراق على الأرجح. لكنه لم يقل لنا قط من كان الفائز. كل طرف يزعم أنه المنتصر. نشر هذا الضغينة بيننا.

الملازم هيرمان بيتشكروفت كان الأفضل. كان والده يملك مخبزاً وخدمة تعهّد فنادق، أياً كانت هذه الخدمة. على العموم، هو كان الأفضل. كان دائماً يلقي علينا الخطاب نفسه قبل كل مناورة.

«تذكروا! يجب عليكم أن تكرهوا العدو! إنه يريد اغتصاب أمهاتكم وأخواتكم! هل تريدون أن يغتصب أولئك الوحوش أمهاتكم وأخواتكم!».

لم يكن الملازم بيتشكروفت يملك ذقناً على الإطلاق. التفت بوجهه بعيداً فجأة ولم يمكنك رؤية شيء إلا زراً صغيراً مكان عظمة فكه السفلي. لم نكن متأكدين هل ذلك تشوه خلقي أو لا.

لكن عينيه كانتا عظيمتين في حنقهما، كبيرتين زرقاوين مشتعلتين برمز الحرب والانتصار.

«وايتلينغر!».

«أجل سيدي!».

«هل تريد أن يغتصب أولئك الأشخاص أمك؟».

«أمي ميتة يا سيدي».

«أوه، متأسف... درايك!».

«أجل سيدي!».

«هل تريد أن يغتصب أولئك الأشخاص أمك؟».

«لا سيدي!».

«جيد. تذكر أن هذه حرب. نحن نتقبل الرحمة لكننا لا نَرحم. يجب عليك أن تكره العدو. اقتله! الرجل الميت لا يمكنه هزيمتك!

Tele: @Arab_Books

الهزيمة مرض! الانتصار يكتب التاريخ! الآن لنذهب للقضاء على أولئك الأنذال!».

جهزنا صفوفنا، وأرسلنا قوات الاستطلاع وبدأنا بالزحف خلال الشجيرات. استطعت رؤية الكولونيل ساسكس على التلة ومعه لوح الأوراق. كانت الحرب بين الزرق والخضر. كلنا كنا نملك قطعة قماش ملونة مربوطة أعلى ذراعنا. نحن كنا الزرق. الزحف خلال تلك الشجيرات كان جحيماً كلياً. كان الجو حاراً بجانب الحشرات والغبار والصخور والأشواك. لم أعرف أين أنا.

قائد فرقتنا، كوزاك، اختفى في مكان ما. لم تكن هناك أية اتصالات بيننا. لقد قضي علينا. سيتم اغتصاب أمهاتنا.

ظللت أزحف للأمام، ممزقاً وجارحاً جسدي، شعرت بالوحدة والخوف، لكنني شعرت أنني أبله أكثر من أي شيء. كل هذه المساحات الفارغة من الأرض والسماء الفارغة، التلال، الجداول، أفدنة وأفدنة من الأرض. من كان يملكها كلها؟ ربما والد أحد الأولاد الأغنياء. لم نكن سنمسك بأي شيء. المكان كله كان مستعاراً من قبل المدرسة الثانوية. ممنوع التدخين. زحفت للأمام. لم نكن نملك غطاء جوياً، لا دبابات، لا شيء. كنا فقط مجموعة من المخنثين في مناورة تافهة دون طعام، دون نساء، دون سبب. نهضت، سرت نحو شجرة وجلست وأسندت ظهرى إليها، وضعت بندقيتي بجانبي وانتظرت.

كلهم كانوا ضائعين ولم يكن ذلك مهماً. نزعت الربطة عن ذراعي وانتظرت قدوم سيارة إسعاف الصليب الأحمر أو شيء كهذا. من المحتمل أن الحرب جحيم لكن الأجزاء ما بينها كانت مملة.

فجأة انشقت الشجيرات أمامي وخرج أحدهم ورآني. كان يضع ربطة خضراء على ذراعه. إنه مغتصب. صوّب بندقيته نحوي. لم أكن

Tele: @Arab_Books

أضع أي ربطة على ذراعي، كانت ملقاة على الأرض. أراد أن يأخذني كسجين. عرفته. إنه هاري ميشونز. كان والده يملك شركة لتقطيع الخشب. جلست هناك مستنداً إلى الشجرة.

«أزرق أو أخضر؟» صاح بي.

«أنا ماتا هاري(*)».

«جاسوس! أنا أقبض على الجواسيس!».

«هيا يا هاري، كف عن هذا المزاح اللعين! إنها لعبة للأطفال. لا تزعجني بهذه الميلودراما النتنة!».

انشقت الشجيرات مجدداً وظهر الملازم بيتشكروفت. تواجه ميشونز وبيتشكروفت وجهاً لوجه.

«أنا الآن أعلنك سجيناً!» صرخ بيتشكروفت.

«أنا الآن اعلنك سجيناً!» صرخ ميشونز.

كلاهما كانا عصبيين وغاضبين حقاً، أمكنني الشعور بذلك.

أخرج بيتشكروفت سيفه. «استسلم أو أقضي عليك!».

أمسك ميشونز بندقيته من فوهتها. «تعالَ هنا وسأقطع لك رأسك اللعين!».

ثم انشقت الشجيرات من كل مكان. جذب الصراخ الزرق والخضر. جلست مستنداً إلى الشجرة بينما اختلط الأمر أمامي. كان هناك غبار وشجار ومن حين لآخر الصوت الشرير لسقوط البندقية على الجمجمة. «أوه، يا سيدنا المسيح! أوه، يا إلهي!» بعض الأشخاص سقطوا على الأرض. فُقدت البندقيات. كان هناك قتال بالكلمات

(*) **ماتا هاري**: راقصة وجاسوسة هولندية عملت لصالح الألمان ضد الفرنسيين. تم إعدامها من قبل الفرنسيين بتهمة التجسس عليهم خلال الحرب العالمية الأولى.

Tele: @Arab_Books

وأشخاص عالقين على أشخاص آخرين من رؤوسهم. رأيت شخصين بربطة خضراء مربوطة على ذراعيهما عالقين في مسكة مميتة. ثم ظهر الكولونيل ساسكس. بدأ يصفر بجنون بصفارته راشاً لعابه في كل مكان. بعدها ركض إليهم وبدأ بضرب القوات بعصاه الجلدية العسكرية. كان رائعاً. كان يجلدهم بها مثل السوط ويقطعهم بها مثل الشفرة الحادة.

«أوه اللعنة! أستسلم!».

«لا، توقف! يا إلهي! الرحمة!».

«أمي!».

انفصلت القوات عن بعضها ووقفوا يحدقون في بعضهم البعض. أمسك الكولونيل ساسكس بلوح الأوراق. زيه العسكري لم يكن حتى مجعداً. ميدالياته في مكانها. قبعته في الزاوية الصحيحة. قام بشقلبة عصاه في الهواء والتقطها ثم رحل. تبعناه.

صعدنا إلى شاحنات الجنود بجوانبها وسقفها القماشي الممزق التي أتت بنا إلى هنا. اشتغلت المحركات وذهبنا. واجهنا بعضنا بعضاً ونحن جالسون على الكراسي الخشبية في الشاحنات. خرجنا من الشاحنات متفرقين، شاحنة تقل قوات من الزرق، وأخرى قوات من الخضر، والآن نحن مختلطون مع بعضنا، جالسين هنا، ومعظمنا ينظر لأسفل، إلى أحذيتنا البالية والمتسخة ونحن نهتز لهذه الجهة وتلك، لليسار، لليمين، لأعلى وأسفل بينما تصطدم إطارات الشاحنة بالحفر والأخاديد في الطرق القديمة. كنا متعبين، كنا مهزومين، كنا محبطين. الحرب انتهت.

Tele: @Arab_Books

هيئة تدريب ضباط الاحتياط في الجيش أقصتني عن الرياضة بينما تدرب الفتية الآخرون كل يوم. دخلوا إلى نوادي المدرسة، حصلوا على الرسائل ونالوا الفتيات. قضيت معظم أيامي وأنا أزحف تحت الشمس. كل ما كان يمكنك رؤيته هو مؤخرة أذني شخص ما ومؤخرته وفخذَيه. مع مرور الوقت أصبحت خائب الظن بكل هذه الإجراءات العسكرية. الآخرون لمعت أحذيتهم بهمة وفرح وبدا أنهم يستمتعون خلال المناورات. لم أر أي منطق في ذلك. لقد كانوا فقط يحاولون بناء أجسادهم من أجل أن يكبر حجم خصياتهم لاحقاً. من ناحية أخرى، لم أستطع تخيل نفسي عالقاً في خوذة كرة القدم، بِطانات كتفيّ زي كرة القدم، وأنا أرتدي اللونين الأبيض والأزرق، رقم ٦٩، محاولاً عرقلة ابن قحبة شرس من بلدة أخرى، أو إزاحة بهيمة تخرج من أنفاسها رائحة تاكو من الملعب ليتمكن ابن المدعي العام التقدم ستّ ياردات إضافية في اللعبة دون أن تتم عرقلته. المشكلة أنه يجب عليك الاختيار ما بين شر ما وآخر، ومهما اخترت في النهاية، فإنهم ما يزالون يقتصون منك قطعة صغيرة، حتى لا يتبقى منك أي شيء. مع الخامسة والعشرين من العمر معظم الناس ينتهون. أمة لعينة كاملة من الحقراء يقودون السيارات، يأكلون، ينجبون الأطفال، يفعلون كل شيء بأسوأ طريقة ممكنة، مثل التصويت لمرشح رئاسة يذكّرهم أكثر شيء بأنفسهم.

لم تكن لي اهتمامات. لم أكن أهتم بأي شيء. لم تكن عندي فكرة كيف سأهرب. على الأقل كان الآخرون يملكون بعض الرغبة في الحياة. بدا كأنهم يفهمون شيئاً لا أفهمه. ربما كنت ناقصاً. هذا محتمل. أشعر أغلب الأحيان أنني أقل من الآخرين. أردت فقط أن

Tele: @Arab_Books

أبتعد عنهم. لكن لم يكن هناك أي مكان لأذهب له. الانتحار؟ يا إلهي، هذا يتطلب المزيد من العمل. شعرت أنني أريد النوم لخمس سنوات لكنهم لن يدعوني أفعل ذلك.

لذا ها أنا في مدرسة تشلسي الثانوية، ما زلت في هيئة تدريب ضباط الاحتياط في الجيش، وما زلت بدماملي. هذا ذكرني دائماً كم كانت حياتي سيئة.

كان يوماً مهيباً. كل رجل من كل فرقة فاز بمسابقة الدليل الإرشادي العسكري داخل فرقته تقدم على خط طويل حيث سيقيمون المسابقة النهائية. بطريقة ما كنت الفائز في فرقتي. ليست لدي أية فكرة عن كيفية حدوث ذلك. لم أكن شخصاً ذا أهمية في الفرقة.

كان يوم سبت. الكثير من الأمهات والآباء كانوا على المدرجات. أحدهم كان ينفخ على البوق. أضاء سيفاً تحت الشمس. صدرت الأوامر. السلاح على الكتف اليمنى! السلاح على الكتف اليسرى! البنادق تضرب الأكتاف، مؤخرات البنادق تضرب الأرض، جذع البنادق على الأكتاف مجدداً. الفتيات الصغيرات جلسن بفساتينهن الزرقاء والخضراء والصفراء والبرتقالية والوردية والبيضاء. كان الجو حاراً، كان الأمر مملاً، كان ذلك جنوناً.

«تشيناسكي، أنت تنافس من أجل شرف سريتنا!».

«أجل عريف مونتي!».

كل تلك الفتيات الصغيرات جالسات على المدرجات ينتظرن حبيبهن، ينتظرن بطلهن، ينتظرن رجلهن مدير الشركة. كان ذلك محزناً. قطيع من الحمام خائف من قطعة ورق ترفرف بضجة بعيداً في مهب الريح. شعرت بتوق لأكون ثملاً على بيرة. أردت أن أكون في مكان آخر غير هذا.

مع كل خطأ يقوم به أحد الرجال يتراجع خارج الخط. مع مرور

Tele: @Arab_Books

الوقت تبقّى ستة متبارين فقط، بعدها خمسة، ثم ثلاثة. كنت لا أزال هناك. لم تكن بي رغبة في الفوز. كنت أعرف أنه لا يمكنني الفوز. سأخرج قريباً. أردت الخروج من هناك. كنت متعباً وضجراً. ومغطى بالدمامل. لم أهتم بالأشياء التي يراقبها الحكام. لكنني لم أقم بأي خطأ واضح. العريف مونتي كان ليتحطم لو خسرت.

ثم تبقّى اثنان فقط. أنا وآندرو بوست. كان بوست محبوباً من قبل الجميع. كان والده محامي مجرمين بارعاً. كان يجلس على المدرجات مع زوجته، أم آندرو. كان بوست يتعرق لكنه مصمم على الفوز. كلانا يعرف أنه سيفوز. كنت أشعر بالطاقة وكل تلك الطاقة كانت له.

لا بأس، فكرت في نفسي، إنه يحتاج إلى ذلك، هم يحتاجون إلى ذلك. هكذا هي الحياة. إنها الطريقة الوحيدة التي من المقدر فيها أن تسير الأمور.

واصلنا ذلك مرة بعد مرة، مكررين مناورات الكتاب الإرشادي العسكري. استطعت رؤية منطقة الهدف في الملعب من زاوية عينى، وفكرت أنني ربما إن حاولت جاهداً أكثر يمكنني أن أصبح لاعب كرة قدم بارعاً.

«انضباط!» صرخ القائد فسحبت مزلاج البندقية. سُمعت نقرة واحدة فقط. لم تُسمع أي نقرة على يساري. آندرو بوست تجمد في مكانه. ثم صدرت تنهيدة صغيرة من المدرجات.

«الأسلحة للأمام!» انتهى القائد وأنا أكملت المناورة. أكملها بوست أيضاً لكن مزلاج بندقيته كان مفتوحاً . . .

جرت الاحتفالية الحقيقية للفائز بعدها بعدة أيام. من حسن حظي أنه كانت توجد جوائز أخرى سيتم تقديمها. وقفت وانتظرت مع الآخرين بينما تقدم الكولونيل ساسكس على الخط. كانت دماملي

Tele: @Arab_Books

أسوأ من قبل بكثير ومثل كل مرة ارتديت الزي الصوفي البني المسبب للحكة والشمس كانت حارقة تتوسط السماء وتجلعني أشعر بكل قطعة من ألياف الصوف في ذلك القميص الحقير ابن القحبة. لم أكن أصلح لأكون جندياً والجميع عرفوا ذلك. لقد فزت بضربة حظ لأنني لم أهتم كثيراً لأشعر بالتوتر. شعرت بالأسف من أجل الكولونيل ساسكس لأنني كنت أعرف بما كان يفكر وربما كان يعرف هو الآخر بما كنت أفكر: إن ذلك النوع المميز من الشجاعة والتفاني لا يبدو لي رائعاً.

ثم كان يقف أمامي مباشرة. وقفت بانتباه لكنني استطعت أن أخطف بعض النظرات إليه. كان لعابه في مكانه على عكس العادة. ربما كان غاضباً لأنه جف. بالرغم من الحر كانت هناك رياح غربية تهب في الأجواء. وضع الكولونيل ساسكس الميدالية عليّ. ثم مد يده إليّ وصافحني.

«مبروك»، قال. ثم ابتسم لي. واستمر في السير.

لماذا؟ هذا العجوز اللعين. ربما لم يكن سيئاً في النهاية...

وضعت الميدالية في جيبي وأنا في طريقي للمنزل. من هو الكولونيل ساسكس؟ إنه مجرد شخص ما لديه الكثير من المشاكل مثل بقيتنا. كان على الجميع أن يتكيفوا، أن يعثروا على قالب ما ويتلاءمُوا داخله. طبيب، محام، جندي - أي شيء، لا يهم ما يكون. عندما تجد نفسك في القالب عليك أن تدفع نفسك للأمام. ساسكس كان عاجزاً لا حول له مثل الرجل الذي بعده. إما أن تجد شيئاً ما لتعمله أو تجد نفسك جائعاً في الشوارع.

كنت وحيداً، أمشي في الشارع. على أحد جوانب الشارع قبل الجادة الأولى قبل الطريق الطويل للمنزل كان هناك متجر صغير مهمل. توقفت ونظرت من خلال نافذته. أغراض متنوعة كانت في واجهة العرض وعليها بطاقات أسعار مغبرة. رأيت بعض حاملات

Tele: @Arab_Books

الشموع. آلة توست كهربائية. مصباح طاولة. زجاج النافذة كان قذراً من الداخل والخارج. من خلال لطخات الغبار البنية رأيت لعبتين لكلبين مكشّرين. مجسم بيانو مصغّر. هذه الأغراض كانت للبيع. لم تكن تبدو أخّاذة جداً. لم أستطع رؤية أي زبائن في المتجر ولم أستطع رؤية البائع أيضاً. مررت بهذا المكان أكثر من مرة سابقاً لكنني لم أتوقف قط لتفحصه.

نظرت إلى الداخل وأعجبني ما رأيت. لم يحدث أي شيء في الداخل. كان مكاناً للراحة، للنوم. كل شيء هناك كان ميتاً. استطعت تخيل نفسي سعيداً كبائع في المتجر بشرط أن لا يدخل أي زبون من خلال الباب.

ابتعدت عن النافذة وواصلت السير. قبل وصولي إلى الجادة توقفت في الشارع ورأيت حفرة كبيرة لمصرف مياه الأمطار تحت قدميّ. بدت مثل فم أسود هائل يقودك إلى أحشاء الأرض. أدخلت يدي في جيبي وأخرجت الميدالية ورميتها عبر الفتحة السوداء. دخلتْ مباشرةً. اختفت داخل الظلمات.

بعدها عبرت الشارع وأكملت سيري إلى المنزل. عندما عدت إلى المنزل وجدت والديّ مشغولَين بعدة مهام تنظيف. كان يوم السبت. الآن عليّ أن أجز وأقص عشب الفناء، أسقيه بالماء وأسقي الزهور أيضاً.

بدّلت ملابسي بملابس العمل. خرجت من المنزل وبدأت بالعمل، وأبي يراقبني من تحت حاجبيه السوداوين الشرّيرين. فتحت أبواب المرآب وأخرجت مجز العشب بالعكس، شفرات المجز لا تعمل بعد، لكنها تنتظر البدأ في العمل.

Tele: @Arab_Books

«يجب عليك أن تحاول أن تكون مثل ايب مورتينسون»، قالت أمي، «إنه يحصل على درجات كاملة. لماذا لا يمكنك الحصول على أية درجات كاملة؟».

«هنري غبي مثل مؤخرته»، قال أبي، «في بعض الأحيان أنا حتى لا أصدق أنه ابني».

«ألا تريد أن تكون سعيداً يا هنري؟» سألت أمي، «أنت لا تضحك أبداً، اضحك وكن سعيداً».

«توقف عن الشعور بالأسف على نفسك»، قال أبي، «كن رجلاً!».

«اضحك يا هنري!».

«ماذا ستكون في النهاية؟ كيف يمكنك أن تنجح في هذه الحياة؟ أنت لا تملك أي إرادة لفعل أي شيء مفيد!».

«لِمَ لا تذهب لترى ايب؟ تتحدث معه، تتعلم أن تصبح مثله»، قالت أمي. . .

طرقتُ على باب منزل آل مورتينسون. فُتح الباب. كانت أم ايب.

«لا يمكنك رؤية ايب، إنه مشغول في الدراسة».

«أنا أعرف ذلك يا سيدة مورتينسون، أنا فقط أريد رؤيته لدقيقة واحدة».

«حسناً، تجد غرفته هناك في نهاية الممر».

سرت إلى نهاية الممر. كان لديه مكتبه الخاص. كان جالساً ومعه كتاب مفتوح فوق كتابين آخرَين. عرفت ما هو الكتاب من لون غلافه: التربية المدنية. التربية المدنية، يا إلهي وفي يوم أحد.

Tele: @Arab_Books

نظر ايب لأعلى ورآني. بصق على يديه وعاد لينظر إلى الكتاب.

«مرحباً»، قال وهو ينظر إلى صفحة الكتاب. «أنا متأكد أنك قرأت الصفحة ذاتها عشرات المرات أيها الأحمق».

«عليّ أن أحفظ كل شيء».

«هذه حماقة».

«عليّ أن أنجح في امتحاناتي».

«هل فكرت حتى مرة في مضاجعة فتاة؟».

«ماذا؟» بصق ايب على يديه.

«هل نظرت إلى فستان فتاة ذات مرة وأردت أن ترى المزيد؟ هل فكرت مرّة في ما تخفيه الفتاة تحت الفستان؟».

«هذا ليس مهماً».

«إنه مهم بالنسبة لها».

«عليّ أن أدرس».

«نحن سنقيم مباراة بيسبول، بعض الفتية من المدرسة».

«في يوم أحد؟».

«ما مشكلة يوم الأحد؟ الناس يفعلون الكثير من الأشياء في أيام الأحد».

«لكن بيسبول؟».

«المحترفون يلعبون أيام الأحد».

«لكنهم يحصلون على المال مقابل ذلك!».

«هل يدفع لك أحدهم لقراءة الصفحة ذاتها مرة وراء مرة؟ هيا، أدخل بعض الهواء إلى رئتيك، هذا سيصفي دماغك ويريحه».

«حسناً، لكن لن أتأخر».

نهض ايب، فتبعته على طول الممر إلى الغرفة الأمامية. سرنا صوب الباب.

Tele: @Arab_Books

«ايب أين أنت ذاهب؟» سألت والدته.

«لن أتأخر».

«حسناً، لكن أسرع في العودة. لديك الكثير من الدروس».

«أعرف...».

«حسناً، احرص على عودته يا هنري».

«سأعتني به يا سيدة مورتينسون».

كان هناك بولدي وجيمي هاتشر وبعض الفتية الآخرين من المدرسة وآخرون من الحي. كان هناك سبعة أشخاص فقط على كل جانب مما أدى إلى وجود بعض الفراغ في مراكز الدفاع، لكنني أحببت ذلك. لعبت في مركز وسط الملعب. أصبحت جيداً، كنت أُمسك بالكرة في أكثر من مرة. غطيت أغلب الملعب. كنت سريعاً. أحببت اللعب قريباً لأمسك بالكرات القصيرة. لكن ما أحببته أكثر شيء كان الركض إلى الخلف لإمساك الكرات السريعة الطويلة العالية التي حلّقت فوق رأسي. هذا ما كان يفعله جيغر ستاتز مع فريق لوس أنجلس إينجلس. كان يضرب ٢٨٠ كرة فقط لكن كل كرات الفريق الآخر التي يمسك بها جعلته قيماً جداً مثل ضارب معدله ٥٠٠ ضربة.

كل يوم أحد كانت تأتي دزينة أو أكثر من الفتيات من الحي ليشاهدن المباراة. كنت أتجاهلهن. كنَّ يصرخن حقاً عندما يحدث شيء مثير في المباراة. لعبنا لعبة إمساك الكرة وكل واحد منا كان يملك قفازه الخاص، حتى مورتينسون. كان يملك القفاز الأفضل. كان شبه جديد بالكاد مستعمل.

هرولتُ إلى وسط الملعب وبدأت المباراة. ايب كان على القاعدة الثانية. ضربت قبضتي في قفازي وصحت لمورتينسون، «اسمع يا ايب، هل مارست العادة السرية يوماً وقذفت داخل بيضة

Tele: @Arab_Books

نيئة؟ لا يجب عليك الموت لتذهب إلى الجنة!» سمعت الفتيات يضحكن.

خرج الضارب الأول من اللعبة خاسراً. لم يكن جيداً. كنت كثيراً ما أخرج كضارب أيضاً لكنني كنت أقوى ضارب بينهم جميعاً. كان بمقدروي حقاً ضرب الكرة: من الساحة إلى خارجها إلى الشارع. كنت أجثمُ دائماً على مستوى منخفض فوق القاعدة. بدوتُ مثل نابض حديدي معطوب وأنا أقف هناك.

كل لحظة في المباراة كانت مثيرة بالنسبة لي. كل المباريات التي فوّتها بسبب جز عشب الفناء الأمامي، كل تلك الأيام المدرسية المبكرة التي اختاروني فيها كالشخص قبل الأخير. لقد ازهرتُ أخيراً. كنت كأن بي شيئاً وكنت أعرف أنني أملكه وهذا جعلني أشعر بشعور جيد.

«ايب!» صحت به، «بكل تلك البصقات أنت لا تحتاج إلى بيضة نيئة!».

الضارب التالي ضرب ضربة قوية لكنها كانت عالية، عالية جداً، فركضت للخلف لألتقطها بمسكة من وراء الكتف. ركضت مندفعاً بسرعة للخلف، وأنا أشعر بشعور رائع، متأكداً أنني سأصنع المعجزة مرة ثانية.

اللعنة. حطّت الكرة على شجرة عالية وراء الساحة. ثم رأيت الكرة ترتد أسفلاً بين أغصانها. تمركزت تحت الشجرة وانتظرت. لم تسقط. سارت جهة اليسار. ركضت لليسار. ثم ارتدت مجدداً لليمين. ركضت لليمين. اصطدمت الكرة بغصن، علقت هناك، ثم تزحلقت بين عدة أوراق وسقطت على قفازي. صرخت الفتيات.

رميت الكرة لرامي فريقنا على الفور وهروَلت مجدداً إلى وسط

Tele: @Arab_Books

الملعب. الضارب الثاني خسر وخرج. رامي فريقنا، هارفي نيكسون، كان رامياً جيداً.

بدّلنا الأدوار نحن والفريق الآخر. كنت أول الضاربين في فريقي. لم أرَ رامي الفريق الآخر في الساحة سابقاً. لم يكن من مدرسة تشلسي. تساءلت من أين هو. كان ضخماً، رأسه كبير، فمه كبير، أذناه كبيرتان، جسده كبير. شعره نزل على عينيه وبدا مثل الأحمق. شعره كان بني اللون وعيناه كانتا خضراوين، تلك العينان الخضراوان حدقتا فيّ من خلال الشعر كأن صاحبهما يكرهني.

بدا أن ذراعه اليسرى أطول من ذراعه اليمنى. ذراعه اليسرى كانت هي الذراع التي يرمى بها الكرة. لم أواجه أعسر في السابق، ليس في مباراة بيسبول. لكن ربما كانت ذراعه اليسرى هي كل ما يملك. بَدّل كل شيء رأساً على عقب وستجدهم كلهم متشابهين. «كيتن» فلوز، كانوا يلقبونه. ١٩٠ باونداً.

«هيا يا قويّ، اضرب واحدة!» دعتني كل الفتيات. كنّ يلقبنني بـ«القويّ» لأنني كنت ألعب مباراة رائعة وأتجاهلهن.

نظر كيتن إليّ من بين أذنيه الكبيرتين. بصقت على القاعدة تحتي، انحنيت ولوحت بمضربي. هز كيتن رأسه كأنه حصل على إشارة من ملتقط الكرة. كان يستعرض لا غير. بعدها نظر حوله. استعرض أكثر. كان ذلك من أجل الفتيات. لم يستطع منع قضيبه من التأثير في عقله.

حضَّر نفسه لرمي الكرة، أخذ الوضعية المناسبة لرمي الكرة. شاهدت الكرة في يده اليسرى. لم تترك عيناي الكرة قطّ. اكتشفت السر. عليك أن تركز على الكرة وتتبعها طول الطريق حتى تصل إلى القاعدة فتقضي عليها بقطعة الخشب.

شاهدت الكرة منطلقةً من أصابعه خلال لهب الشمس. كانت مثل

Tele: @Arab_Books

طنينٍ ضبابيّ قاتل، لكن من الممكن صدّها. مرّت الكرة منخفضة تحت ركبتي وبعيدةً عن مركز الهدف. كان عليملتقط الكرة أن يقفز ليمسك بالكرة.

«الكرة رقم واحد»، تمتم عجوز حيّنا الأحمق الذي كان الحكم في مبارياتنا. كان حارساً ليلياً في أحد الأسواق وكان يحب التحدث إلى الفتيات. «لديّ ابنتان في المنزل مثلكن بالضبط يا فتيات. ترتديان فساتين ضيقة أيضاً». كان يحب أن يجثم فوق القاعدة ويبيّن فخذيه الكبيرين، هذا كل ما كان يملك، هذا وسِنّ ذهبية واحدة.

رمى الملتقطُ الكرةَ إلى كيتن فلوز.

«أنت يا مخنث!» صحت به.

«أنت تكلمني؟».

«أجل أنا أكلمك يا صاحب الذراع القصيرة. عليك أن ترمي كرات أقرب من هذه أو سأكون مضطراً لطلب تاكسي».

«الكرة القادمة كلها لك!» قال لي.

«جيد»، قلت وأخذت وضعية الضارب.

بدأ في إعادة الروتين السابق ذاته، وهز رأسه كأنه تلقّى إشارة أيضاً، ونظر حوله في أرجاء الملعب. تلك العينان الخضراوان حدقتا فيّ عبر الشعر البني القذر. شاهدته وهو يجهز نفسه لرمي الكرة. شاهدت الكرة منطلقةً من أصابعه، لطخة سوداء مقابل السماء تحت الشمس وفجأة بدأت تقترب نحو جمجمتي. انحنيت لأسفل بسرعة، وشعرت بها تمشط الشعر على رأسي.

«الرمية الأولى الناجحة»، تمتم العجوز الأحمق.

«ماذا؟» صرخت. كان الملتقط يُمسك بالكرة. تفاجأ بقرار الحكم مثلي. أخذت الكرة منه وعرضتها على الحكم.

«ما هذه؟» سألته.

Tele: @Arab_Books

«إنها كرة بيسبول!».

«حسناً. تذكر كيف تبدو».

أخذتُ الكرة وسرت نحو الهضبة الصغيرة التي يقف فوقها الرامي. تلك العينان الخضراوان لم تجفلا تحت الشعر القذر. لكن الفم انفتح قليلاً، مثل ضفدع يمص الهواء.

سرت نحو كيتن.

«أنا لا أضرب الكرة برأسي. في المرة القادمة عندما ترمي الكرة هكذا سأقوم بحشو هذا المضرب داخل سروالك الداخلي في المكان الذي نسيت أن تمسحه آخر مرة!».

أعطيته الكرة وعدت إلى القاعدة. انحنيت وأخذت ألوّح بمضربي.

«كرة واحدة ورمية أولى ناجحة»، قال العجوز الأحمق.

ركل فلوز التراب من فوق الهضبة الصغيرة. حدق إلى يسار الملعب. لم يكن يوجد أي شيء هناك إلا كلب جائع يحك أذنه. نظر فلوز إلى الملتقط منتظراً الإشارة. كان يفكر في الفتيات ويحاول أن يبدو بمظهر جيد. انحنى العجوز الأحمق ومد فخذيه الأحمقين محاولاً أن يبدو بمظهر جيد أيضاً. كنت على الأرجح من الأشخاص القلائل الذين يفكرون حقاً في اللعب بجد.

بعدها أتت اللحظة المنتظرة، بدأ كيتن فلوز في تجهيز نفسه لرمي الكرة. حركة اليد البهلوانية مثل الطاحونة الهوائية كانت لتربكك إن تركتها. كان عليك أن تبقى هادئاً وتنتظر الكرة. في النهاية كان عليهم أن يرموها. بعدها يأتي دورك لتقضي عليها، وكلما لوّحت مضربك بقوة أكبر طارت الكرة بعيداً أكثر.

شاهدت الكرة منطلقةً من أصابعه بينما صرخت إحدى الفتيات. لم يفقد فلوز لمسته. بدت الكرة كأنها خرزة خارجة من بندقية خرز،

Tele: @Arab_Books

إلا أنها كانت تُصبح أكبر كلما اقتربت متجهةً إلى جمجمتي مباشرةً مرة ثانية. كل ما أعرفه أنني حاولت الوصول إلى التراب بأسرع طريقة ممكنة. ملأ التراب فمي.

«الرمية الثانية الناجحة!» سمعت صيحة العجوز الأحمق. إنه حتى لا يستطيع نطق الكلمة بطريقة صحيحة. اجلب رجلاً يعمل دون مقابل فتحصل على رجل لا يحب إلا التسكع.

نهضتُ ومسحت التراب من على جسدي. دخل التراب في سروالي الداخلي أيضاً. أمي ستسألني: «هنري، كيف تمكنت من جعل سروالك الداخلي قذراً هكذا؟ لا تصنع لي هذا الوجه الآن، ابتسم، وكن سعيداً!».

سرت نحو الهضبة. وقفت هناك. لا أحد قال شيئاً. ظللت أحدق في كيتن. كان المضرب في يدي. أمسكت المضرب من طرفه وضغطته على أنفه. قام كيتن بدفع المضرب. استدرتُ وعدت إلى القاعدة. توقفت في نصف الطريق. التفتُّ إلى كيتن وحدقت فيه. ثم عدت للسير باتجاه القاعدة.

أخذت وضع الضارب ولوّحت بمضربي. هذه المرة ستكون الكرة من نصيبي. هز كيتن رأسه مرة ثانية للإشارة الخيالية من ملتقط الكرة. نظرَ لوقت طويل، وهز رأسه بِلَا. ظل يحدق خلال شعره القذر بتلك العينين الخضراوين. لوّحت بمضربي بقوة أكبر.

«اضرب الكرة خارج الملعب يا قويّ!» صرخت إحدى الفتيات.

«القويّ! القويّ!» صرخت فتاة أخرى.

التفت كيتن بجسده إلى الجهة الثانية وبدأ يحدق في وسط الملعب.

«الوقت يمر!» قلت وتقدمت قليلاً وأخذت موقعي. كانت هناك فتاة جميلة ترتدي فستاناً برتقالياً بين الجمهور. شعرها أشقر وكان

Tele: @Arab_Books

طويلاً متدلياً لأسفل، مثل شلال مائي ذهبي، جميل، تقابلت أعيننا للحظة.

«يا قويّ، افعلها أرجوك!» قالت.

«اسكتي!» قلت وعدت إلى موقعي.

رمى كيتن الكرة. شاهدتها على طول الطريق. كانت هذه فرصتي لضربها. لكن لسوء الحظ، كنت أنتظر رمية مباشرة عليّ. أردت رمية مثل هذه من كيتن لأخرج بعدها إلى الهضبة حيث يقف، لأقتل أو أُقتل. طارت الكرة فوق مركز القاعدة. وفي اللحظة التي كنت أعدل فيها وقفتي لضرب الكرة، كان أفضل ما يمكن لي فعله هو التلويح بالمضرب عالياً وبضعف بينما تمر الكرة. خدعني الوغد طوال هذا الوقت.

في المرة التي تلتها استطاع أن يخرجني بثلاثة رميات ناجحة. أقسم أن عمره كان أنه على الأقل ٢٣ عاماً. لاعب شبه محترف.

في النهاية تمكن أحد اللاعبين من فريقنا من ضرب إحدى رمياته والتغلب عليه. لكنني كنت جيداً في الملعب. أمسكت بالعديد من الكرات. تحركت هناك، وكنت أعلم أنه كلما شاهدت رميات كيتن الملتهبة أكثر اقتربتُ أكثر من التوصل إلى طريقة لضربها. لم يعد يحاول إصابة جمجمتي مجدداً. لم يكن يحتاج إلى ذلك. كان فقط يرمي كراته في المنتصف. كنت آمل أن ضربي لإحدى رمياته مسألة وقت فقط.

لكن الأمور ازدادت سوءاً. لم أستسغ الأمر. الفتيات لم يعجبهن الأمر أيضاً. لم يكن صاحب العينين الخضراوين رائعاً على الهضبة فقط، كان رائعاً كضارب على القاعدة أيضاً. في أول مرتين استطاع ضرب الكرة وحقق هدفاً كاملاً وآخر مزدوجاً. في المرة الثالثة لوّح بمضربه بقوة واستطاع ضرب الكرة عالياً بين ايب على القاعدة الثانية

Tele: @Arab_Books

وبيني في وسط الملعب. ركضت لأمسك الكرة، صرخت الفتيات، لكن ايب ظل ينظر لأعلى وللخلف وراء كتفه، وفمه مفتوح على وسعه، محدقاً لأعلى مثل مغفل فمه المبلل مفتوح على وسعه.

ركضت مسرعاً صارخاً: «هذه الكرة لي!» كانت الكرة في الحقيقة له لكنني لم أتحمل أن أدعه يمسكها. ايب لم يكن سوى أحمق يقرأ الكتب ولم يرق لي أبداً، لذلك ركضت مسرعاً ومندفعاً بقوة بينما كانت الكرة تسقط في طريقها للأرض.

اصطدم أحدنا بالآخر، قفزت الكرة من قفازه إلى السماء بينما كان يسقط على الأرض، فأمسكت الكرة قبل أن تسقط. وقفت فوقه هناك وهو ملقى على الأرض.

«انهض أيها المغفل الوغد»، قلت له.

بقي ايب على الأرض، كان يبكي ممسكاً ذراعه اليسرى.

«أعتقد أن ذراعي انكسرت!» قال.

«انهض يا جبان!».

نهض ايب في نهاية الأمر وسار خارج الميدان، وهو يبكي ممسكاً ذراعه.

نظرتُ حولي. «حسناً»، قلت، «لنكمل اللعب!».

لكن الجميع خرجوا من الملعب، حتى الفتيات. كان من الواضح أن المباراة انتهت. بقيت في الملعب وحدي لبعض الوقت ثم بدأت بالسير تجاه المنزل...

رنّ هاتف منزلنا قبل العشاء. ردّت أمي. أصبح صوتها منفعلاً جداً فجأة. أقفلت الخط وسمعتها تتحدث مع أبي.

بعدها دخلتْ إلى غرفة نومي.

«من فضلك تعال إلى غرفة المعيشة»، قالت.

Tele: @Arab_Books

دخلتُ الغرفة وجلست على الأريكة. جلس كلاهما على كرسي. كان الأمر على هذا النحو دائماً. الكراسي تعني أنك تنتمى لهذا المنزل، لهذه العائلة. الأريكة كانت للزوار.

«السيدة مورتينسون اتصلت بنا. لقد أخذوا صورة أشعة لذراع ايب. لقد كسرت ذراع ابنها».

«كانت حادثة»، قلت.

«تقول إنها ستقاضينا. ستستخدم محامياً يهودياً. وسيأخذون كل شيء نملكه!».

«نحن لا نملك الكثير».

أمي أصابتها إحدى حالات البكاء الصامت التي تأتيها من حين لآخر. بينما كانت تبكي، انهمرت الدموع من عينيها متسارعة. بدأ خداها يضيئان تحت أشعة شمس المغيب.

«كانت كرة عشوائية! كلانا ركض لإمساكها».

«ما هي هذه الكرة العشوائية؟».

«من يصل إليها أولاً، يحصل عليها».

«إذاً أنت أمسكت بالكرة في النهاية؟».

«أجل».

«لكن كيف للكرة العشوائية هذه أن تساعدنا؟ المحامي اليهودي ستظل لديه ذراع مكسورة لصالحه».

نهضتُ وسرت مبتعداً إلى غرفة نومي وانتظرت العشاء. لم يقل أبي أي شيء. كان مرتبكاً. كان خائفاً من خسارة القليل الذي يملكه لكن في الوقت نفسه كان فخوراً جداً بابنه الذي استطاع كسر ذراع أحدهم.

Tele: @Arab_Books

عمل جيمي هاتشر بدوام جزئي في محل بقالة. في الوقت الذي كنا فيه جميعاً غير قادرين على الحصول على عمل استطاع هو دائماً الحصول عليه. كان وجهه مثل وجوه نجوم السينما وكان لوالدته جسد رائع. بوجهه ذلك وبجسد والدته لم تكن لدى جيمي أي مشكلة في الحصول على عمل.

«لماذا لا تأتي إلى شقتنا لتناول العشاء هذه الليلة؟» سألني ذات يوم.

«لماذا؟».

«أستطيع سرقة كل البيرة التي أريد وآخذها معي إلى الفناء الخلفي، يمكننا شرب البيرة».

«من أين تأخذها؟».

«من الثلاجة».

«أرني ذلك».

كنا على بعد حي واحد من منزل جيمي. وصلنا إلى العمارة ودخلنا. في الردهة أخبرني جيمي: «انتظر لدقيقة، عليّ أن أتفقد البريد».

أخرج مفتاحه وفتح الصندوق. كان فارغاً. أقفله مجدداً بالمفتاح.

«يمكن لمفتاحي أن يفتح صندوق بريد هذه المرأة، انظر!».

فتح جيمي صندوق بريدها وأخرج رسالة وفتحها، قرأ الرسالة لي.

«عزيزتي بيتي: أعرف أن هذه الحوالة أتت متأخرة وأنك كنتِ تنتظرينها. فقدت عملي. لكنني وجدت عملاً آخر، ولكنه لم يكن

Tele: @Arab_Books

جيداً مثل السابق. إليكِ هذه الحوالة، أخيراً. أتمنى أن كل شيء يسير على ما يرام معك. مع حبي، دون».

أخذ جيمي الشيك ونظر إليه. ثم مزقه، ومزق الرسالة أيضاً، ووضع القطع الممزقة في جيب معطفه. بعدها أغلق صندوق بريد المرأة.

«هيا لنذهب». قال جيمي.

دخلنا إلى شقته، إلى المطبخ، حيث فتح جيمي الثلاجة. كانت مليئة بعلب البيرة.

«هل تعلم أمك بذلك؟».

«بالتأكيد، هي تشرب كل هذا».

ثم أغلق جيمي باب الثلاجة.

«جيم، هل حقاً قام والدك بإطلاق النار على رأسه بسبب والدتك؟».

«أجل، كان على الهاتف، أخبرها أنه يملك مسدساً. قال لها: إن لم تعودي إليّ فسأقتل نفسي. هل ستعودين إليّ؟ فقالت له أمي: لا. ثم سمعت صوت الرصاصة. وهكذا حدث ما حدث».

«ماذا فعلت والدتك؟».

«أقفلت عليه الخط».

«حسناً، سأراك الليلة».

أخبرت والديّ أنني سأذهب لكتابة واجباتي مع جيمي في منزله. واجبي الخاص الذي أريد، فكرت في نفسي.

«جيمي ولد لطيف»، قالت أمي. أبي لم يقل أي شيء.

أخرج جيمي البيرة وبدأنا نشرب. أحببت الأمر. كانت والدة جيمي تعمل في البار حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كان المكان لنا وحدنا.

Tele: @Arab_Books

«والدتك تملك جسداً رائعاً يا جيم. لماذا تملك بعض النساء أجساداً رائعة وأخريات يملكن أجساداً تبدو كأنها مشوهة؟ لماذا لا تملك جميع النساء أجساداً رائعة؟».

«يا إلهي. أنا حقاً لا أعرف. ربما لو كانت كل النساء متشابهات سنملّ منهن في النهاية».

«اشرب أكثر. أنت تشرب ببطء».

«أوكي».

«ربما بعد عدة علب بيرة سأبدأ بضربك».

«نحن صديقان يا هانك».

«ليس لديّ أصدقاء. اشرب».

«حسناً، لِمَ العجلة؟».

«عليك أن تشربها بسرعة لتعطي مفعولها».

فتحنا المزيد من علب البيرة.

«لو كنتُ امرأة لسرتُ في الشوارع وتنورتي قصيرة كاشفةً عورتي ولجعلت كل أعضاء الرجل تنتصب من أجلي!» قال جيمي.

«أنت تثير اشمئزازي!».

«أمي كانت تعرف رجلاً يشرب بولها!».

«ماذا؟».

«نعم. كانا يشربان طول الليلة وبعدها يستلقيان في حوض الاستحمام وبعدها تبدأ أمي بالتبول داخل فمه. كان يعطيها ٢٥ دولاراً مقابل ذلك».

«هي قالت لك ذلك؟».

«منذ أن مات والدي وهي تقول لي كل شيء. كأنني أخذت مكانه».

Tele: @Arab_Books

«أتقصد. . . ؟».

«يوه، لا، إنها فقط تأتمنني على كل شيء».

«مثل الرجل في حوض الاستحمام؟».

«أجل، مثله».

«أخبرني بالمزيد».

«لا».

«هيا اشرب، هل يأكل أحد براز أمك؟».

«لا تتكلم معي بهذه الطريقة».

أكملت علبة البيرة ورميتها على طول الغرفة.

«يروقني هذا المكان، لربما انتقلت للعيش هنا».

سرت نحو الثلاجة وعدت ومعي ستّ علب بيرة. «أنا ابن قحبة شرس!» قلت، «أنت محظوظ لأنني أتركك تتسكع معي».

«نحن صديقان يا هانك».

دفعت علبة بيرة على أنفه. «امسكها، اشرب هذه البيرة!».

ذهبت إلى الحمام للتبول. كان يبدو كحمام خاص بالنساء، مناشف زاهية الألوان، مفارش حمام وردية داكنة. حتى أن مقعد المرحاض ورديّ اللون. كانت تجلس بمؤخرتها الكبيرة هناك واسمها كان كلير. نظرتُ إلى قضيبي البَتُول.

«أنا رجل»، قلت. «أستطيع ضرب مؤخرة أي أحد».

«أريد أن أستخدم الحمام يا هانك...». جيم كان على الباب.

دخل إلى الحمام. سمعته يتقيأ. «اه، اللعنة...». قلت وفتحت علبة بيرة أخرى.

بعد بضع دقائق، خرج جيم من الحمام وجلس على كرسي. بدا شاحباً جداً. دفعت علبة بيرة على أنفه.

«اشرب! كن رجلاً! كنت رجلاً كفاية لتسرقها، الآن كن رجلاً كفاية واشربها!».

Tele: @Arab_Books

«دعني فقط أرتاح قليلاً».

«اشرب!».

جلست على الأريكة. شعور رائع أن تكون ثملاً. قررت أنني أريد دائماً أن أكون ثملاً. الثمالة تُبعدك عن الأمور الواضحة وربما لو استطعتَ الابتعاد عن الأمور الواضحة لوقت كافٍ، لن تكون واضحاً بنفسك.

نظرتُ إلى جيمي.

«اشرب يا ضعيف!».

رميت علبة البيرة على طول الغرفة.

«حدثني عن والدتك يا جبمي الصغير، ماذا قالت عن الرجل الذي كان يشرب بولها في حوض الاستحمام؟».

«قالت: إن هناك شخصاً مغفلاً يولد كل دقيقة».

«جيم؟».

«نعم؟».

«اشرب، كن رجلاً!».

التقط جيم علبة البيرة. ثم ركض إلى الحمام وسمعته يتقيأ مجدداً. خرج بعد لحظات وجلس على كرسيه. لم يبدُ على ما يرام.

«عليّ أن أستلقي قليلاً»، قال.

«جيمي»، قلت، «سأبقى هنا وأنتظر والدتك إلى أن تعود للمنزل».

نهض جيمي من كرسيه وبدأ يسير نحو الحمام.

«عندما تعود والدتك إلى المنزل سأضاجعها يا جيمي».

لم يسمعني. كان قد دخل الحمام. ذهبت إلى المطبخ بعدها وعدت بمزيد من علب البيرة.

Tele: @Arab_Books

جلستُ وشربت البيرة وانتظرت كلير. أين هي تلك العاهرة؟ لا يمكنني السماح بمثل هذه التجاوزات. أنا أقود سفينة منضبطة!

نهضتُ ودخلت غرفة النوم. كان جيم نائماً على وجهه فوق السرير، كان لا يزال مرتدياً ملابسه وحذاءه أيضاً. بعدها خرجت من الغرفة.

حسناً، كان من الواضح أن هذا الولد لا يستطيع تحمّل الكحول. تحتاج كلير إلى رجل. جسلتُ وفتحت علبة بيرة أخرى. أخذتُ رشفة جيدة. وجدتُ علبة سجائر فوق طاولة القهوة، فأشعلت سيجارة.

لا أعرف كم علبة بيرة شربت منتظراً كلير، لكن في النهاية سمعت صوت المفتاح في الباب، بعدها فُتح الباب. كانت كلير، بذلك الجسد وذلك الشعر الأشقر الفاتح. وقف ذاك الجسد على ذلك الكعب العالي وأخذ يتمايل قليلاً. لا يوجد فنان يمكنه تخيل هذا المشهد على نحوٍ أفضل. حتى من الحيطان حدقت إليها، وأغطية المصابيح، الكراسي، السجادة. إنه سحرٌ واقفٌ هناك...

«من أنت بحق الجحيم؟ ما هذا؟».

«كلير. لقد تقابلنا سابقاً. أنا هانك صديق جيمي».

«اخرج من هنا!».

أخذت أضحك. «أنا سأنتقل إلى هنا يا عزيزتي، أنا وأنتِ فقط!».

«أين جيمي؟»

ركضت إلى غرفة النوم، ثم خرجت منها. «أيها الحقير الصغير! ما الذي يحدث هنا؟».

أخرجتُ سيجارة، أشعلتها، وابتسمت.

«أنتِ جميلة عندما تكونين غاضبة...».

Tele: @Arab_Books

«أنت لا شيء إلا ولد صغير ملعون وثمل بالبيرة. عد إلى منزلك!».

«اجلسي يا عزيزتي، اشربي بيرة».

جلست كلير. فاجأتني عندما فعلت ذلك.

«أنت ترتاد مدرسة تشلسي، أليس كذلك؟» سألت.

«أجل، أنا وجيم زميلان».

«أنت هانك؟».

«أجل».

«لقد أخبرني عنك».

أعطيت كلير علبة بيرة. يدي كانت ترتعش. «امسكي هذه، اشربي هذه البيرة يا عزيزتي».

فتحت كلير علبة البيرة وأخذت رشفة.

نظرتُ إليها، رفعت علبتي البيرة وأخذت رشفة أيضاً. كانت امرأة كاملة، من نوع ماي ويست(*)، كانت ترتدي الفساتين الضيقة ذاتها - ردفان كبيران، ساقان طويلان، ونهدان، نهدان مدهشان.

وضعت كلير ساقاً فوق أخرى، ساقان مذهلتان، وارتفع جزء من فستانها لأعلى. كانت ساقاها كاملتين وذهبيتين والجوارب الحريرية كانت ملائمة عليها ولها ذات لون بشرتها.

«لقد قابلت والدتك»، قالت.

شربت علبة البيرة كلها ووضعتها أسفلاً عند قدميّ. فتحت واحدة ثانية، أخذت رشفة، ثم نظرت إليها حائراً إلى أي شيء يجب عليّ أنظر، إلى نهديها، أم ساقيها أم إلى وجهها المُتعب.

(*) ماي ويست: ممثلة شقراء أمريكية وكاتبة مسرحيات وكاتبة سيناريو، وتعتبر من المشاهير ذات جاذبية هائلة في السينما والمسرح الأمريكي.

Tele: @Arab_Books

«أنا أسف لأنني تركت ابنك يثمل، لكن يجب عليّ أن أقول لكِ شيئاً».

التفتت برأسها، أشعلت سيجارة ثم نظرت إليّ مجدداً.

«أجل؟».

«كلير، أنا أحبك!».

لم تضحك. ابتسمت لي ابتسامة صغيرة، فظهرت زوايا فمها قليلاً.

«أيها الولد المسكين. أنت لا شيء إلا دجاجة صغيرة خرجت للتو من البيضة».

هذا كان صحيحاً لكنه أغضبني. ربما لأنه كان صحيحاً. الحلم والبيرة جعلاني أريد أن أكون شخصاً آخر. أخذت رشفة أخرى ونظرت إليها وقلت: «كفانا كلاماً فارغاً. ارفعي تنورتك. أريني ساقيك. أريني فخذيك!».

«أنت مجرد ولد صغير».

ثم قلتها. لا أعرف من أين أتت الكلمات، لكنني قلتها، «أستطيع تمزيقك إلى نصفين يا عزيزتي إن أعطيتني الفرصة!».

«حقاً؟».

«أجل!».

«حسناً، لنرَ ذلك».

ثم فعلتْها. فتحت ساقَيها ورفعت تنورتها عالياً. لم تكن ترتدي أي سروال داخلي.

رأيت فخذَيها، أنهار من اللحم. كان هناك ثؤلول في الجهة الداخلية من فخذها الأيسر. وكانت هناك غابة من الشعر المتشابك بين فخذَيها، لكنه لم يكن أشقر فاتحاً مثل شعر رأسها، كان بنيّ اللون

Tele: @Arab_Books

وفيه لطخات من اللون الرمادي، مسن مثل شجيرة مريضة محتضرة، ميتة وبائسة.

نهضتُ.

«عليّ أن أذهب يا سيدة هاتشر».

«يا إلهي، ظننت أنك تريد أن تحتفل!».

«ليس مع ابنك النائم في الغرفة الأخرى يا سيدة هاتشر».

«لا تبالِ بشأنه يا هانك، لقد فقد الوعي تماماً».

«لا يا سيدة هاتشر، أنا حقاً عليّ أن أذهب».

«حسناً، اخرج من هنا أيها الفاشل الصغير اللعين!».

أغلقتُ الباب خلفي وسرت في ردهة العمارة ثم خرجت منها إلى الشارع.

لا يمكن التصديق، أن شخصا ما انتحر من أجل هذا...

سرتُ في الطريق إلى منزل والديّ. بدا الليل فجأةً رائعاً.

- ٤٤ -

استطعت رؤية المستقبل أمامي. كنت فقيراً وسأظل كذلك. لكنني لم أكن أريد المال في الحقيقة. لم أكن ما كنت أريد. لا، أنا أعرف ما أريد. أردت مكاناً ما لأختبئ فيه، مكاناً ما حيث لا يحتاج المرء إلى فعل أي شيء. فكرة أن يكون المرء شيئاً ما لم ترعبني، بل كنت أشمئز منها. فكرة أن أكون محامياً أو عضو مجلس ما أو مهندساً، أو أي شيء مثل هذا، بدت مستحيلة بالنسبة لي. لأتزوج، لأنجب أطفال، لأُسجن في هيكلية العائلة. لأذهب إلى مكان ما كل يوم للعمل ثم أعود. كان ذلك أمراً مستحيلاً بالنسبة لي. أن أقوم

Tele: @Arab_Books

بفعل أشياء، أبسط الأشياء، أن أكون جزءاً من نزهات عائلية، الكريسماس، الرابع من تموز، عيد العمال، عيد الأم. . . هل ولد الرجل ليتحمل هذه الأشياء ثم يموت بعدها؟ كنت أُفضّل أن أكون غاسل صحون وأعود بعدها إلى غرفتي الصخيرة لأشرب إلى أن أنام.

كانت لدى أبي خطته العظيمة. قال لي: «يا ابني، كل رجل عليه أن يشتري منزلاً خلال حياته. في النهاية يموت ويترك المنزل لابنه. بعدها يشتري ابنه منزله الخاص ويموت، تاركاً المنزلين لابنه. هذان منزلان. ثم يشتري الابن منزله الخاص، وهذه ثلاثة منازل. . .».

التركيبة العائلية. التغلب على المحن عن طريق العائلة. كان يؤمن بذلك. خذ العائلة، امزجها مع الرب والدولة، وأضف الساعات العشر في اليوم وستحصل على ما هو مطلوب.

نظرت إلى أبي، إلى يديه، إلى وجهه، إلى حاجبيه، وعلمت أن هذا الرجل لم يكن يشبهني في شيء. كان رجلاً غريباً. أمي كانت كأنها غير موجودة. كنت ملعوناً. لم أرَ إلا بلادة مخزية وأنا أنظر إلى أبي. والأسوأ من ذلك أنه كان خائفاً أكثر من أي شخص آخر من الفشل. قرونٌ من دماء الفلاحين وتدريب الفلاحين. سلالة تشيناسكي كانت واهنةً بسلسلة من الفلاحين والخادمين الذين استسلموا وتنازلوا عن حياتهم من أجل عوائد مالية ووهمية. لم يكن هناك رجل في هذه السلالة قال، «لا أريد منزلاً، أريد ألف منزل، الآن!».

قام بإرسالي إلى المدرسة الثانوية الخاصة بالأغنياء، كان يأمل أن يصبغني بسلوك الحكام لأكون مثلهم بينما أشاهد الأولاد الأغنياء يقودون سياراتهم الكوبيه ذات الألوان الزاهية برفقتهم الفتيات بفساتينهن الجميلة. بدلاً من ذلك تعلمت أن الفقير في الغالب يبقى فقيراً. وأن الغني الصغير يستطيع شم قذارة الفقير ويجدها مسلية نوعاً

Tele: @Arab_Books

ما. كان عليهم أن يضحكوا وإلا سيكون الأمر مروعاً. تعلموا ذلك مع مرور كل هذه القرون. أبداً لن أسامح الفتيات اللاتي ركبن في سيارات الكوبيه الملونة مع الأولاد الضاحكين. لم يستطعن أن يرفضن بالطبع، ولكنك تظل تفكر في الأمر، ربما... لكن لا، لم تكن توجد أية ربما... الثراء يعني الانتصار والانتصار هو الواقع الوحيد. من هي المرأة التي تختار أن تعيش مع غاسل صحون؟

خلال المدرسة الثانوية حاولت أن لا أفكر كثيراً في شكل مستقبلي. بدا أنه من الأفضل لي أن أؤجل التفكير في هذا الأمر...

أخيراً أتت حفلة التخرج. أقاموا الحفلة في الجمنازيوم الخاص بالفتيات وبموسيقى حية، فرقة حقيقية. لا أعرف لماذا، لكن تلك الليلة سرتُ الميلين ونصفاً من منزل والديّ إلى المدرسة. وقفت خارجاً في الظلام ونظرت إلى الداخل من خلال النافذة المغطاة بالأسلاك الحديدية، وذهلت. كل الفتيات بدَوْنَ بالغات حقاً، مهيبات، فاتنات، كنَّ يرتدين فساتين طويلة، وكلهن بدَوْنَ جميلات. كنت أكاد لا أتعرف عليهن. والفتيان يرتدون البدلات السوداء، بدوا رائعين، ورقصوا ببهاء، كل واحد منهم يمسك بفتاة بين ذراعيه، ووجوههم متكئة على شعر الفتيات. كلهم رقصوا بطريقة جميلة والموسيقى كانت عالية وواضحة وجيدة، قوية.

ثم لمحت انعكاسي وأنا أحدق فيهم، الدمامل والندوب على وجهي، قميصي الرث. كنت مثل حيوان غاب جذبه الضوء فوجد نفسه ينظر إليه. لماذا أتيت؟ شعرت بالقرف. لكنني ظللت أشاهد. انتهت الرقصة. كانت فترة توقف قصيرة. كل زوج تحدث مع الآخر. كان الأمر طبيعياً وحضارياً.

من أين تعلموا الرقص والحديث هكذا؟ أنا لم أستطع الرقص ولا الحديث هكذا. الجميع عرفوا شيئاً ما لا أعرفه. الفتيات بدَوْنَ

Tele: @Arab_Books

رائعات، الفتيان بدوا وسيمين. كنت سأكون خائفاً جداً من النظر إلى واحدة من الفتيات، دع عنك الرقص مع واحدة منه. فقد فاق قدرتي، أن أرقص أو أنظر إلى عينيّ فتاة مباشرةً.

بالرغم من ذلك كنت أعرف أن ما شاهدته ليس بسيطاً ورائعاً كما بدا. كان هناك ثمن مقابل كل ذلك، زيف عام، من الممكن أن يُصدق بسهولة، وأن يكون الخطوة الأولى نحو شارع مغلق.

بدأت الفرقة بالعزف مجدداً وبدأ الفتية والفتيات بالرقص مجدداً وأضاءت الأضواء فوق رؤوسهم ملقيةً ظلالاً ذهبية، ثم حمراء، ثم زرقاء، ثم خضراء، ثم ذهبية مجدداً على كل زوج. قلت لنفسي بينما كنت أشاهد، يوماً ما ستحين رقصتي. عندما يأتي ذلك اليوم سأملك شيئاً لا يملكونه جميعاً.

لكن ذلك لا بدّ أنه سيكون كثيراً جداً عليّ ولا يلزمني عندها. كرهتهم. كرهت جمالهم، صباهم الخالي من أية مشاكل، وبينما شاهدتهم يرقصون عبر بِركات الضوء الملونة السحرية ممسكين بأيادي بعضهم البعض، وبهم شعور رائع، أطفال صغار كاملون لا ينقصهم شيء، محظوظون مؤقتاً، كرهتهم لأنهم كانوا يملكون شيئاً لم أملكه بعد، وقلت لنفسي، وقلت لنفسي مجدداً، يوماً ما سأكون سعيداً مثل أي واحد منكم، سترون. ظلوا يرقصون، فكررت العبارة لهم.

بعدها سمعت صوتاً من خلفي.

«أنت! ما الذي تفعله هنا؟».

كان رجلاً عجوزاً يحمل مصباحاً يدوياً. كان رأسه مثل رأس ضفدع.

«أنا أشاهد الرقصة!».

حمل المصباح تحت أنفه مباشرةً. عيناه كانتا كبيرتين ودائريّتين،

Tele: @Arab_Books

لمعتا مثل عيني قطٍ تحت أشعة ضوء القمر، لكن فمه كان يرتجف، متدلياً، ورأسه كان كروياً. كانت كرويةُ رأسه غريبة وغبية، ذكّرتني بيقطينة ما تحاول لعب دور الخبير.

«ارحل بمؤخرتك من هنا!».

وجّه ضوء المصباح عليّ.

«من أنت؟» سألته.

«أنا الحارس الليلي هنا. ارحل بمؤخرتك من هنا قبل أن أستدعي الشرطة!».

«لماذا؟ هذه حفلة تخرّج طلاب السنة الأخيرة، وأنا واحد منهم».

وجَّه ضوءه على وجهي. الفرقة كانت تعزف أغنية "Deep Purple".

«ترهات!» قال، «عمرك على الأقل ٢٢ عاماً!».

«صورتي موجودة في الكتاب السنوي، فصل سنة ١٩٣٩، فصل التخرّج، هنري تشيناسكي».

«لماذا لست في الداخل ترقص معهم؟».

«انس الأمر. سأعود إلى المنزل».

«افعل ذلك!».

نهضتُ وذهبت. ظللت أسير وضوء مصباحه موجَّه نحوي من الخلف، يضيء طريقي، يلاحقني. خرجت من فناء المدرسة. كانت ليلة لطيفة ودافئة، كادت تكون حارة. ظننت أنني شاهدت بعض اليراعات لكنني لم أكن متأكداً.

Tele: @Arab_Books

يوم التخرج. اجتمعنا مرتدين الأردية والقبعات لنرمي قبعاتنا ونحتفل فرحاً بالتخرج. أعتقد أننا خلال ثلاث سنوات في المدرسة قد تعلمنا شيئاً بالضرورة. قدرتنا على التهجئة تطورت ولقد ازداد حجمنا. ما زلت بِكراً. «اسمع يا هنري، هل فقصت أول ثمرة كرز لك؟».

«لا إطلاقاً!» كنت أقول.

جلس جيمي هاتشر بجانبي. كان المدير يلقي خطابه وحقاً كان مثل الذي يحك قاع برميل فضلات قديم.

«أمريكا هي أرض الفرص العظيمة وكل رجل أو امرأة لديهم رغبة لفعل أي شيء سيكونون ناجحين...».

«غاسل صحون»، قلت.

«صائد كلاب»، قال جيمي.

«سارق»، قلت.

«جامع قمامة»، قال جيمي.

«نزيل في مستشفى مجانين»، قلت.

«أمريكا هي أرض الشجعان، أمريكا بُنيت من قبل الشجعان... نحن مجتمع عادل».

«عادل لقلة فقط»، قال جيمي.

«... مجتمع عادل وكل أولئك الذين يبحثون عن الحلم في نهاية قوس القزح سيجدون...».

«فضلات مُشعرة زاحفة»، اقترحت.

«... ويمكنني القول، دون تردد، إن هذا الفصل بالذات، فصل صيف عام ١٩٣٩، في أقل من قرن من بداية ركودنا الاقتصادي

Tele: @Arab_Books

الفظيع، إن هذا الفصل، فصل صيف عام ١٩٣٩ يمتلك طلبته الشجاعة والنضج، الموهبة والحب، أكثر من أي فصل آخر كان لي الشرف أن أكون شاهداً عليه!».

الأمهات، الآباء، الأقارب صفّقوا بقوة، وبعض من الطلبة شاركوهم أيضاً.

«فصل صيف عام ١٩٣٩، أنا فخور بمستقبلكم، أنا متأكد من مستقبلكم. أرسلكم الآن إلى مغامرتكم العظيمة!».

أغلب الطلبة كانوا سيذهبون إلى جامعة جنوب كاليفورنيا ليعيشوا حياة بلا عمل لعدة سنوات أخرى.

«وأرسل دعواتي وبركاتي معكم!».

استلمَ طلبة الشرف شهاداتهم أولاً. بدأوا ينادونهم. نادوا ايب مورتينسون. أخذ شهادته. صفّقت له.

«كيف سيكون مصيره في النهاية؟» سأل جيمي.

«محاسب في مصنع سيارات. في مكان ما قرب غاردينا في كاليفورنيا».

«وظيفة مدى الحياة...». قال جيمي.

«زوجة مدى الحياة»، أضفت.

«ايب لن يكون تعيساً أبداً...».

«أو سعيداً...».

«رجلاً مطيعاً...».

«مكنسة...».

«جثة حية...».

«رجلاً واهناً...».

عندما انتهوا من الاعتناء بطلبة الشرف بدأ دورنا. شعرت أنني غير مرتاح وأنا جالس هناك. أردت أن أنهض وأرحل من هنا.

Tele: @Arab_Books

«هنري تشيناسكي»، نادوني.

«موظف عام»، قلت لجيمي.

نهضتُ وسرت نحو المنصة، أخذت شهادتي، صافحتُ المدير. كانت يداً لزجة مثل باطن حوض سمك قذر. (بعد سنتين من اليوم سيتم اكتشاف اختلاساته من ميزانية المدرسة، ستتم محاكمته، سيتم إثبات التهمة وسيسجن).

مررتُ بجانب مورتينسون والمجموعة الشرفية بينما كنت في طريقي إلى كرسيّ. نظر إليّ بطريقة غير مباشرة وأشهر إليّ إصبع يده الأوسط، لكي لا يراه أحد غيري. أثر هذا فيّ. لم يكن متوقعاً. وصلت إلى كرسيّ وجلست بجانب جيمي.

«مورتينسون فعل حركة الإصبع لي!».

«لا، لا أصدق ذلك!».

«ابن القحبة! لقد أفسد يومي! ليس كأن هذا اليوم اللعين يساوي شيئاً على أيه حال، لكنه جعل الأمر أسوأ حقاً الآن!».

«لا أصدق أنه تجرأ على فعل ذلك!».

«ليست من عاداته. هل تعتقد أن هناك شخصاً ما يقوم بتدريبه؟».

«لا أعرف ما الذي يجب عليّ اعتقاده».

«هو يعلم أنني أستطيع تمزيقه إلى نصفين دون حتى أخذِ نفسٍ واحد!».

«عليك تمزيقه!».

«لكن ألا ترى؟ ايب انتصر، بتلك الطريقة التي فاجأني بها!».

«كل ما عليك فعله هو ركل مؤخرته لأعلى وأسفل عدة مرات!».

«هل تعتقد أن ابن القحبة ذاك قد تعلم أي شيء من قراءة كل تلك الكتب؟ أنا أعلم أنه لا يوجد أي شيء يستحق التعلم فيها لأنني أقرأ دائماً أول أربعين صفحة».

Tele: @Arab_Books

«جيمي هاتشر»، نادوا اسمه.

«كاهن»، قال.

«مربّي دواجن»، قلت.

نهض جيمي وأخذ شهادته. صفّقتُ بصخب. أي شخص يعيش مع والدة مثل والدته يستحق وسام شرف. عاد جيمي وجلسنا نشاهد كل أولئك الفتية والفتيات الذهبيين وهم يستلمون شهاداتهم.

«لا تستطيع لومهم لأنهم أغنياء»، قال جيمي.

«لا، أنا ألوم آباءهم الملاعين!».

«وأجدادهم أيضاً»، قال جيمي.

«أجل، سأكون سعيداً إن استطعت أخذ سياراتهم الجديدة وصديقاتهم الجميلات ولن أبالي أبداً بشيء ما مثل العدالة الاجتماعية اللعينة!».

«أجل»، قال جيمي، «أعتقد أن المرة الوحيدة التي يفكر فيها الناس بالظلم هي عندما يقع لهم».

بدأ الفتية والفتيات الذهبيون بالاستعراض والتباهي فوق المنصة. جلست متسائلاً هل يجب عليّ أن أضرب ايب أو لا. استطعت رؤيته على جانب المنصة مرتدياً قبعة ورداء التخرج، ضحية لكمتي اليمنى، وكل الفتيات يصرخن، ويفكرن، يا إلهي، هذا التشيناسكي لا بدّ أنه هائجٌ مثل الثور في الربيع!

على الجانب الآخر، لم يكن ايب شيئاً مهماً. كان بالكاد موجوداً هناك على المنصة بينهم. لن يتطلب الكثير للكمه وإفقاده وعيه. كنت قد كسرت ذراعه بسهولة على أية حال ووالداه لم يقاضيا والديّ في النهاية. لو حطمت رأسه فمن المؤكد أنهما سيرفعان قضية. سيأخذان آخر قطعة نقود نحاسية من أبي. ليس أنني لا أمانع الأمر، إلا أن السبب الذي يمنعني هو أمي: عبثاً ودون أي سبب مفهوم.

Tele: @Arab_Books

بعدها انتهى الحفل. نهض الطلبة من كراسيهم وشرعوا في الخروج. قابلوا أهاليهم، أقاربهم، في الفناء الأمامي. كانت هناك الكثير من الأحضان والعناقات. رأيت والديّ ينتظران. سرت إليهما، وقفت على بعد أربعة أقدام أمامهما.

«لنرحل من هنا»، قلت.

أمي كانت تنظر إليّ.

«هنري، أنا فخورة بك جداً!».

ثم التفت رأس أمي، «أوه، هاهو ايب ووالداه! كم هم أناس طيبون حقاً! أوه سيدة مورتينسون!».

توقفوا. ركضت أمي نحوهم وهي تمد ذراعيها لتحضن السيدة مورتينسون. كانت السيدة مورتينسون هي التي قررت أن لا تقاضينا في النهاية بعد أحاديث طويلة، طويلة جداً مع أمي على الهاتف. تقرّر أنني فرد مشوّش وأن أمي تعاني مني منذ وقت طويل.

صافح أبي السيد مورتينسون وسرت أنا نحو ايب.

«أوكي، أيها الوغد، ما فكرتك عن القيام بحركة الإصبع لي!».

«ماذا؟».

«حركة الإصبع!».

«لا أعرف عما تتحدث!».

«حركة الإصبع!».

«هنري، أنا حقاً لا أعرف عما تتحدث عنه!».

«حسناً يا أبراهام، لقد حان وقت الذهاب!» قالت والدته.

غادر أفراد عائلة مورتينسون معاً. وقفتُ هناك أشاهدهم. ثم بدأنا في السير نحو سيارتنا القديمة. سرنا غرباً إلى الزاوية وانعطفنا نحو الجنوب.

Tele: @Arab_Books

«الآن ابن مورتينسون ذلك يعرف حقاً كيف يروج لنفسه!» قال أبي.

«كيف يمكنك أن تنجح في هذه الحياة؟ لم أرك قط في أي يوم تنظر في أحد كتب المدرسة، دع عنك قراءة واحد!».

«بعض الكتب مملة!» قلت.

«أوه، مملة، هل هي مملة؟ إذاً أنت لا تريد الدراسة؟ ماذا يمكنك أن تعمل؟ ما الفائدة منك؟ لقد كلفتني تربيتك، إطعامك، إلباسك، الآلاف من الدولارات! لنفرض أنني تركتك في الشارع؟ بعدها ما الذي يمكنك عمله؟».

«يمكنني الإمساك بالفراشات».

بدأت أمي بالبكاء. سحبها أبي إلى نهاية الحي حيث رُكنت سيارتنا القديمة التي يبلغ عمرها عشرة أعوام. بينما وقفتُ هناك، شاهدت العائلات الأخرى بسياراتهم الجديدة وهم يسيرون على الطريق، ذاهبين إلى مكان ما.

ثم مر جيمي هاتشر وأمه من جانبنا. وقفت أم جيمي. «توقف، انتظر هنا دقيقة»، قالت لجيمي، «أريد تهنئة هنري».

انتظر جيمي هناك وسارت كلير نحوي. وضعت وجهها بالقرب من وجهي. تكلمت معي بصوت لطيف ومنخفض لكي لا يسمعنا جيمي.

«اسمع يا هنري، في أي وقت تريد فيه أن تتخرج حقاً، يمكنني أن أرتب الأمر وأعطيك شهادتك الحقيقية».

«شكراً كلير، ربما آتي لرؤيتك قريباً».

«سأمزق خصيتيك يا هنري!».

«لا أشك في ذلك يا كلير».

Tele: @Arab_Books

عادت كلير إلى جيمي وسارا بعيداً عني على الطريق.

بعدها ظهرت سيارة قديمة، توقفت، انطفأ المحرك. استطعت رؤية أمي تبكي، دموع كبيرة تنهمر على خدّيها.

«اركب يا هنري، أرجوك اركب! أبوك محقّ، لكنني أحبك!».

«انسي الأمر، لديّ مكان ما عليّ أن أذهب إليه».

«لا يا هنري، اركب!» صرختْ، «اركب أو سأموت!».

سرتُ نحو السيارة، فتحت الباب الخلفي، ركبت وجلست على المقعد الخلفي. بدأ المحرّك يشتغل مجدداً، ثم ذهبنا.

وهناك جلست، أنا هنري تشيناسكي، من فصل صيف عام ١٩٣٩، متجهاً إلى المستقبل المشرق. لا، بل مُوَجهاً إلى المستقبل المشرق. ومع الإشارة الحمراء الأولى في الطريق، توقفت السيارة، توقف المحرك. وعندما تغيّرت الإشارة إلى الخضراء، كان أبي ما زال يحاول تشغيل المحرك. شخص ما خلفنا أطلق زامور سيارته. استطاع أبي تشغيل السيارة وبدأنا نتحرك مجدداً. توقفت أمي عن البكاء في النهاية. وهكذا واصلنا على هذا النحو طوال الطريق، صامتين كلنا.

- ٤٦ -

الحياة كانت ما تزال صعبة. لا أحد كان متفاجئاً أكثر مني عندما هاتفتني شركة ميرز- ستاربك وطلبت مني أن آتي لأعمل معهم يوم الاثنين المقبل. قدمت العديد من الطلبات لأكثر من مكان في كل أنحاء المدينة. لم يكن يوجد شيء آخر لي لأفعله. لم أكن أريد عملاً لكنني أيضاً لم أكن أريد مواصلة العيش مع والديّ.

لا بدّ أن شركة ميرز- ستاربك كان لديها الآلاف من طلبات

Tele: @Arab_Books

العمل. لم أصدق أنهم اختاروني. كانت سوقاً كبيراً ولديها عدة فروع في العديد من المدن.

في يوم الاثنين المقبل، كنت أسير إلى عملي ومعي غدائي في كيس ورقي بني اللون. كان السوق يبعد عدة أحياء عن مدرستي الثانوية السابقة.

لم أفهم بعد كيف قاموا باختياري. بعد أن عبّأت استمارة طلب العمل، استمرت المقابلة معي لعدة دقائق فقط. لا بدّ أنني أعطيتهم كل الإجابات الصحيحة.

مع أول راتب لي، فكرت في نفسي، سأقوم بتأجير غرفة لي وسط المدينة بالقرب من مكتبة لوس أنجلس العامة.

بينما كنت أسير في الشارع لم أشعر أنني وحيد جداً ولم أكن كذلك. لاحظت كلباً هجيناً جائعاً يلاحقني. المخلوق المسكين كان نحيلاً بصورة فظيعة، استطعت رؤية ضلوعه بارزة من خلال جلده. وكان قد فقد أغلب فرائه، وما تبقى منه تعلق في بقع مجدولة وجافة. كانت الكدمات تملأ كل جسده، كان مهجوراً، فزعاً، خائفاً، أحد ضحايا الهومو سابيانس.

توقفت ونزلت على ركبتيّ، مددت يدي إليه. تراجع للخلف.

«تعال هنا يا صغير، أنا صديقك، هيا تعال، تعال...».

اقترب مني. كانت عيناه حزينتين.

«ما الذي فعلوه بك يا صغير؟».

اقترب مني أكثر. زحف على الرصيف وجسده يرتعش، هازاً ذيله بصورة سريعة. ثم قفز نحوي. كان ضخماً، أو على الأقل ما تبقى منه. قوائمه الأربع أرجعتني إلى الخلف وأسقطتني على الرصيف، بدأ في لعق وجهي، فمي، أذنيّ، جبهتي، كل بقعة من جسدي. دفعته بعيداً عني، ثم نهضت ومسحت وجهي.

Tele: @Arab_Books

«لا بأس يا صغير! أنت تحتاج إلى شيء ما لتأكله! طعام!» أخذت شطيرة من كيس غذائي. نزعت غلافها وكسرت قطعة منها.

«بعض منها لك والبعض الآخر لي أيها الصغير العجوز!» وضعت قطعة الشطيرة على الرصيف. تقدم منها، بدأ بشمها، نظر حوله، ثم بدأ يحدق فيّ من وراء كتفه بينما كان يسير على الرصيف بعيداً عني.

«انتظر يا صديقي! إنها شطيرة زبدة الفستق! تعال هنا، تعال وخذ بعض البولوني! يا صغير تعال هنا! عد إلى هنا!».

تقدم الكلب إليّ مرة ثانية، ولكن بحذر. وجدت شطيرة البولوني، كسرت منها قطعة، مسحت الخردل السائل الرخيص عنها، ثم وضعتها على الرصيف.

تقدم الكلب نحو قطعة الشطيرة، وضع أنفه عليها، قام بشمها، ثم التفت وسار بعيداً. هذه المرة لم ينظر إليّ. سار بعيداً مسرعاً عني.

لا عجب أنني كنت كئيباً طوال حياتي. لم أُغَذَّ بشكل سليم.

سرت على الطريق إلى السوق. كان الشارع ذاته الذي كنت أسير فيه في طريقي إلى المدرسة.

وصلت. وجدت مدخل الموظفين، دفعت الباب لأفتحه ودخلت. انتقلتُ من أشعة الشمس الساطعة إلى شبه ظلام دامس. وبينما كانت عيناي تتكيفان مع تغير الإضاءة استطعت رؤية رجل يبعد عنيْ عدة أقدام يقف أمامي. نصف أذنه اليسرى كان مقطوعاً بالكامل ويبدو أن ذلك حدث منذ زمن طويل.

كان رجلاً طويلاً نحيلاً، نحيلاً جداً بعينين يتوسطهما بؤبؤان رماديان مثل رأس إبرة، بدا كأن عينيه لا لون لهما. بالرغم من كونه رجلاً طويلاً نحيلاً، أمكنك رؤية كرش ضخم كبير فوق حزامه مباشرةً. كل ذلك الشحم يتجمع هناك تاركاً كل مكان آخر من جسده فارغاً تماماً.

Tele: @Arab_Books

«أنا المشرف العام فيرز»، قال، «أعتقد أنك السيد تشيناسكي؟».

«أجل سيدي».

«أنت متأخر عن الموعد بخمس دقائق».

«لقد تأخرت بسبب. . . حسناً، لقد توقفت لأحاول إطعام كلب عجوز»، ابتسمت له.

«هذا واحد من أكثر الأعذار غباءً سمعتها في حياتي وأنا أعمل هنا منذ خمسة وثلاثين عاماً. ألم يكن في مقدورك أن تأتي بعذر أفضل من هذا؟».

«للتو بدأت يا سيد فيرز».

«وكاد الأمر ينتهي بالنسبة لك، الآن»، أشار إليّ، «ساعة العمل تجدها هناك ورف البطاقات هناك أيضاً. جِد بطاقتك وضعها على الرف».

وجدت بطاقتي. هنري تشيناسكي، الموظف رقم ٦٨٧٥٤. بعدها سرت نحو الساعة لكنني لم أعرف ما الذي يجب عليّ فعله. سار فيرز نحوي ووقف خلفي محدقاً إلى الساعة.

«أنت الآن متأخر بست دقائق. عندما تتأخر لعشر دقائق نقوم بحسم ساعة كاملة منك».

«إذاً أظن أنه من الأفضل لي أن أتأخر ساعة كاملة».

«لا تحاول أن تكون مضحكاً. لو كنت أريد كوميدياً لاستمعت لجاك بيني(*). لو تأخرت ساعة كاملة ستفقد عملك اللعين مرة واحدة».

«أنا أسف، لكنني لا أعرف كيف أستخدم الساعة. أعني كيف أقوم بوضع البطاقة؟».

(*) جاك بيني: ممثل كوميدي أمريكي.

Tele: @Arab_Books

أخذ فيرز البطاقة من يدي. أشار إليها. «أترى هذه الفتحة؟».

«أجل».

«ماذا؟».

«أقصد، نعم، أراها».

«أوكي هذه الفتحة هي ليومك الأول من الأسبوع».

«أوه!».

«تضع بطاقة الوقت هذه في مكانها على الرف هكذا...». أخذ البطاقة ووضعها في مكانها على الرف ثم أخرجها.

«بعدها عندما تكون بطاقتك على الرف تضغط على هذا المقبض». ضغط فيرز المقبض لكن البطاقة لم تكن هناك.

«فهمت. لنبدأ».

«لا، انتظر». حمل فيرز البطاقة أمامي. «الآن، عندما تخرج لتناول غدائك، تضغط على هذه الفتحة».

«نعم، أفهم ذلك».

«وعندما تعود بعد الانتهاء من تناول غدائك، تضغط على الفتحة الثانية. مدة الغداء ثلاثون دقيقة».

«ثلاثون دقيقة، حسناً، لقد فهمت».

«الآن، عندما تنتهي من العمل وتخرج، تضغط على الفتحة الأخيرة. هذه أربع ضغطات كل يوم. بعدها تعود إلى المنزل، أو إلى غرفتك أو أي شيء، تنام، ثم تعود في اليوم التالي وتعيد الكرة في كل يوم عمل أو سيتم طردك، أو تقدم استقالتك، أو تموت أو تتقاعد».

«فهمت الأمر الآن».

«وأريدك أن تعرف أنك قمت بتأخيري عن إلقاء خطاب الترحيب وشرح العمل للموظفين الجدد، الذي أنت في هذه اللحظة واحد

Tele: @Arab_Books

منهم. أنا المسؤول هنا. كلمتي هي القانون وطلباتك ورغباتك لا تساوي شيئاً. لو لم يرقني شيء ما فيك - طريقة ربطك لخيوط حذائك، أو طريقة تسريح شعرك أو ضراطك، ستعود مجدداً إلى الشوارع، فهمت ذلك؟».

«نعم سيدي!».

أتت فتاة مسرعة باتجاهنا مرتدية كعبها العالي، وشعرها الطويل البني يتدلى خلفها. كانت ترتدي فستاناً أحمر ضيّقاً. شفتاها كبيرتان وظاهرتان بكم كبير من أحمر الشفاه. وبطريقة مسرحية أخرجت بطاقتها، ضغطتها، وأخذت نفساً بإثارة بسيطة،ثم أعادت البطاقة إلى مكانها.

ثم نظرت إلى فيرز، «مرحباً ايدي!».

«مرحباً ديانا!».

كان من الواضح أن ديانا تعمل كبائعة. سار فيرز نحوها. وقفا يتحدثان. لم أستطع سماع الحديث لكنني استطعت سماع ضحكاتهما. بعدها تفرقا. سارت ديانا بعيداً وانتظرت المصعد لتذهب إلى مكان عملها. سار فيرز نحوي وهو يحمل بطاقة الوقت خاصتي.

«سأقوم بضغط البطاقة الآن يا سيد فيرز»، قلت له.

«سأقوم بفعل ذلك من أجلك. أريدك أن تبدأ الأمر بشكل صائب»، قال فيرز.

وضع فيرز بطاقة الوقت خاصتي في الساعة ووقف هناك منتظراً. سمعت صوت تكتكة الساعة، ثم ضغطها. بعدها وضع البطاقة في مكانها.

«كم تأخرت من الوقت يا سيد فيرز؟».

«عشر دقائق، والآن اتبعني».

Tele: @Arab_Books

بدأت بالسير خلفه. رأيت مجموعة من الناس ينتظرون. أربعة رجال وثلاث نساء. كلهم كانوا عجائز. بدوا كأنهم جميعاً مصابون بمشاكل لعابية. تجمعت تكتلات من البصاق عند زوايا أفواههم. البصاق كان جافاً وتحول لونه إلى الأبيض وكان مكسواً ببصاق مبلل جديد. بعض منهم كانوا نحيلين جداً، آخرون بدينين. بعضهم قصير النظر، آخرون كانوا يرتجفون. واحد منهم كان أحدب يرتدي قميصاً ملوناً فاتحاً. جميعهم كانوا يبتسمون ويسعلون، ويدخنون السجائر. ثم فهمت الأمر. الرسالة.

ميرز- ستاربك كانت تبحث عن عمال دائمين مدى الحياة. لم تكن الشركة مهتمة بتغيير موظفيها (بالرغم من كون الموظفين الجدد هؤلاء لن يذهبوا إلى أي مكان آخر إلا القبر - وحتى ذلك الوقت سيبقون موظفين مخلصين وشاكرين للشركة).

ولقد تم اختياري لأكون واحداً منهم. السيدة في مكتب التوظيف قيّمتني كشخص منتمٍ لهذه المجموعة الفاشلة المثيرة للشفقة.

ماذا سيظن الفِتيان من المدرسة الثانوية إن وجدوني هنا؟ أنا، أحد أشرس وأقوى الأولاد في فصل التخرج.

سرت باتجاه المجموعة ووقفت معهم. جلس فيرز على الطاولة مقابلنا. شعاع من الضوء سقط عليه من نافذة فوقية. أخذ نفساً من سيجارته وابتسم لنا.

«مرحباً بكم في ميرز- ستاربك...».

بعدها بدا كأنه ضائع في أحد تخيلاته. ربما كان يفكر في المرة الأولى له عندما انضم للسوق قبل خمسة وثلاثين عاماً. أطلق حلقات من دخان سيجارته للفراغ وظل يشاهدها وهي تحلق في الهواء. أذنه النصف مقطوعة بدت مذهلة تحت الضوء الساقط من أعلى.

الرجل بجانبي، رجل ضئيل مثل خبز البيرتز، طعن جانبي

Tele: @Arab_Books

بمرفقه. كان واحداً من أولئك الأشخاص الذين كانت نظاراتهم مستعدة للسقوط في أية لحظة. كان بشعاً أكثر مني.

«مرحباً!» همس لي، «أنا ميوكز، أوديل ميوكز».

«مرحباً ميوكز».

«اسمع يا صغير، بعد العمل لنذهب إلى بعض الحانات. ربما يمكننا الحصول على بعض الفتيات».

«لا أستطيع يا ميوكز».

«أنت تخاف الفتيات؟».

«إنه أخي. أخي مريض. عليّ أن أعود إلى المنزل وأعتني به».

«مريض؟».

«أسوأ من المرض. إنه السرطان. عليه أن يتبول عبر أنبوب إلى زجاجة مربوطة في ساقه».

بعدها بدأ فيرز في الحديث مجدداً.

«راتبكم المبدئي هو أربعة وأربعون سنتاً ونصف في الساعة. نحن لا علاقة لنا بنقابة العمال هنا. الإدارة تعتقد أن ما هو عادل للشركة هو عادل لكم. نحن مثل العائلة، متفانون للعمل والربح. ستحصلون على تخفيض بمقدار ١٠٪ على كل المنتجات التي تشترونها من ميرز- ستاربك...».

«أوه، رائع!» قال ميوكز بصوت عال.

«أجل يا سيد ميوكز. إنها صفقة جيدة. أنتم تهتمون بنا، نحن نهتم بكم».

يمكنني البقاء في ميرز- ستاربك لأربعة وسبعين عاماً، فكرت في نفسي. يمكنني أن أعيش مع حبيبة مجنونة، وأجد طريقة لقطع أذني اليسرى وأرث عمل فيرز عندما يتقاعد.

تحدث فيرز عن أيام العطل التي علينا أن ننتظر قدومها ثم انتهى

Tele: @Arab_Books

الخطاب. بعدها أعطونا أثواب العمل وأرونا خزانتنا ثم قادونا إلى المخازن تحت الأرض.

فيرز كان يعمل في الأسفل أيضاً. كان مسؤولاً عن الهواتف. كلما أجاب على اتصال وضع السماعة على أذنه اليسرى المقطوعة بيده اليسرى، ويثبت يده اليمنى تحت إبطه الأيسر.

«نعم؟ نعم؟ حسناً، سأتي لأعلى حالاً!».

«تشيناسكي!».

«أجل سيدي».

«قسم ملابس النساء الداخلية...».

ثم يأخذ ورقة الطلبيات، ويبدأ في كتابة البضائع التي يحتاجون إليها فوق والعدد الذي يريدونه من كل صنف. لم يفعل ذلك قط بينما هو على الهاتف، دائماً ما بعد المكالمة.

«جِد هذه البضائع، أوصلها إلى قسم ملابس النساء الداخلية، دعهم يوقّعون على الورقة وعُد إلى هنا».

خطابه لم يتغير قط.

أول طلبية لي كانت إلى ملابس النساء الداخلية. وجدت البضائع، وضعتها في العربة الخضراء الصغيرة التي لها أربع عجلات مطاطية صغيرة ودفعتها إلى المصعد. كان المصعد في أحد الأدوار العلوية فضغطت على الزر وانتظرت. بعد مدة استطعت رؤية الجزء السفلي من المصعد وهو ينزل. كان بطيئاً للغاية. ثم وصل. فُتح الباب وظهر أمهق بعين واحدة واقف على أزرار التحكم داخل المصعد. يا إلهي. لقد نظر إليّ.

«موظف جديد، هاه؟».

«أجل».

«ما رأيك بفيرز؟».

Tele: @Arab_Books

«أعتقد أنه شخص رائع».

لا بدّ أنهما كانا يعيشان معاً في غرفة واحدة ويتبادلان الأدوار في الطهو والتنظيف.

«لا أستطيع أن آخذك لأعلى».

«لماذا؟».

«عليّ أن أذهب للتبرز».

ترك المصعد وذهب. وقفت هناك مرتدياً ثوب العمل. هكذا كانت تسير الأمور عادةً. أنت حاكم أم عامل قمامة، أنت بَهلوان تمشي على حبل معلق مشدود أو سارق مصرف، أنت طبيب أسنان أو قاطف فواكه، كنت هذا أو كنت ذاك. أردت أن تقوم بعمل جيد. تقوم بعملك على أكمل وجه وتهتم بشؤونك ثم تقف منتظراً أحد الأنذال. وقفت هناك في ثوب العمل بجانب عربتي الخضراء بينما قام رجل المصعد بالتبرز.

راودني عندها، بوضوح، سؤال لماذا الأغنياء، الفتيان والفتيات الذهبيون يضحكون دائماً. كانوا يعرفون. ثم عاد الأمهق.

«هذا رائع. أشعر أنني أخف بثلاثين باونداً».

«جيد، هل يمكننا الذهاب الآن؟».

أغلق أبواب المصعد وصعدنا إلى دور المشتريات. فتح الأبواب.

«أتمنى لك حظاً جيداً»، قال الأمهق.

دفعت عربتي الخضراء عبر ممرات قسم ملابس النساء الداخلية باحثاً عن الآنسة ميدوز.

الآنسة ميدوز كانت تنتظر. كانت امرأة نحيفة وراقية المظهر. بدت مثل عارضات الأزياء. كانت تطوي ذراعيها أمام صدرها. بينما اقتربت منها لاحظت عينيها. كان لونهما أخضر زمردياً، كانتا

Tele: @Arab_Books

عميقتين، وبهما الكثير من المعرفة. عليّ أن أتعرف على أشخاص مثلها. مثل هاتين العينين، بهذا الرقي. أوقفت عربتي أمام منضدة البيع خاصتها.

«مرحباً آنسة ميدوز»، ابتسمت لها.

«أين كنت بحق الجحيم؟» سألت.

«لقد أخذ مني الأمر بعض الوقت».

«هل تدرك أن هناك زبائن ينتظرون؟ هل تدرك أنني أحاول أن أدير قسماً نشطاً هنا؟».

البائعون كانوا يأخذون عشرة سنتات أكثر منا، بالإضافة إلى العمولات. كنت سأكتشف أنهم ما كانوا ليتحدثوا معنا بطريقة وديّة ولطيفة. رجالاً كانوا أو نساء، البائعون كلهم كانوا سواء. كانوا يعتبرون أي أُلفة منا إهانة.

«لدي كل الأسباب لأتصل بالسيد فيرز».

«سأقوم بعمل أفضل المرة القادمة يا آنسة ميدوز».

وضعتُ البضائع على منضدتها ثم أعطيتها ورقة الطلبيات لتوقّع عليها. خربشت توقيعها بغضب على الورقة، ثم بدلاً من أن تعطيها لي في يدي رمتها بقوة في عربتي الخضراء.

«بحق السماء، لا أعرف أين يجدون أشخاص مثلك!».

دفعت عربتي باتجاه المصعد، ضغطت على الزر وانتظرت. فُتحت الأبواب ودخلت.

«كيف سار الأمر معك؟» سألني الأمهق.

«أشعر أنني أثقل بثلاثين باونداً»، قلت له، ابتسم، ثم أغلق أبواب المصعد ونزلنا.

على العشاء تلك الليلة قالت لي أمي: «هنري أنا فخورة بك جداً لأنك وجدت عملاً!».

Tele: @Arab_Books

لم أجبها.

قال أبي: «حسناً، ألست سعيداً أنك وجدت عملاً؟».

«بلى».

«نعم؟ أهذا كل ما يمكنك قوله؟ ألا تدرك أن العديد من الرجال عاطلون من العمل في هذه البلاد الآن؟».

«العديد، أظن ذلك».

«إذاً، عليك أن تكون ممتناً!».

«اسمعوا، ألا يمكننا الأكل فقط؟».

«عليك أن تكون ممتناً أنك تملك طعاماً أيضاً. هل تعرف كم تكلف هذه الوجبة؟».

أزحت طبقي جانباً. «اللعنة، لا يمكنني تناول هذا الطعام!» نهضت وسرت إلى غرفة نومي.

«لديّ كل الأسباب لآتي إليك هناك وأعلمك بعض الأدب!».

توقفت، «سأكون في انتظارك أيها العجوز».

بعدها سرت بعيداً. دخلت إلى غرفتي وانتظرت. لكنني كنت أعلم أنه لن يأتي. عدلت المنبه لأستيقظ مبكراً وأستعد للذهاب إلى ميرز- ستاربك. كانت الساعة ٧:٣٠ مساءً فقط. لكنني بالرغم من ذلك نزعت ملابسي وصعدت السرير. أطفأت الأضواء وحل الظلام. لم يكن هناك أي شيء آخر لفعله، لا مكان للذهاب إليه. والداي قريباً سيكونان في السرير والأضواء ستكون مطفأة.

كان أبي يحب شعار: «باكراً للنوم، باكراً للاستيقاظ، هذا يجعل الرجل بكامل صحته، ويجعله غنياً وحكيماً».

لكن هذا لم يفعل له أي شيء من ذلك. قررت أنني ربما سأعكس العملية.

لم أستطع النوم. ربما لو مارست العادة السرية على الآنسة

Tele: @Arab_Books

ميدوز؟ ذلك سيكون مبتذلاً ورخيصاً جداً. في النهاية وجدت نفسي منغمساً في الظلام، أنتظر شيئاً ما.

- ٤٧ -

الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى في ميرز- ستاربك كانت متشابهة. في الحقيقة، التشابه كان شيئاً اعتيادياً في ميرز-ستاربك. نظام الطبقية كان حقيقة مقبولة من الجميع. لم يكن هناك بائع واحد يتحدث مع موظف مخزن خارج إطار العمل بكلمة واحدة أو اثنتين. وهذا أثر فيّ. فكرت في ذلك بينما كنت أدفع عربتي في الأنحاء. هل السبب أن البائعين كانوا أكثر ذكاءً من موظفي المخازن؟ هم كانوا يرتدون ثياباً أفضل بالتأكيد. أزعجني أنهم كانوا يعتقدون أن مراكزهم عنت لهم الكثير. ربما لو كنت بائعاً مثلهم لشعرتُ بالطريقة نفسها. لم أكن أهتم كثيراً بموظفي المخزن الآخرين، أو البائعين.

الآن، فكرت، وأنا أدفع عربتي، أنني أملك هذا العمل. هل هذه هي نهاية الأمر؟ لا عجب أن الرجال كانوا يسرقون المصارف. كان هناك العديد من الأعمال التي تتطلب الكثير. لماذا بحق الجحيم لم أكن قاضي محكمة عليا أو عازف بيانو في الحفلات؟ لأن ذلك تطلب الكثير من التدريب والتدريب يتطلب الكثير من المال. لكنني لم أكن أريد أن أكون أي شيء على أية حال. وأنا بالتأكيد كنت ناجحاً في ذلك.

دفعت عربتي إلى المصعد وضغطت على الزر. النساء أردن الرجال الذين يملكون المال، النساء أردن الرجال الذين لديهم مراكز مرموقة. كم من النساء الراقيات يعشن مع المتشردين المفلسين؟ حسناً، أنا لم أكن أريد أي امرأة على أية حال. ليس للعيش معها.

Tele: @Arab_Books

كيف يمكن للرجال أن يعيشوا مع النساء؟ ماذا كان يعني ذلك؟ ما كنت أريده هو كهف في كولورادو مع مخزون ثلاث سنوات من الطعام والشراب. كنت سأمسح مؤخرتي بالتراب. أي شيء، أي شيء لأتوقف عن الغرق في هذا الوجود العبثي، التافه والوضيع.

صعد المصعد. الأمهق كان ما يزال على أزرار التحكم.

«اسمع، سمعت أنك وميوكز دُرتما الحانات الليلة الماضية؟».

«اشترى لي سبع علب بيرة. أنا مفلس».

«هل تمكنتما من مضاجعة نساء؟».

«أنا لم أفعل».

«لماذا لا تصحبونني معكم المرة القادمة؟ سأريكم كيف يمكنني الحصول على بعض النساء».

«ماذا تعرف أنت؟».

«ليست أول مرة لي. في الأسبوع الماضي فحسب كنت مع فتاة صينية. وهل تعرف؟ إنهن كما يقولون بالضبط».

«ماذا يقولون؟»

وصلنا إلى الدور التحتي وفُتحت الأبواب.

«إن فروجهنّ لا تسير من أعلى لأسفل بل من جانب إلى جانب آخر».

فيرز كان بانتظاري.

«أين كنت بحق السماء؟».

«في قسم الحدائق المنزلية».

«ماذا كنت تفعل فيه، تقوم بتسميد شجيرات الفوشيا؟».

«نعم، وضعت غائطاً واحداً في كل أصيص».

«اسمع يا تشيناسكي...».

«أجل؟».

Tele: @Arab_Books

«هنا الفواصل المضحكة هذه ملكي أنا، فهمت ذلك؟».

«أجل فهمت».

«حسناً، افهم التالي، لديّ طلبية لقسم ملابس الرجال».

أعطاني ورقة الطلبية.

«جِد هذه البضائع، سلمها، تحصّل على التوقيع وعد إلى هنا».

قسم الملابس الرجالية كان يديره السيد جاستن فيليبس جونيور، كان شخصاً محترماً ومهذباً، عمره حوالي اثنان وعشرون عاماً. كان يقف باستقامة وباعتدال، شعره أسود، عيناه كذلك، وشفتاه عريضتان. كان يفتقد لعظمتَي خديه لسوء حظه لكن من الصعب ملاحظة ذلك. كان شاحباً ويرتدي ملابس داكنة الألوان وقمصاناً ضيقة جميلة. البائعات أحببنه. كان رقيقاً، ذكياً، حذقاً. كان بغيضاً بعض الشيء أيضاً كأن أحد أسلافه قد نقل إليه ذلك. انتهك التقاليد مرة واحدة ليقول لي، «يا له من أمر مخجل، أليس كذلك؟ تلك الندوب القبيحة على وجهك؟».

بينما كنت أسير بعربتي في قسم الملابس الرجالية، كان جاستن فيليبس واقفاً باستقامة، ورأسه مائل بعض الشيء، محدقاً كما يفعل معظم الوقت، ملوحاً بناظريه لأعلى وحوله كأنه يرى أشياء لا يمكننا نحن أن نراها. كان يرى أشياء هناك. ربما أنا لم أدرك كيف يكون التهذيب بالضبط عندما رأيته. لقد بدا حقاً أنه أكثر رقياً من محيطه. كانت خدعة جيدة لو أمكنك أن تفعل ذلك وتتحصل على المال في ذات الوقت. ربما هذا ما كانت تحبه الإدارة والبائعات. ها هو رجل جيد حقاً فيما يفعل، لكنه كان يفعل ذلك في كل الأحوال.

توقفت أمامه. «هذه هي طلبيتك يا سيد فيليبس».

بدا كأنه لم يلاحظني، وهذا آلمني من جهة، وكان أمراً جيداً من

Tele: @Arab_Books

جهة أخرى. كدست البضائع على منضدة البيع بينما كان يحدق في الفراغ، فوق باب المصعد تحديداً.

ثم سمعت الضحكة الذهبية وشاهدتهم. كانوا مجموعة من الفتية الذين تخرجوا معي من مدرسة تشلسي الثانوية. كانوا يجربون القمصان القطنية، شورتات التسلق الجبلية، بضائع متنوعة. عرفتهم بالشكل فقط، كوننا لم نتحدث مع بعض قط خلال أربعة أعوام الدراسة الثانوية. قائدهم كان يدعى جيمي نيوهال. كان الظهير الخلفي لفريق كرة القدم، الذي لم يهزم على الإطلاق خلال ثلاثة أعوام. كان شعره أشقر جميلاً، بدا كأن الشمس تضيء أجزاء منه، الشمس أو الأضواء في غرفة الفصل.

كان يملك رقبة قوية غليظة وفوقها جلس وجه فتى مثاليّ نحته نحات عظيم. كل شيء كان كما يجب عليه أن يكون: الأنف، الجبهة، الذقن، كل شيء. والجسد كذلك، مثاليّ الشكل. الآخرون الذين كانوا مع نيوهال لم يكونوا مثاليين مثله بالضبط، لكنهم كانوا قريبين منه. وقفوا هناك وجربوا القمصان القطنية وضحكوا، منتظرين لحظة الذهاب إلى جامعة جنوب كاليفورنيا أو ستانفورد.

وقَّع جاستن فيليبس الورقة. كنت في طريقي للعودة إلى المصعد عندما سمعت صوتاً:

«أنت، يا سكي! سكي! تبدو رائعاً في زيك الصغير!».

توقفت، التفت، ولوَّحت لهم التلويحة العادية بيدي اليسرى.

«انظروا إليه! أشرس رجل في المدينة منذ تومي دورسي! »

«يجعل كلارك غيبل(*) يبدو مثل مكبس مرحاض!».

تركت عربتي وعدت إليهم. لم أكن أعرف ما الذي كنت سأفعله.

(*) كلارك غيبل: ممثل أمريكي مشهور.

Tele: @Arab_Books

وقفت هناك ونظرت إليهم. لم أكن أحبهم، لم أكن أحبهم على الإطلاق. ربما كانوا يبدون رائعين للآخرين لكن ليس لي. كان هناك شيء ما في أجسادهم يجعلها تبدو مثل أجساد النساء. كانوا رقيقين، لم يواجهوا أي نار في حياتهم قط. كانوا عدماً جميلاً. أثاروا اشمئزازي. كرهتهم. كانوا جزءاً من الكابوس الذي لطالما طاردني بشكل ما أو بآخر.

ابتسم لي جيمي نيوهال.

«اسمع يا فتى المخزن، لماذا لم تجرب قط أن تشارك في الفريق؟».

«لم يكن الشيء الذي أريد».

«لا تملك الشجاعة، هاه؟».

«أتعرف أين يقع موقف السيارات في السطح؟».

«أكيد».

«أراك هناك...».

مشوا صوب موقف السيارات، قمت بنزع ثوبي ورميته في العربة. جاستن فيليبس جونيور ابتسم لي، «يا ولدي العزيز، ستتسبب في تعريض نفسك للضرب».

جيمي نيوهال كان ينتظرني محاطاً بأصدقائه.

«انظروا إلى فتى المخزن!».

«أتعتقدون أنه يرتدي ملابس نساء داخلية؟».

وقف نيوهال تحت الشمس. كان قد نزع قميصه وقميصه الداخلي أيضاً. جذب معدته للداخل ودفع صدره للأمام. بدا رائعاً. ما الذي أقحمت نفسي فيه بحق السماء؟ شعرت بشفتي السفلى ترتجف. هناك في الأعلى على السطح شعرت بالخوف. نظرت إلى نيوهال، الشمس الذهبية تضيء شعره الذهبي. شاهدته أكثر من مرة على ملعب كرة

Tele: @Arab_Books

القدم. شاهدته يقطع ٥٠ و٦٠ ياردة ركضاً في الملعب بينما كنت أهتف مشجعاً الفريق الآخر.

الآن وقفنا متواجهين. لم أقم بنزع قميصي. ظللنا واقفين. ظللت واقفاً.

قال نيوهال في النهاية: «أوكي، سأقضي عليك الآن».

بدأ في التقدم نحوي. في تلك اللحظة بالذات تقدمت نحونا امرأة عجوز صغيرة ترتدي ملابس سوداء ومعها العديد من أكياس البضائع. كانت تضع قبعة خضراء لُبادية صغيرة.

«مرحباً يا فتية!» قالت.

«مرحباً سيدتي».

«يوم جميل...».

فتحت المرأة العجوز باب سيارتها ووضعت أكياس البضائع. ثم التفتت إلى جيمي نيوهال.

«أوه، يا له من جسد رائع يا ولدي! أنا متأكدة أنه يمكنك أن تكون طرزان ملك القرود!».

«لا يا سيدتي»، قلت، «عفواً، لكن هو القرد وأولئك حوله هم قطيعه».

«أوه»، قالت. ثم صعدت سيارتها، شغّلت المحرك، وانتظرنا نحن ذهابها.

«حسناً يا تشيناسكي»، قال نيوهال، «طوال سنوات المدرسة كنت مشهوراً بسخريتك وفمك الكبير اللعين. والآن سأعتني بك نهائياً!».

قفز نيوهال للأمام. كان مستعداً. لم أكن مستعداً تماماً. كل ما رأيته هو خلفية سماء زرقاء وصورة خاطفة للجسد واللكمات. كان أسرع من قرد، وأكبر. بدا كأنني لا أستطيع أن أوجّه لكمة واحدة،

Tele: @Arab_Books

شعرت فقط بلكماته وكانت قويّة مثل الصخر. عبر عينين ملكومتين استطعت رؤية لكماته، تتأرجح، تسقط، يا إلهي، كان يملك القوة، بدا كأن الأمر لن ينتهي أبداً ولا يوجد مكان آخر للذهاب إليه. بدأت أفكر، ربما أنت جبان، ربما عليك أن تكون كذلك، ربما عليك أن تستسلم.

لكن بينما كان مستمراً في ضربي، تلاشى خوفي. شعرت فقط بالذهول أمام قوته وطاقته. من أين يحصل عليها؟ خنزير مثله؟ كان مليئاً بها. لم أتمكن من الرؤية بعدها، عُميت بومضات من أضواء صفراء وخضراء، وبنفسجية، ثم وميض مرعب من ضوء أحمر... شعرت أنني أسقط. هل هكذا يحدث الأمر؟

سقطت على ركبة واحدة. سمعت صوت طائرة مارة من فوقنا. تمنيت لو كنت أحد ركابها. شعرت بشيء يجري على فمي وذقني... كان دماً دافئاً يسيل من أنفي.

«اتركه يا جيمي، لقد انتهى...».

نظرت إلى نيوهال، «أمك ترضع أيور الرجال»، قلت له.

«سأقتلك!».

اندفع نيوهال نحوي قبل أن أنهض. أمسكني من حنجرتي وبدأنا في التدحرج مراراً وتكراراً تحت سيارة دودج. سمعت رأسه يرتطم بشيء ما. لم أكن أعرف بماذا ارتطم لكنني سمعت الصوت. حدث ذلك بسرعة والآخرون لم يدركوا الأمر مثلما أدركته.

نهضت بعدها ونهض نيوهال.

«سأقتلك!» قال.

بدأ بلكمي مجدداً. هذه المرة لم يكن الأمر سيئاً مثل المرة الماضية. لكمني بنفس القوة والعنف، لكن كان هناك شيء ما مختلفاً فيه. كان أضعف. عندما ضربني لم أر ومضات ملونة، استطعت رؤية

Tele: @Arab_Books

السماء، السيارات المركونة، وجوه أصدقائه، وهو. كنت دائماً من النوع الذي يبدأ متأخراً. نيوهال كان ما يزال يحاول معي لكنه أصبح بالتأكيد أضعف. وأنا كنت أملك يديّ الصغيرتين، لقد بوركت بهاتين اليدين الصغيرتين، هذه الأسلحة الضعيفة.

كم كانت تلك السنوات منهكة، أن تملك الرغبة والحاجة للعيش لكن ليس القدرة على فعل ذلك.

وجهتُ لكمة يمنى قوية على بطنه وسمعت لهاثه فأمسكت برقبته من الخلف بيدي اليسرى ولكمته لكمة يمنى أخرى على بطنه. ثم دفعته ولكمته واحدة وواحدة أخرى مباشرة على وجهه المنحوت. رأيت عينيه وكان ذلك رائعاً. جلبت له شيئاً ما له لم يشعر به قط من قبل. كان مذعوراً. مذعوراً لأنه لم يكن يعرف كيف يتعامل مع الهزيمة. قررت أن أنهيه على مهل.

بعدها لكمني أحدهم على مؤخرة رأسي. كانت ضربة قوية جيدة. التفت ونظرت إليه. كان صديقه صاحب الشعر الأحمر، كارل إيفانز. صرخت مشيراً إليه، «ابق بعيداً عني أيها اللعين! سأقضي عليكم واحداً تلو واحد بالدور! وعندما أنتهي من هذا الشخص، ستكون أنت التالي!».

لم يتطلب مني الكثير لإنهاء جيمي. حتى أنني جربت أن أركله بعض الركلات الممتازة. وخزته قليلاً، لعبت معه قليلاً ثم اندفعت إليه وبدأت في لكمه. تلقى مني بعض اللكمات الجيدة ولبعض الوقت ظننت أنني لا أستطيع أن أقضي عليه لكن فجأة رمقني بنظرة غريبة كانت تقول، اسمع، ربما نحن ندين لبعضنا البعض أن نكون أصدقاء ونذهب لشرب بعض علب البيرة معاً. بعدها سقط.

تقدم أصدقاؤه نحوه ورفعوه عن الأرض، ثم أمسكوه، تحدثوا معه، «جيم، يا جيم، هل أنت بخير؟».

Tele: @Arab_Books

«ماذا فعل ابن القحبة ذاك يا جيم؟ سنقضي عليه عليه يا جيم، أعطنا إشارة منك فقط!».

«خذوني إلى المنزل!» قال جيم.

شاهدتهم وهم ينزلون من السلالم، كلهم يحاولون إمساكه، وشخص ما منهم يحمل قميصه وقميصه الداخلي...

نزلت لأسفل لأخذ عربتي. جاستن فيليبس كان في انتظاري. «لم أكن أعتقد أنك ستتمكن من العودة»، ابتسم لي بازدراء.

«لا تصادق العمال الأقل منك»، قلت له.

دفعت عربتي بعيداً عنه. وجهي، ملابسي، حالتي كانت سيئة للغاية. سرتُ إلى المصعد وضغطت على الزر. ظهر الأمهق بجانبي. فُتحت أبواب المصعد.

«انتشر الخبر»، قال، «سمعت أنك أصبحت بطل العالم الجديد للوزن الثقيل».

الأخبار تنتشر بسرعة في الأماكن التي من النادر أن يحدث فيها أي أمر.

فيرز صاحب الأذن المقطوعة كان بانتظاري. «لا يمكنك فقط أن تبدأ في ضرب الزبائن بهذه الطريقة!».

«كان واحداً فقط!».

«ليست لدينا أية طريقة للتأكد من أنك لن تبدأ بضرب آخرين مرة أخرى».

«هذا الشخص اجتذبني لقتاله!».

«نحن لا نهتم بذلك. ما حدث حدث. كل ما نعرفه أن سلوكك هذا كان مخالفاً لقوانين العمل هنا».

«ماذا عن شيك مرتبي؟».

«سنرسله لك بالبريد».

Tele: @Arab_Books

«أوكي، إلى اللقاء...».

«انتظر، سأحتاج إلى مفتاح خزانتك».

أخرجت سلسلة مفاتيحي التي كان فيها مفتاح واحد فقط، أخرجت مفتاح الخزانة وأعطيته لفيرز.

بعدها سرت إلى باب الموظفين، فتحته. كان باباً حديدياً ثقيلاً يعمل بطريقة غريبة. بينما فُتح ودخل ضوء النهار، التفت إلى فيرز ولوحت له تلويحة صغيرة. لم يرد. نظر مباشرة إليّ فحسب. ثم أغلق الباب عليه. كان يروقني، بطريقة ما.

- ٤٨ -

«إذاً لم تتمكن من الاحتفاظ بوظيفة لأسبوع واحد؟».

كنا نأكل كرات اللحم والمكرونة. كانت مشاكلي تناقش دائماً على العشاء. كان وقت العشاء تعيساً دائماً. لم أجب عن سؤال أبي.

«ماذا حدث؟ لماذا طردوا مؤخرتك اللعينة من العمل؟».

لم أجبه.

«هنري رد على والدك عندما يتكلم معك!» قالت أمي.

«لا يستطيع الرد، هذا كل ما في الأمر».

«انظر إلى وجهه»، قالت أمي، «إنه مليء بالكدمات والجروح. هل ضربك رئيسك في العمل يا هنري؟».

«لا يا أمي...».

«لماذا لا تأكل يا هنري؟ أنت لا تبدو جائعاً دائماً».

«لا يمكنه الأكل»، قال أبي، «لا يمكنه العمل، لا يمكنه فعل أي شيء، إنه لا يساوي شيئاً!».

Tele: @Arab_Books

«لا يجب عليك أن تتحدث بهذه الطريقة على العشاء يا دادي»، قالت له أمي.

«إنها الحقيقة!» كانت توجد كتلة كبيرة من المكرونة ملفوفة على الشوكة في يد أبي. حشرها كلها في فمه وبدأ يمضغها وبينما فعل ذلك أخذ كرة لحم كبيرة بشوكته وحشرها في فمه، ثم أخذ قطعة من الخبز الفرنسي.

أتذكر ما قال إيفان في «الإخوة كارامازوف»: «من لا يريد أن يقتل الأب؟».

بينما كان أبي يمضغ كتلة هائلة من الطعام، تدلى خيط طويل من المكرونة من زاوية فمه. في النهاية لاحظها ومصها مُصدراً صوتاً مزعجاً. ثم مد يده ووضع ملعقتي سكر في كوب قهوته، رفع الكوب وأخذ رشفة طويلة، ثم بصقها على صحنه وعلى مفرش المائدة.

«هذه القهوة اللعينة ساخنة جداً!».

«عليك أن تكون حذراً أكثر يا دادي»، قالت أمي.

بدأت في البحث عن وظيفة في سوق العمل، كما يقولون، لكن كان ذلك روتيناً مملاً وبلا جدوى. عليك أن تعرف أحدهم للحصول على عمل بما في ذلك مساعد نادل حتى. لذا كان الجميع يعمل في غسل الصحون، المدينة بالكامل مليئة بغاسلي صحون عاطلين من العمل. جلست معهم في ساحة بيرشنغ في ساعات ما بعد الظهر. المبشرون الإنجيليون كانوا هناك أيضاً. بعض منهم كان يحمل الطبول، آخرون غيتارات، ووراء الشجيرات وفي الحمامات تسكع المثليون.

«بعض منهم يملكون المال»، قال لي أحد المتشردين، «هذا الشخص أخذني إلى شقته لأسبوعين. كان لدي كل الطعام والشراب الذي يمكنني أكله وتناوله، حتى أنه اشترى لي ملابس لكنه مصّني

Tele: @Arab_Books

تماماً، لم أستطع الوقوف على قدمي لمدة. وفي إحدى الليالي عندما كان نائماً تسللت خارج الشقة. كان الأمر فظيعاً. قبلني مرة فلكمته وأسقطته أرضاً. «إذا فعلت ذلك مجدداً»، قلت له، «سأقتلك!»».

كافتيريا كليفتون كانت لطيفة. لو لم تملك المال الكافي يدعونك تدفع عندما تستطيع ذلك. ولو لم تملك مالاً على الإطلاق، لم يكن عليك أن تدفع. بعض المتشردين ذهبوا هناك وأكلوا جيداً. الكافتيريا كانت ملك رجل غني لطيف جداً، شخص غير اعتيادي. لم أتمكن قط من دفع نفسي للذهاب هناك والأكل لحد الشبع. كنت أذهب لشرب القهوة وتناول فطيرة التفاح وكنت أعطيهم نيكلاً واحدا. في بعض المرات تناولت النقانق. كان مكاناً هادئاً وجوّه لطيفاً ونظيفاً أيضاً. كان يوجد شلال مياه داخل الكافتيريا وأمكنك الجلوس بجانبه وتخيل أن كل شيء بخير. ومطعم فيليبي كان لطيفاً أيضاً. أمكنك أن تتناول كوب قهوة بثلاثة سنتات وتملأه ثانية دون مقابل وللمرات التي تريد. كان يمكنك الجلوس طوال اليوم تشرب القهوة ولا أحد يطلب منك أن ترحل مهما بدا مظهرك سيئاً. كانوا يطلبون من المتشردين ألا يحضروا معهم نبيذهم ويشربوه في المطعم. أماكن مثل هذه أمدّتك بالأمل عندما لم يكن يوجد الكثير من الأمل.

الرجال في ساحة بيرشنغ تجادلوا طوال اليوم حول مسألة وجود الرب من عدمه. أغلبهم لم يجادلوا بطريقة جيدة لكن بين الحين والآخر يقابلك متدين وملحد يجادلان بعضهما البعض ويقدمان عرضاً جيداً.

عندما أملك بعض المال أذهب إلى الحانة تحت الأرض تحت دار السينما الكبيرة. كان عمري ثمانية عشر عاماً لكنهم بالرغم من ذلك قدموا لي الشراب. بدوت كأنه يمكنني أن أكون في أي عمر. أحياناً أبدو كأنني في الخامسة والعشرين، أحياناً أشعر أنني في

Tele: @Arab_Books

الثلاثين. أدار الحانة رجل صيني لم يتحدث مع أي أحد قط. كل ما يحتاج الأمر هو البيرة الأولى ومن ثم يبدأ المثليون في شراء علب البيرة الأخرى من أجلك، فأقوم بتبديل البيرة بكأس الويسكي الحامض. أقوم بإفلاسهم بكؤوس الويسكي الحامض المتكررة وعندما يبدأون في الاقتراب مني، أُصبح مؤذياً، أدفعهم بعيداً وأرحل من الحانة. بعد فترة امتلأت الحانة بهم كثيراً ولم تعد جيدة بعد الآن.

المكتبة كانت أكثر الأماكن كآبة التي ذهبت إليها. لقد انتهيت من قراءة كل الكتب التي لديّ. بعد فترة كنت أذهب فحسب لآخذ كتاباً ثقيلاً وأبحث عن فتاة يافعة في المنطقة. كان دائماً ما يوجد واحدة أو اثنتان في المكتبة. كنت أجلس على بعد ثلاثة أو أربعة كراسي، متظاهراً بقراءة الكتاب، محاولاً أن أبدو بمظهر المثقف، متمنياً أن تختارني إحدى الفتيات. علمت أنني قبيح لكنني فكرت أنني لو بدوت مثقفاً وذكياً بشكل كاف ربما ستكون عندي فرصة ما. لم ينجح ذلك قط. الفتيات كنّ يكتبن الملاحظات على أوراقهن ثم يرحلن بعد انتهائهن وأبقى أنا هناك أشاهد أجسادهن وهي تتحرك بانتظام وبسحر تحت فساتينهن الجميلة. ماذا كان سيفعل مكسيم غوركي في مثل هذه الظروف؟

في البيت كل شيء كان متشابهاً كل يوم. لم يتم طرح السؤال إلا بعد تناول أولى قضمات طعام العشاء. بعدها يسألني أبي، «هل وجدت عملاً اليوم؟».

«لا».

«هل حاولت في أي مكان؟».

«الكثير من الأماكن. وقد ذهبت إلى بعض الأماكن مرتين أو ثلاثاً».

«لا أصدق ذلك».

Tele: @Arab_Books

لكن تلك كانت الحقيقة. وكانت حقيقة أيضاً أن بعض الشركات تضع إعلانات عن وظائف شاغرة في الصحف كل يوم دون وجود أي وظائف شاغرة حقيقية. أعطى ذلك قسم التوظيف في تلك الشركات شيئاً ما ليفعلوه. لقد ضيعوا الوقت وحطموا آمال الكثير من الناس اليائسين أيضاً.

«ستجد عملاً في الغد يا هنري»، كانت أمي تقول دائماً...

- ٤٩ -

بحثت عن عمل طوال الصيف ولم أجد. جيمي هاتشر حصل على عمل في مصنع طائرات. هتلر كان يعمل بشكل جيد في أوروبا ويخلق وظائف للعاطلين عن العمل. كنت مع جيمي طوال اليوم عندما قدمنا استمارات العمل في المصنع. ملأناها بصورة متشابهة، الفرق الوحيد هو مكان الولادة، كتبت ألمانيا وجيمي كتب ريدينج، بنسلفانيا.

«جيمي حصل على عمل. تخرّج من المدرسة ذاتها التي تخرجت منها وعمره مثل عمرك»، قالت أمي، «لماذا لم تتمكن من الحصول على عمل في مصنع الطائرات؟».

«يمكنهم معرفة الرجل الذي ليس لديه أي رغبة في العمل»، قال أبي، «كل ما يريده هو الجلوس في غرفة نومه على مؤخرته القبيحة الميتة والاستماع إلى سمفونياته الموسيقية!».

«حسناً، الفتى يحب الموسيقي، هذا شيء ما على الأقل».

«لكنه لا يريد أن يفعل أي شيء بذلك! لا يريد أن يجعل نفسه مفيداً في أي شيء!».

«ما الذي يمكنه فعله؟».

Tele: @Arab_Books

«عليه أن يذهب إلى محطة الراديو ويخبرهم أنه يحب ذلك النوع من الموسيقى ويحصل على وظيفة كمذيع في الراديو».

«يا إلهي! الأمر ليس هكذا، لا يحدث بهذه الطريقة، الأمر ليس سهلاً!».

«ماذا تعرف أنت؟ هل حاولت؟».

«أنا أقول لك، الأمر مستحيل!».

وضع أبي قطعة كبيرة من لحم الخنزير في فمه. تدلى جزء شحميّ من قطعة اللحم بين شفتيه بينما كان يمضغ. كان كأنه يملك شفة ثالثة. ثم مص قطعة اللحم بكاملها ونظر إلى أمي.

«أترين يا ماما، هذا الفتى لا يريد أن يعمل».

نظرت أمي إليّ.

«هنري، لماذا لا تأكل طعامك؟».

قرروا في النهاية أنني سأبدأ الدراسة في الجامعة العامة المجانية للوس أنجلس. لم تكن هناك أي رسوم للدراسة والكتب الدراسية المستعملة يمكنك الحصول عليها من المكتبة التعاونية. كان أبي ببساطة يشعر بالخجل من كوني عاطلاً من العمل وبذهابي إلى الجامعة ربما على الأقل أنال بعض الاحترام. ايلي لاكروس (بولدي) كان قد قضى فصلاً كاملاً هناك. كان مستشاري الطلابي في الجامعة.

«ما أسهل مجال لعين يمكنني دراسته؟» سألته.

«الصحافة. طلبة الصحافة أولئك لا يفعلون أي شيء».

«أوكي، سأكون صحافياً».

نظرت إلى الكتيب الإرشادي للجامعة.

«ما هو يوم التوجيه هذا الذي يتكلم عنه الجميع؟».

«أوه، فقط تجاهل ذلك، إنها مجرد ترهات».

Tele: @Arab_Books

«شكراً أنك أخبرتني بهذا يا صديقي. بدلاً من ذلك سنذهب إلى الحانات القريبة من الحرم الجامعي ونشرب بعض البيرة».

«أجل، بالتأكيد!».

«نعم!».

اليوم التالي بعد يوم التوجيه هو يوم تسجيل المواد. كان الناس يركضون بهلع حاملين الأوراق والكراسات. كنت قد أتيت للجامعة على متن الحافلة. أخذت خط الدبليو إلى فيرمونت وبعدها أخذت خط الفِي جنوباً إلى مونرو. لم أكن أعرف أين يذهب الجميع أو ماذا كان عليّ أن أفعل. شعرت أنني مريض.

«عفواً...». سألت فتاة.

التفتت برأسها وظلت تسير بخفة في طريقها. ركض فتى من أمامي فأمسكته من مؤخرة حزام سرواله وأوقفته.

«أنت، ما الذي تفعله بحق السماء؟» سأل.

«اسكت. أريد أن أعرف ما الذي يجري! أريد أن أعرف ما الذي يجب عليّ فعله!».

«لقد شرحوا لك كل شيء في يوم التوجيه».

«أوه...».

تركته يذهب فبدأ في الركض مجدداً. لم أكن أعرف ماذا أفعل. تخيلت أنك تذهب فقط إلى مكان ما وتقول لهم إنك تريد أن تدرس الصحافة، الصحافة الابتدائية، فيعطونك بطاقة بها جدول حصصك. لم يكن الأمر على هذا النحو على الإطلاق. هؤلاء عرفوا ماذا كانوا يفعلون ولم يقولوا لأحد. شعرت كأني في المدرسة الإعدادية مجدداً، يتم تشويهي مجدداً من قبل الجموع التي كانت تعرف أكثر مما كنت أعرف. جلست على أحد الكراسي وشاهدتهم يركضون جيئةً وذهاباً. ربما عليّ أن أتظاهر أنني مثلهم.

Tele: @Arab_Books

سأقول لوالديّ إنني ذاهب إلى جامعة مدينة لوس أنجلس وآتي إلى هنا وأستلقي على العشب. ثم رأيت هذا الشخص الذي كان يركض مثلهم. كان بولدي. أمسكت به من الخلف من ياقة قميصه.

«هانك، هانك، ما الذي يحدث؟».

«من الواجب عليّ أن أضربك الآن أيها الوغد الصغير!».

«ما المشكلة؟ ما المشكلة يا هانك؟».

«كيف لي أن آخذ حصة؟ ماذا عليّ أن أفعل؟».

«ظننتك تعرف!».

«كيف؟ كيف يمكنني أن أعرف؟ هل وُلدت بهذه المعرفة داخلي، مفهرسة بالكامل، مستَعِدة للنصيحة عندما أحتاج إلى ذلك؟».

سرت به إلى مقعد وكنت ما زلت ممسكاً به من ياقة قميصه.

«الآن، أخبرني بكل شيء، بكل صراحة، كل شيء من الواجب عليّ القيام به وكيفية القيام به. قم بعمل جيد وربما لن أقوم بضربك بهذه اللحظة!».

قام بولدي بتفسير كل شيء لي. كان هذا يوم التوجيه خاصتي. كنت ما زلت ممسكاً به من ياقة قميصه.

«سأتركك تذهب الآن. لكن في يوم ما سأحاسبك على ما فعلت. سيكون عليك دفع ثمن ضحكك اللعين عليّ. لن تعرف متى سيحدث ذلك، لكنه سيحدث!».

تركته. بدأ يركض مثل بقيتهم. لم يكن يوجد أي سبب لي للقلق أو الاستعجال في أي شيء. سأحصل على أسوأ الحصص، أسوأ المعلمين وأسوأ الأوقات. مشيت ببطء للتسجيل في الحصص. بدوت كأنني الوحيد الذي لم يكترث من بين جميع الطلبة في الكلية. بدأت أشعر بالفوقية عليهم جميعهم.

Tele: @Arab_Books

حتى الساعة السابعة، وقت حصتي الأولى، حصة اللغة الإنجليزية. كانت الساعة السابعة والنصف وكنت واقفاً على باب الفصل مصاباً بآثار الثمالة وأستمع لما يدور في الفصل. دفع والداي ثمن كل كتبي وأنا قمت ببيعها من أجل شراء الشراب. في الليلة السابقة تسللت من نافذة غرفة نومي وذهبت إلى الحانة في الحيّ. كنت مصاباً بآثار الثمالة من شرب البيرة. شعرت أنني ما زلت ثملاً. فتحت الباب ودخلت. وقفت هناك. السيد هاميلتون، معلم اللغة الإنجليزية، كان واقفاً أمام الفصل، يغنّي، ومشغل الأسطوانات كان شغالاً، بصوت عالٍ، وجميع الطلبة في الفصل يغنون مع السيد هاميلتون. كانت إحدى أوبيرات غيلبرت وسوليفان.

«الآن أنا حاكم البحرية الملكية. . .

لقد نسخت كل الرسائل في رسالة واحدة كبيرة. . .

الآن أنا حاكم البحرية الملكية. . .

ابقوا قريباً من مكاتبكم ولا تذهبوا أبداً إلى البحر. . .

وكلكم ستكونون على الأرجح حكام البحرية الملكية. . .».

مشيت إلى مؤخرة الفصل ووجدت كرسياً فارغاً. سار هاميلتون إلى مشغل الأسطوانات وأطفأه. كان يرتدي بدلة رمادية وقميصاً برتقالياً فاتح اللون. بدا مظهره مثل نيلسون ايدي(*). ثم واجه الفصل، لمح ساعة معصمه وتوجه بالكلام إليّ:

«لا بدّ أن تكون السيد تشيناسكي؟».

أومأت برأسي إيجاباً.

«أنت متأخر ثلاثين دقيقة عن الحصة».

«أجل».

(*) نيلسون ايدي: ممثل ومغنٍّ أمريكي.

Tele: @Arab_Books

«هل ستتأخر ثلاثين دقيقة عن فرح أو عزاء؟».

«لا».

«لماذا؟ أيمكنك أن تتكرم بالإجابة؟».

«حسناً، لو كان العزاء عزائي لا بدّ أن أكون في الوقت. ولو كان الفرح فرحي لا بدّ أن يكون ذلك هو عزائي». لطالما كنت حاداً عند استعمال فمي. لا بدّ لي أن أتعلم.

«يا سيدي العزيز»، قال السيد هاميلتون، «كنا نستمع إلى أوبريت غيلبرت وسوليفان وذلك لنتعلم النطق الصحيح. أرجوك قف».

وقفت.

«الآن، أرجوك ابدأ في غناء: ابق بالقرب من مكتبك ولا تذهب أبداً إلى البحر وستكون دائماً حاكم البحرية الملكية».

وقفت هناك.

«حسناً، هيا ابدأ، من فضلك!».

غنّيت بسرعة وجلست.

«سيد تشيناسكي، بالكاد استطعت سماعك. ألا يمكنك الغناء ببعض الحيوية والنشاط؟».

وقفت مجدداً. أخذت نفساً طويلاً من الهواء وأطلقته.

«لو كنت تريد أن تكون حاكم البحرية الملكية ابق بالقرب من مكتبك ولا تذهب أبداً إلى البحر!».

غنّيتها بالعكس.

«سيد تشيناسكي»، قال السيد هاميلتون، «أرجوك تفضل بالجلوس».

جلست. تلك كانت غلطة بولدي.

Tele: @Arab_Books

حصة الجمنازيوم كانت في ذات الوقت للجميع. خزانة بولدي كانت أسفل خزانتي بأربع أو خمسة خزانات وفي ذات الصف. ذهبت مبكراً إلى خزانتي. كنا أنا وبولدي نملك المشكلة ذاتها. كرهنا سروال الصوف لأن الصوف كان يسبب حكة في سيقاننا لكن أهالينا أحبوا ببساطة أن نرتدي سراويل الصوف. حللت المشكلة، لبولدي ولنفسي، عن طريق إطلاعه على السر. كل ما عليك فعله هو ارتداء سروال البيجامة تحت سروال الصوف.

فتحت خزانتي ونزعت ملابسي. نزعت سروالي وسروال البيجامة وأخذت سروال البيجامة وخبأته في الرف العلوي للخزانة. ارتديت زي الرياضة. بعدها بدأ الفتية الآخرون في القدوم.

بولدي وأنا كنا نملك قصصاً رائعة عن سراويل البيجامة لكن قصص بولدي كانت الأفضل. في ذات ليلة كان في الخارج مع حبيبته، ذهبا للرقص. ما بين إحدى الرقصات سألته حبيبته، «ما هذا؟».

«ماذا تقصدين؟».

«هناك شيء ما خارج من طرف سروالك».

«ماذا؟».

«يا إلهي! أنت ترتدي سروال بيجامتك تحت سروالك!».

«أوه؟ أوه، هذا الأمر... لا بدّ أنني نسيت...».

«أنا مغادرة هذه اللحظة!».

ولم تواعده مجدداً على الإطلاق.

كان كل الفتية يغيّرون ملابسهم إلى ملابس الرياضة. دخل بولدي وسار نحو خزانته وفتحها.

Tele: @Arab_Books

«كيف حالك يا صديقي؟» سألته.

«أوه، مرحباً يا هانك. . .».

«لدي حصة اللغة الإنجليزية عند الساعة السابعة صباحاً. إنها حصة جيدة لتبدأ بها يومك. فقط يجب عليهم أن يغيروا اسمها إلى حصة تقدير الموسيقى لا حصة اللغة الإنجليزية!».

«أوه أجل. هاميلتون ذاك. سمعت عنه. ها ها ها. . .».

سرت نحو بولدي.

كان قد فكَّ أزرار سرواله. مددت يدي نحوه وأنزلت له سرواله. تحته ظهر سروال البيجامة الأخضر المخطط. حاول أن يرفع سرواله لكنني كنت أقوى منه بكثير.

«اسمعوا يا رفاق، انظروا! يا إلهي! هذا الفتى يرتدي سروال بيجامته للمدرسة!».

بولدي كان يصارعني ليرفع سرواله. وجهه أصبح أحمر. بعض الفتية تقدموا نحونا ونظروا. ثم قمت بأمر أسوأ بكثير. أنزلت له سروال البيجامة.

«وانظروا هنا! هذا الأحمق المسكين ليس فقط أصلع لكنه بالكاد يملك قضيباً! ماذا يمكنه أن يفعل هذا الأحمق المسكين عندما يواجه امرأة؟».

أحد الفتية الكبار الواقفين بجانبنا قال: «تشيناسكي، أنت حقاً حثالة!».

«أجل»، قال آخرون.

«أجل، أجل. . .». سمعت أصوات الآخرين.

رفع بولدي سرواله. كان في الحقيقة يبكي. نظر إلى الآخرين.

«تشيناسكي يرتدي سروال البيجامة أيضاً! هو الشخص الذي جعلني أفعل ذلك! انظروا إلى خزانته، فقط انظروا إلى خزانته!».

Tele: @Arab_Books

ركض بولدي إلى خزانتي وفتح بابها بقوة. أخرج كل ملابسي للخارج. سروال البيجامة لم يكن هناك.

«لقد خبأه! لقد خبأه في مكان ما!».

تركت ملابسي على الأرض وخرجت إلى الملعب من أجل مناداة الأسماء لتسجيل الغياب. وقفت في الصف الثاني. قمت ببعض تمارين انحناءات الركبة. ثم لاحظت فتى ضخماً خلفي. كنت قد سمعت اسمه في الأرجاء، شولوم ستودولسكي.

«تشيناسكي»، قال، «أنت حثالة!».

«لا تعبث معي يا رجل، لدي طبيعة حادة جداً».

«حسناً، أنا أعبث معك إذاً!».

«لا تجرب حظك معي أيها الفتى البدين!».

«هل تعرف المكان ما بين مبنى البيولوجيا وملاعب التنس؟».

«لقد رأيته سابقاً».

«سأقابلك هناك بعد حصة الجمنازيوم».

«أوكي»، قلت.

لم أذهب. بعد حصة الجمنازيوم تركت باقي حصصي وأخذت الحافلة وذهبت إلى ساحة بيرشينغ. جلست على المقعد وانتظرت حدوث بعض الأكشن. بدا كأن الأمر سيطول كثيراً. في النهاية بدأ الأمر، حدث نقاش ما بين شخص متدين وملحد. لم يكونا جيدين كثيراً. كنت لاأدرياً. اللاأدريون لم يملكوا أموراً كثيرة للجدال حولها. تركت الحديقة وسرت إلى مابين الشارع السابع وبرودواي. كان ذلك المكان مركز المدينة. لم تكن توجد الكثير من الأشياء لفعلها هناك، الناس فقط كانوا أمام الإشارات الضوئية ينتظرون تغيرها ليتمكنوا من عبور الطريق. ثم شعرت بحكة على ساقيّ. لقد تركت سروال البيجامة في الرف العلوي لخزانتي. يا له من يوم سيئ من

Tele: @Arab_Books

بدايته إلى نهايته! صعدت إلى حافلة خط «دبليو» وجلست في المؤخرة بينما كانت الحافلة تسير على الطريق عائدةً بي إلى منزلي.

- ٥١ -

قابلت طالباً في الكلية أعجبني، روبرت بيكر. أراد أن يكون كاتباً.

«سأتعلم كل ما يمكن تعلمه حول الكتابة. سيكون الأمر مثل تفكيك سيارة ثم إعادة تجميعها مجدداً».

«يبدو أن ذلك يحتاج إلى كثير من العمل»، قلت.

«سأقوم بفعل ذلك».

كان بيكر أقصر مني بإنش أو أكثر بقليل لكنه كان ممتلئ الجسم، بنيته كانت قوية، بذراعين مفتولين وكتفين عريضين.

«كنت مصاباً بمرض في طفولتي»، أخبرني، «كان عليّ ذات مرة أن أبقى في السرير لسنة كاملة وأنا أعصر كرات التنس، واحدة في كل يد. بسبب ذلك فقط، أصبحت هكذا».

كان لديه عمل كساعي بريد في الليل ويعيل نفسه به في الكلية.

«كيف وجدت عملك؟».

«أعرف شخصاً يعرف شخصاً».

«أنا متأكد من أنني أستطيع ركل مؤخرتك والتغلب عليك بسهولة».

«ربما، وربما لا. أنا مهتم فقط بالكتابة».

كنا جالسَين في قبة مظللة مطلة على فناء الجامعة. كان هناك شخصان يحدقان فيّ.

ثم بدأ واحد منهم بالكلام.

Tele: @Arab_Books

«مرحباً»، سألني، «هل لديك أي مانع لو سألتك شيئاً؟».

«تفضل».

«حسناً، لقد كنت ضعيفاً في المدرسة الإعدادية، أتذكرك. والآن أصبحت فتى شرساً قوياً. ماذا حدث؟».

«لا أعرف».

«هل أنت شخص ساخر؟».

«على الأرجح».

«هل أنت سعيد كونك شخصاً ساخراً؟».

«أجل».

«إذاً أنت لست ساخراً لأن الساخرين ليسوا سعداء!».

صافحا بعضهما بطريقة مسرحية هزلية وهربا، وهما يضحكان.

«لقد نالا منك، جعلاك تبدو بمظهر سيئ»، قال بيكر.

«لا، كانا يحاولان بكل ما لديهما من جهد».

«هل أنت ساخر؟».

«أنا تعيس. لو كنت ساخراً كان ذلك على الأرجح سيجعلني أشعر بشعور أفضل».

نزلنا من القبة. انتهت الحصص. أراد بيكر أن يضع كتبه في خزانته. سرنا إلى هناك ووضع بيكر كتبه. أعطاني خمس أو ست أوراق.

«اقرأ هذه. إنها قصة قصيرة».

سرنا إلى خزانتي. فتحتها وأعطيته كيساً ورقياً.

«خذ رشفة...». كانت زجاجة نبيذ بورت. أخذ بيكر رشفة، ثم أخذت أنا واحدة.

«هل دائماً ما تُبقي واحدة مثل هذه في خزانتك؟» سأل.

«أحاول ذلك».

Tele: @Arab_Books

«اسمع، هذه الليلة هي ليلة إجازتي. لِمَ لا تأتي وتقابل بعضاً من أصدقائي؟».

«الناس لا يتقبلونني بشكل جيد».

«هؤلاء أشخاص مختلفون».

«حقاً؟ أين؟ في منزلك؟».

«لا، هنا، سأكتب لك العنوان...».

بدأ بيكر في كتابة العنوان على ورقة.

«اسمع يا بيكر، ماذا يفعل هؤلاء الأشخاص؟».

«يشربون...». قال بيكر.

وضعت ورقة العنوان في جيبي...

تلك الليلة بعد العشاء قرأت قصة بيكر القصيرة. كانت جيدة وحسدته عليها. كانت القصة حول ركوبه لدراجته في الليل وتسليمه رسالة إلى امرأة جميلة. كانت الكتابة موضوعية وواضحة، كان هناك نوع من اللياقة اللطيفة في كلماته. ادعى بيكر أنه كان متأثراً بالكاتب توماس وولف لكنه لم ينتحب ويبالغ مثل ما كان يفعل وولف في كتاباته. المشاعر كانت موجودة هناك لكنها لم تكن ظاهرة في الأضواء للعيان. امتلك بيكر المقدرة على الكتابة، كان يمكنه الكتابة أفضل مني.

جلب لي والداي آلة كاتبة وحاولت كتابة بعض القصص القصيرة لكنها خرجت دائماً مريرة ومتهرئة. ليس أن الأمر كان سيئاً لهذا الحد لكن القصص بدت كأنها تتوسل، لم تكن تملك حيويتها الخاصة. كانت قصصي أكثر سوداوية من قصص بيكر، أغرب، لكنها لم تكن جيدة مثل قصصه. حسناً، واحدة أو اثنتان من قصصي كانتا جيدتين كفاية بالنسبة لي، لكن كانتا تقريباً كأن فيهما شيئاً ما ضائعاً على طول

Tele: @Arab_Books

النص بدلاً من أن تكونا واضحتَي النسق والمعالم. كان من الواضح تماماً أن بيكر أفضل مني. ربما عليّ أن أجرب الرسم.

انتظرت إلى أن نام والداي. كان أبي يشخر بصوت عالٍ. عندما سمعته فتحت نافذة غرفتي وتسللت منها على شجيرة التوت البري. هذا وضعني في مدخل سيارات الجيران، ثم بدأت بالسير ببطء في الظلام. ثم سرت في شارع لونغوود إلى الشارع الحادي والعشرين، انعطفت يميناً وبدأت بالسير على التلة في جادة الويستفيو إلى نهاية حافلة خط دبليو. أدخلت القطعة الرمزية ثمن الركوب وسرت إلى مؤخرة الحافلة، جلست وأشعلت سيجارة. لو كان أصدقاء بيكر بأي حال جيدين مثل قصة بيكر القصيرة، كانت ستكون الليلة رائعة جداً.

بيكر كان هناك في الوقت الذي وجدت فيه عنوان المنزل في شارع بايكون. كان أصدقاؤه جالسين إلى طاولة الإفطار. قدمهم بيكر. هذا هاري، تلك لانا، ذاك غوبلز، ذاك ستنكي، ذاك مارشبيرد، ذاك ايليس، ذاك دوغفايس وآخرهم هو (الريبر - The Ripper)(*) جلسوا كلهم إلى طاولة إفطار كبيرة. هاري كان يملك عملاً حقيقياً شرعياً في مكان ما، هو وبيكر كانا الشخصين الوحيدين اللذين يمتلكان عملاً بين الجميع. لانا كانت زوجة هاري، ابنهم غوبلز كان يجلس على كرسي أطفال طويل. لانا كانت المرأة الوحيدة بيننا. عندما تم تقديمنا إلى بعض نظرت لي وابتسمت. كلهم كانوا شباباً، نحيلين، وكلهم دخنوا السجائر ونفثوا الدخان في الفراغ.

«أخبرنا بيكر عنك»، قال هاري، «قال إنك كاتب».

«أملك آلةً كاتبة».

«هل ستكتب عنا؟» سألني ستنكي.

(*) الريبر - The Ripper: الممزق.

Tele: @Arab_Books

«أفضل أن أشرب».

«جيد. سنقيم مسابقة شرب. ألديك أي مال؟» سأل ستنكي.

«دولاران...».

«أوكي، المبلغ المطلوب من الجميع هو دولاران. هيا ادفعوا جميعاً!» قال هاري.

هذا جعل مبلغ الرهان النهائي ثمانية عشر دولاراً. المبلغ بدا جيداً ملقى هناك على الطاولة. ظهرت الزجاجة ونزلت كؤوس الجرعات.

«أخبرنا بيكر أنك تظن أنك شخص قوي، هل أنت كذلك؟».

«أجل».

«حسناً، سنرى...».

كان ضوء المطبخ ساطعاً للغاية. كان الشراب ويسكي صافياً دون أي زيادات. ويسكي أصفر قاتماً. سكب هاري الكؤوس. يا للجمال! فمي، حلقي، لم أستطع الانتظار. كان المذياع شغالاً. غنّى أحدهم. أوه جوني، أوه جوني، كيف يمكنك الحب!

«إلى أسفل الحفرة!» قال هاري. كان من الاستحالة أن أخسر. يمكنني الشرب لأيام، لكن الشراب لم يكفني قط.

غوبلز كانت لديه كأسه الصغيرة الخاصة به. رفعنا كؤوسنا وشربناها دفعة واحدة، رفع غوبلز كأسه وشربها. الجميع ظن أن ذلك كان مضحكاً. لم أكن أظن أن طفلاً يشرب هو شيء يثير الضحك لكنني لم أقل أي شيء. سكب هاري جولة شراب أخرى.

«هل قرأت قصتي القصيرة يا هانك؟» سأل بيكر.

«أجل».

«ما رأيك بها؟».

Tele: @Arab_Books

«كانت جيدة. أنت مستعد الآن. كل ما تحتاج إليه هو بعض الحظ».

«إلى أسفل الحفرة!» قال هاري.

الجولة الثانية مرت من دون أي مشكلة بالنسبة لي، كلنا شربنا كؤوسنا. ثم انسحبت لانا.

نظر هاري إليّ. «هل تحب القتال يا هانك؟».

«لا».

«حسناً، في حال كنت تحب القتال، لدينا هنا دوغفيس».

كان دوغفيس أكبر مني بمرتين. الحياة مرهقة جداً في هذا العالم. في كل مرة تنظر فيها حولك هناك شخص ما مستعد للقضاء عليك من دون أخذ حتى نفسٍ واحد. نظرت إلى دوغفيس.

«مرحباً يا صديق!».

«صديق! مؤخرتي!» قال، «فقط اشرب جولتك القادمة من الشراب».

سكب هاري الكؤوس لمرة ثالثة. لم يسكب لغوبلز هذه المرة، قدَّرت ذلك. حسناً، رفعنا كؤوسنا، وشربناها كلها. لكن لانا انسحبت.

«أحدهم عليه أن ينظف كل هذه الفوضى ويُعد هاري للذهاب للعمل في الصباح!» قالت.

سكبنا الجولة التالية. وبينما فعلنا ذلك سمعنا صوت انفتاح الباب واندفع إلى داخل الغرفة فتى ضخم وسيم يبدو في الثانية والعشرين من العمر.

«اللعنة يا هاري»، قال، «خبئني! لقد سرقت للتو محطة بنزين لعينة!».

«سيارتي في المرآب»، قال هاري، «استلقِ على الأرضية أمام الكراسي الخلفية وابقَ هناك!».

شربنا. سكب هاري الجولة التالية. ظهرت زجاجة جديدة. الثمانية عشر دولاراً كانت ما تزال وسط الطاولة. ما زال جمعينا جالسين هناك ما عدا لانا. يتطلب الأمر الكثير من الويسكي لإنهائنا.

«اسمع»، سألت هاري، «ألن ينفذ منا الشراب قريباً؟».

«أريه يا لانا...».

فتحت لانا الأبواب العلوية لدولاب المطبخ. استطعت رؤية زجاجات وزجاجات من الويسكي مصطفة هناك، كلها من نفس النوع. بدت كأنها غنيمة من سرقة شاحنة شراب وربما كانت كذلك. وهؤلاء هم أعضاء العصابة: هاري، لانا، ستنكي، مارشبيرد، ايليس، دوغفايس والريبر، وربما بيكر، وعلى الأرجح الشاب الفتيّ الموجود على الأرضية الخلفية لسيارة هاري في الدور السفلي. شعرت بالفخر كوني أشرب مع هذا الجزء النشط من سكان لوس أنجلس. بيكر لم يعرف كيف يكتب فحسب، بيكر كان يعرف الأشخاص المناسبين. سأهدي روايتي الأولى إلى روبرت بيكر. وستكون رواية أعظم من رواية وولف «عن الزمن والنهر».

ظل هاري يسكب جولات الشراب ونحن ظللنا نشرب. المطبخ يبدو أزرق اللون مع دخان السجائر.

كان مارشبيرد أول المنسحبين. كان له أنف كبير جداً، هز رأسه فقط، لا أكثر، لا أكثر، وكل ما يمكنك رؤيته هو أنفه الطويل يهز بـ«لا» في دخان السجائر الأزرق.

ايليس كان المنسحب التالي. كان له شعر كثيف على صدره لكن بالتأكيد لم يكن يملك مثله على خصيتيه.

دوغفايس انسحب بعده. قفز من الكرسي فحسب وركض نحو

Tele: @Arab_Books

الحمام وتقيأ. وبسماعه أتت ذات الفكرة لهاري فانحنى على مغسلة المطبخ وتقيأ هو الآخر.

بقينا أربعة فقط، أنا، بيكر، ستنكي، والريبر. بيكر كان التالي. طوى يديه على الطاولة، وضع رأسه عليهما وهكذا انتهى أمره.

«هذه الليلة ما زالت في بدايتها»، قلت، «أنا عادةً أشرب إلى طلوع الشمس».

«أجل»، قال الريبر، «أنت تتبرز في سلة أيضاً!».

«أجل، وهذه السلة شكلها مثل رأسك!».

نهض الريبر. «يا ابن القحبة، سأقضي عليك!».

لوَّح بلكمة باتجاهي على طول الطاولة، أخطأني وأسقط الزجاجة. أتت لانا بمنشفة ونظفت الطاولة والمكان. بعدها فتح هاري زجاجة جديدة.

«اجلس يا ريب أو انسحب!» قال هاري. سكب هاري جولة جديدة. شربنا كلنا. نهض الريبر، سار إلى الباب الخلفي، فتحه ونظر إلى الليل.

«يا ريب، ما الذي تفعله بحق السماء؟» سأل ستنكي.

«أنا أتأكد من وجود قمر مكتمل هذه الليلة».

«حسناً، هل يوجد؟».

لم يجبه. ثم سمعناه يسقط خلال الباب، على الدَّرج وبعدها على الشجيرات. تركناه هناك. تبقّى اثنان، أنا وستنكي.

«لم أر أحداً من قبل يهزم ستنكي»، قال هاري.

كانت لانا قد وضعت غوبلز في السرير للتو. بعدها عادت إلى المطبخ.

«يا إلهي! هناك العديد من الجثث في كل أرجاء المنزل!».

«اسكبها يا هاري»، قلت.

Tele: @Arab_Books

سكب هاري كأس ستنكي، بعدها كأسي. عرفت أنني لن أتمكن أبداً من شرب كأسي. ففعلت الشيء الوحيد الذي أستطيع فعله. تظاهرت أن الأمر سهل. أخذت الكأس وشربتها بأسرع ما يمكن. ستنكي حدق إليّ. «سأعود على الفور، عليّ أن أذهب للتبول».

جلسنا وانتظرنا.

«ستنكي شخص لطيف»، قلت، «لا يجب عليك أن تناديه ستنكي(*). كيف حصل على هذا الاسم على أية حال؟».

«لا أعرف»، قال هاري، «أحدهم سماه هكذا».

«ذلك الشخص في مؤخرة سيارتك، هل سيخرج هذه الليلة؟».

«لن يخرج حتى الصباح».

جلسنا وانتظرنا.

«أعتقد»، قال هاري، «أن علينا أن نتفقد ستنكي».

فتحنا باب الحمام. ستنكي لم يكن هناك. ثم رأيناه. لقد سقط في حوض الاستحمام. قدماه برزتا على حاشية الحوض. عيناه كانتا مغمضتين، ستنكي فقد وعيه. عدنا إلى الطاولة.

«المال من نصيبك»، قال هاري.

«ما رأيك أن أشتري منك بعض زجاجات الويسكي تلك؟».

«انس الأمر».

«أتعني ذلك؟».

«أجل، بالتأكيد».

أخذت المال من على الطاولة ووضعته في جيبي الأيمن الأمامي. ثم نظرت إلى كأس ستنكي.

«لا فائدة من إضاعة هذه الكأس»، قلت.

(*) ستنكي Stinky: كريه الرائحة.

Tele: @Arab_Books

«أتقصد أنك ستشربه؟» سألت لانا.

«لِمَ لا؟ هذه الكأس للطريق...».

شربت الكأس دفعة واحدة.

«أوكي، أراكم يا رفاق، كانت الليلة رائعة!».

«تصبح على الخير يا هانك...».

خرجت من الباب الخلفي، ومشيت على جسد الريبر. وجدت زقاقاً خلفي فأخذت يميني. سرت على طول الطريق ورأيت سيارة شيفروليه سيدان خضراء اللون. ترنحت قليلاً بينما اقتربت منها. أمسكت مقبض الباب الخلفي لأثبت نفسي. الباب اللعين لم يكن مقفلاً ففُتح على مصراعيه عندما أمسكت به، أسقطني ذلك على الأرض. سقطت بقوة، وسلخت جلد مرفقي الأيسر على الأرض. كان القمر كاملاً. ضربني الويسكي تلك اللحظة مرة واحدة. شعرت كأنني لن أستطيع النهوض. عليّ أن أنهض. من المفترض أنني شخص قوي. نهضت، اتكأت على الباب النصف مفتوح، أمسكته، ظللت ممسكاً به. ثم أمسكت المقبض الداخلي للباب وبدأت في تثبيت نفسي. دخلت السيارة وجلست على الكرسي الخلفي فحسب. جلست لمدة من الوقت. ثم بدأت في التقيؤ. تقيأت وتقيأت وتقيأت. غطى القيء أرضية السيارة الخلفية بالكامل. بعدها جلست لمدة أطول. ثم استطعت أن أخرج من السيارة، لم أشعر بالدوار. أخرجت منديلي ومسحت القيء عن سروالي وعن حذائي بأفضل صورة ممكنة. أغلقت باب السيارة وبدأت في السير في الزقاق. كان عليّ أن أجد حافلة خط دبليو. وسأجدها.

وجدتها. ركبت. ووصلت إلى شارع الويستفيو، سرت في الشارع الحادي والعشرين، انعطفت جنوباً على جادة لونغوود إلى شارع ٢١٢٢. سرت في مدخل سيارات الجيران، وجدت شجيرات

Tele: @Arab_Books

التوت البري، تسلقتها ودخلت إلى غرفة نومي من خلال النافذة المفتوحة. غيرت ملابسي وذهبت للنوم. لا بدّ من أنني استهلكت أكثر من ربع غالون من الويسكي. أبي ما زال يشخر مثلما كان عندما خرجت، إلا أنه في تلك اللحظة بالذات علا صوت شخيره وأصبح أكثر قبحاً. نمت على أية حال.

كالعادة وصلت إلى حصة السيد هاميلتون للغة الإنجليزية متأخراً بثلاثين دقيقة. كانت الساعة السابعة والنصف صباحاً. وقفت خارج الباب واستمعت لهم داخل الفصل. كانوا يغنون غيلبرت وسوليفان مجدداً. وما زالت الأوبريت نفسها عن الذهاب إلى البحر والبحرية الملكية. لا يبدو أن هاميلتون يمل منها على الإطلاق. في الثانوية كان سيكون لي معلم إنجليزية اسمه بو، بو، إدغار آلان بو.

فتحت الباب. سار هاميلتون نحو مشغل الأسطوانات ورفع الإبرة عن الأسطوانة. بعدها أعلن للفصل، «عندما يصل السيد تشيناسكي إلى الفصل نحن نعلم دائماً أن هذا يعني أن الساعة الآن السابعة والنصف صباحاً. والسيد تشيناسكي دائماً يصل على الوقت. المشكلة الوحيدة هو أن هذا الوقت هو الوقت الخاطئ».

توقف عن الكلام ونظر إلى وجوه الطلبة في الفصل. كان فخوراً جداً، جداً بنفسه. ثم نظر إليّ.

«سيد تشيناسكي، إن وصلت إلى الفصل الساعة السابعة والنصف أو لم تصل على الإطلاق، هذا لن يهم. سأعطيك في النهاية درجة ضعيف لحصة اللغة الإنجليزية ١!».

«درجة ضعيف يا سيد هاميلتون؟» سألته بنظرتي الساخرة الشهيرة، «لماذا لا تعطيني درجة راسب؟».

«لأن درجة راسب أحياناً تعادل الاهتمام. وأنا لا أعتقد أنك تساوي أي شيء ليهتم بك أي أحد!».

Tele: @Arab_Books

هلل وهتف وصفق طلبة الفصل وضربوا الأرضية بأقدامهم. التفتُّ، خرجت، أغلقت الباب خلفي. مشيت في الممر، وأنا أسمع أصواتهم الضاحكة قادمة من داخل الفصل.

- ٥٢ -

كانت الحرب تسير على ما يرام في أوروبا بالنسبة لهتلر. أغلب الطلبة لم يتحدثوا عن الأمر، لكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للمعلمين، أغلبهم كانوا من اليسار ومناهضين للألمان. لم يكن يبدو أن هناك أنصاراً لليمين بين المعلمين إلا السيد غلاسكو، الذي يُدرس الاقتصاد، وكان متحفظاً جداً حول آرائه.

كان الذهاب لمحاربة ألمانيا رائجاً شعبياً وفكرياً، وذلك من أجل وضع حدٍّ لانتشار الفاشية. بالنسبة لي، لم تكن لدي أية رغبة في الذهاب إلى الحرب للدفاع عن حياتي أو المستقبل الذي يمكن أن يكون لي. لم أكن أملك حرية. لم أكن أملك أي شيء. ومع هتلر، ربما سيمكنني الحصول على مؤخرة امرأة ما وأكثر من دولار كمصروف أسبوعي. إلى أقصى حدود المنطق بالنسبة لي، لم أكن أملك أي شيء للدفاع عنه. أيضاً كوني وُلدت في ألمانيا، كنت أملك وفاء غريزياً ولم يكن يروق لي رؤية الأمة الألمانية، الناس الألمان، مُصَورين في كل مكان من قبل الجميع كوحوش وحمقى. في صالات السينما كانوا يقومون بإسراع الأفلام الإخبارية القصيرة لجعل هتلر وموسيليني يبدوان مثل رجلَين مجنونَين مسعورَين. وأيضاً كون كل المعلمين مناهضين للألمان وجدت الأمر مستحيلاً شخصياً لي أن أتفق معهم في أي شيء. وبسبب العزلة المطلقة والمعارضة الغريزية لي قررت أن أعزل نفسي ضد كل وجهات نظرهم. لم أقرأ قط في حياتي

Tele: @Arab_Books

كتاب «كفاحي» ولم أكن أملك أي رغبة لأن أقرأه. هتلر كان مجرد ديكتاتور آخر بالنسبة لي، إلا أنه بدلاً من إلقاء المحاضرات عليّ في العشاء كان سيفجر دماغي على الأرجح أو يقطع خصيتيّ لو ذهبت إلى الحرب لإيقافه.

في بعض الأحيان بينما يبدأ المعلمون في الحديث عن شرور النازية (كانوا يقولون لنا دائماً أن نكتب كلمة "nazi" بـ "n" صغيرة بدلاً من الكبيرة في بداية الجملة) والفاشية أقفز على قدميّ وأختلق شيئاً ما:

«بقاء الجنس البشري يعتمد على المسؤولية الاختيارية!».

وهذا كان يعني، احذر من تضاجع، لكنني كنت الوحيد الذي أعرف معنى ذلك. هذا أزعج الجميع. لا أعرف من أين آتي بهذه الكلمات:

«إحدى كوارث الديمقراطية هي أن تصويت العامة يضمن قائداً من العامة سيقودنا نحو تكهنات شعبية فاترة!».

تفاديت أي ذكر مباشر لليهود والسود، الذين لم يسببوا لي أية مشاكل على الإطلاق. كل مشاكلي جاءت من البيض غير اليهود. لذلك، لم أكن نازياً بسبب مزاجي أو باختياري، كل المعلمين تقريباً فرضوا الأمر عليّ بكونهم متشابهين للغاية، بأفكارهم المتشابهة، وبإجحافهم في مناهضة الألمان. لقد قرأت أيضاً في مكان ما أن الإنسان إن لم يكن يفهم أو يؤمن بالأفكار التي يتبناها، بطريقة ما يستطيع القيام بعمل رائع في إقناع الآخرين، وهذا أعطاني ميزة مُعتبَرة أمام المعلمين.

«زوّج حصاناً يجر محراثاً مع حصان سباق وستحصل على نسل ليس رقيقاً ولا قوياً. نسل جديد متفوق سينتج من هذا الزواج المثمر!».

Tele: @Arab_Books

«لا توجد حروب جيدة أو حروب سيئة. الشيء السيئ الوحيد في الحرب هو خسارتها. كل الحروب حدثت بسبب ما يدعوه الطرفان قضية جيدة. لكن قضية المنتصر الوحيدة هي التي تُخَلد في التاريخ كقضية نبيلة. لا يهم من يملك الصواب أو الخطأ، ما يهم هو من يملك الجنرالات الأفضل والجيش الأفضل!».

أحببت الأمر. كنت أستطيع اختلاق أي شيء أريد. بالطبع، كنت أُبعد نفسي بالكلام بمثل تلك الطريقة عن فرصتي مع الفتيات أكثر وأكثر. لكنني لم أكن أملك أي فرصة معهن على أية حال. ظننت أنني كنت بخطابي هذا وحيداً في الكلية لكن ذلك لم يكن صحيحاً. بعض الآخرين كانوا يستمعون إلى كلماتي. في إحدى الأيام، وأنا أسير إلى حصة الشؤون الإخبارية الحالية، سمعت خطوات أحدهم يسير خلفي. لم أحب على الإطلاق أن يسير أحدهم خلفي، ليس بهذا القرب. لذا التفت بينما كنت أسير. كان رئيس اتحاد الطلبة، بويد تايلور. كان مشهوراً جداً بين كل الطلبة، الرجل الوحيد في تاريخ الكلية الذي تم انتخابه للرئاسة مرتين.

«مرحباً تشيناسكي، أريد الحديث معك».

لم أكن أهتم كثيراً بأمر بويد، كان الشاب الأمريكي المثالي الوسيم الذي ضمن مستقبله، دائماً يرتدي الملابس المناسبة، عفوي، سلس، وكل شعرة من شنبه الأسود مهذبة بإتقان. لا أدري ماذا كان الشيء الذي يجذب الطلبة إليه. بدأ يسير بجانبي.

«ألا تظن أن هذا سيبدو سيئاً بالنسبة لك يا بويد، أعني السير بجانبي؟».

«سأقلق بشأن ذلك لاحقاً».

«حسناً، ماذا هناك؟».

«تشيناسكي، هذا الأمر بيني وبينك فهمت؟».

Tele: @Arab_Books

«بالطبع».

«اسمع، أنا لا أؤمن بما يقف له الأشخاص مثلك أو بما تحاولون فعله».

«حسناً؟».

«لكنني أريدك أن تعرف أنكم إن فزتم هنا وفي أوروبا فسأكون مستعداً للانضمام إليكم».

لم أستطع إلا أن أنظر إليه وأضحك. وقف هناك بينما استمررت في السير. لا تثق أبداً برجل يملك شنباً مهذباً بإتقان...

آخرون كان يستمعون إليّ أيضاً. وأنا خارج من حصة الشؤون الإخبارية الحالية رأيت بولدي واقفاً هناك مع فتى طوله خمسة أقدام وعرضه ثلاثة أقدام. كان رأس الفتى غارقاً في كتفيه، كان له رأس مدوَّر، أذنان صغيرتان، شعر قصير، عينان صغيرتان مثل حبّتَي بازلاء، وفما رطبا مدورا صغيرا. مجنون، فكرت، قاتل.

«مرحباً يا هانك!» صاح بولدي. سرت نحوه، «لقد ظننت أننا انتهينا يا لاكروس!».

«أوه لا! هناك المزيد من الأشياء العظيمة التي يمكن القيام بها!».

اللعنة، بولدي كان واحداً منهم أيضاً!

لماذا استطاعت حركة النسل المتفوق جذب المعاقين ذهنياً وجسدياً فقط؟

«أريدك أن تقابل إيغور ستيرنوف».

مددت يدي وصافحته. قام بعصر يدي بكل قوته. آلمني ذلك حقاً.

«اتركها»، قلت، «أو سأحطم لك رقبتك اللعينة المفقودة!».

ترك إيغور يدي.

Tele: @Arab_Books

«أنا لا أثق بالرجال الذين يصافحون بضعف. لماذا تصافح بضعف هكذا؟».

«أنا ضعيف اليوم. لقد أحرقوا التوست على الفطور وعلى الغداء أرقت حليبي بالشوكلاتة».

التفت إيغور إلى بولدي. «ما خطب هذا الشخص؟».

«لا تقلق بشأنه. لديه طرقه الخاصة».

نظر إيغور إليّ مجدداً.

«جدي كان من الروس البيض. خلال الثورة الحمر قتلوه. لا بدّ لي أن أنتقم له من أولئك الملاعين!».

«حسناً».

بعدها أتى شخص آخر نحونا. «مرحباً يا فينستر!» صاح بولدي.

تقدم إلينا. تصافحنا. صافحته بطريقة ضعيفة. لم أحب مصافحة أيادي الناس. اسم فينستر الأول كان بوب. كان يوجد لقاء في بيت ما في غليندايل، حزب «الأمريكيون من أجل أمريكا». فينستر كان ممثل الكلية. رحل فينستر. انحنى بولدي عليّ وهمس لي في أذني، «إنهم نازيون!».

إيغور كانت لديه سيارة وغالوناً كاملاً من شراب الرمّ. التقينا أمام منزل بولدي، مرر إيغور الزجاجة. شراب جيد، لقد حرق أغشية الحلق حقاً، إيغور كان يقود سيارته مثل دبابة، مباشرة خلال كل الإشارات الحمراء. كان الناس يزمّرون له ويدوسون على الفرامل وهو كان يلوّح بمسدس أسود مزيف صوبهم.

«يا إيغور»، قال بولدي، «أَرِ هانك مسدسك».

كان إيغور يقود السيارة. بولدي وأنا كنا في الخلف. مرر إيغور المسدس إليّ. نظرت إليه.

Tele: @Arab_Books

«إنه رائع!» قال بولدي، «لقد نحته بالكامل من الخشب ودهنه بورنيش الأحذية الأسود. يبدو حقيقياً، أليس كذلك؟».

«أجل»، قلت، «حتى أنه قام بثقب حفرة في فوهة المسدس!» أعدت المسدس لإيغور، «رائع جداً»، قلت.

أعطاني زجاجة الرمّ. أخذت رشفة طويلة ومررت الزجاجة لبولدي. نظر إليّ وقال، «يحيا هتلر!».

كنا آخر من وصلوا. كان منزلاً جميلاً كبيراً. استقبلنا فتى بدين مبتسم أمام الباب، بد كأنه أمضى حياته كله يأكل الكستناء بالقرب من النار. والداه لم يكونا في المنزل. كان اسمه لاري كينري. تبعناه عبر المنزل الكبير وأسفلاً إلى دَرج مظلم طويل. كل ما كان أمكنني رؤيته هو كتفا كيرني ورأسه. كان بالتأكيد شخصاً مرتاحاً ويملك كل شيء وبدا أنه أكثر تعقلاً من بولدي، إيغور أو أنا. ربما سيكون هناك شيء ما لتعلمه هنا.

بعدها وجدنا أنفسنا في القبو. وجدنا بعض الكراسي. أومأ فينستر لنا. كان هناك سبعة آخرون لم أكن أعرفهم. كان يوجد مكتب على منصة مرتفعة عن مستوى الكراسي. سار لاري إليها ووقف وراء المكتب. على الحائط وراءه كان يوجد علم أمريكي كبير الحجم. وقف لاري معتدلاً وواثقاً بنفسه.

«نحن سنقوم الآن بالتعهد لعلم الولايات المتحدة الأمريكية!».

يا إلهي! فكرت، الآن أنا في المكان الخطأ حقاً! وقفنا كلنا وقمنا بالتعهد، لكنني توقفت بعد «أنا أتعهد لـ...» ولم أقل لأي شيء تعهدت.

جلسنا بعد ذلك. بدأ لاري بالحديث من وراء المكتب. شرح أنه بمناسبة أن هذا هو الاجتماع الأول لنا، سيكون هو الرئيس. وبعد

اجتماعين أو ثلاثة، بعد أن نتعرف على بعضنا البعض، سيتم انتخاب رئيس جديد لو أردنا ذلك، لكن الآن. . .

«نحن نواجه هنا، في أمريكا، تهديدين على حريتنا. نواجه خطر الوباء الشيوعي، وهيمنة السود. في معظم الأحيان يعملان يداً بيد. ونحن الأمريكيين الحقيقيين سنجتمع هنا لمحاولة التصدي لهذا الوباء، هذا الخطر. لقد تمادى الأمر إلى أن أصبحت الفتاة البيضاء المحترمة لا يمكنها أن تسير في الشوارع دون أن يتعرض لها رجل أسود بالكلام!».

نهض إيغور، «علينا أن نقتلهم!».

«الشيوعيون يريدون أن يقسموا الثروة التي عملنا من أجلها لوقت طويل، التي عمل من أجلها آباؤنا، وآباؤهم قبلهم. الشيوعيون يريدون أن يعطوا أموالنا لكل رجل أسود، متشرد، شاذ، قاتل ومتحرش بالأطفال يسير في شوارعنا!».

«علينا أن نقتلهم!».

«يجب أن يتم إيقافهم!».

«سنتسلح!».

«أجل، سنتسلح! وسنجتمع هنا ونصوغ خطة عظيمة لإنقاذ أمريكا!».

صفق الأتباع. اثنان أو ثلاثة منهم صاحوا، «يحيا هتلر!» ثم حان وقت «التعرف على بعضنا البعض».

مرر لاري زجاجات البيرة الباردة ووقفنا هناك في مجموعات صغيرة نتحدث، لم نقل الكثير، إلا أننا توصلنا إلى اتفاق عام وهو أننا نحتاج إلى ميدان تدريب على السلاح لنصبح خبراء في استعمال أسلحتنا عندما يحين الوقت الموعود.

عندما عدنا إلى منزل إيغور، لم يكن والداه في المنزل أيضاً،

Tele: @Arab_Books

أخذ إيغور مقلاة ووضع أربعة مكعبات من الزبدة وبدأ في تذويبها. أخذ الرمّ ووضعه في وعاء كبير وقام بتسخينه.

«هذا ما يشربه الرجال»، قال، ثم نظر إلى بولدي، «هل أنت رجل يا بولدي؟».

بولدي كان ثملاً. وقف واثقاً بنفسه، يداه على جانبيه. «أجل، أنا رجل!» ثم بدأ يبكي. انهمرت الدموع على وجهه. «أنا رجل!» وقف واثقاً بنفسه وصاح، «يحيا هتلر!» والدموع ظلت تنهمر على وجهه.

نظر إيغور إليّ، «هل أنت رجل؟».

«لا أعرف. هل الرمّ جاهز؟».

«أنا لست متأكداً أنني أثق بك. أنا لست متأكداً أنك واحد منا. هل أنت جاسوس؟ هل أنت عميل للأعداء؟».

«لا».

«هل أنت واحد منا؟».

«لا أعرف. لكن هناك شيء واحد أنا متأكد منه».

«ما هو؟».

«أنك لا تروق لي. هل الرمّ جاهز؟».

«أترى؟» قال بولدي، «قلت لك إنه شرس!».

«سنرى من هو أشرس واحد هنا قبل نهاية الليلة»، قال إيغور.

سكب إيغور الزبدة الذائبة على الرمّ المغلي، ثم أطفأ النار وحرك الخليط. لم يكن يروق لي لكنه بالتأكيد كان مختلفاً وذلك أعجبني. بعدها وجد إيغور ثلاث كؤوس فارغة، كبيرة، زرقاء، بكتابة روسية عليها. سكب الرمّ المزبد في الكؤوس. «أوكي»، قال، «هيا اشربوا!».

Tele: @Arab_Books

«اللعنة، وأخيراً حان الوقت»، قلت وشربت الكأس. كان الرمّ ساخناً قليلاً وكريهاً.

شاهدت إيغور وهو يشرب كأسه. رأيت عينيه الصغيرتين مثل حبّتَي بازلاء من على حافة كأسه. استطاع أن يشربه، قطرات من الرمّ المزبد تسربت من زوايا فمه الغبي. كان ينظر إلى بولدي. بولدي كان واقفاً يحدق في كأسه. كنت أعرف من الأيام القديمة أن بولدي لم يكن لديه حبٌّ غريزي للشراب.

حدق إيغور في بولدي. «اشرب!».

«نعم، إيغور، نعم...».

رفع بولدي الكأس الزرقاء. كان يواجه وقتاً صعباً. كان الشراب ساخناً جداً بالنسبة له ولم يكن يحب طعمه. نصف الكأس تدفق من خارج فمه على ذقنه ومن ثم على قميصه. وقعت كأسه الفارغة على أرضية المطبخ.

وقف إيغور وجهاً لوجه أمام بولدي. «أنت لست رجلاً!».

«أنا رجل يا إيغور! أنا رجل!».

«أنت كاذب!».

صفع إيغور بمؤخرة يده بولدي وبينما ارتد وجه بولدي من جهة لأخرى صفعه مرة ثانية على الجهة الثانية من وجهه.

وقف بولدي منتبهاً ويداه متيبستان على جانبيه.

«أنا... رجل...».

استمر إيغور في الوقوف أمام بولدي. «سأجعل منك رجلاً!».

«أوكي»، قلت لإيغور، «اتركه وشأنه!».

غادر إيغور المطبخ. سكبت لنفسي كأساً أخرى من الرمّ. كان شراباً بغيضاً ولكن لم يكن يوجد غيره.

Tele: @Arab_Books

عاد إيغور. كان يحمل مسدساً في يده، مسدساً حقيقياً، مسدساً سداسي الطلقات.

«الآن سنلعب لعبة الروليت الروسية»، أعلن إيغور.

«مؤخرة أمك وليس روليت روسية!» قلت.

«أنا سألعب يا إيغور!» قال بولدي، «سألعب! أنا رجل!».

«حسناً»، قال إيغور، «هناك طلقة واحدة في المسدس. سأدوّر الأسطوانة وأُعطيك المسدس».

دوّرَ إيغور الأسطوانة وأعطى المسدس لبولدي. أخذه بولدي ووجهه إلى رأسه. «أنا رجل... أنا رجل... سأفعلها!» بدأ بالبكاء مجدداً. «سأفعلها... أنا رجل...». ترك بولدي فوهة المسدس تنزلق بعيداً عن صدغه. وجَّه المسدس بعيداً عن جمجمته وضغط على الزناد. صدَرَ صوت طقطقة فقط.

أخذ إيغور المسدس، دوّرَ الأسطوانة وأعطاه لي. رددته له.

«أنت أولاً». قلت له.

دوّرَ إيغور الاسطوانة، أمسك بالمسدس عالياً جهة الضوء ونظر خلال الأسطوانة. بعدها وضع المسدس على صدغه وضغط على الزناد. صدَرَ صوت طقطقة فقط.

«يا له من أمر عظيم!» قلت، «لقد تفقّدت الأسطوانة لترى أين كانت الرصاصة».

دوّرَ إيغور الأسطوانة مجدداً وأعطاني المسدس. «دورك...».

رددت له المسدس. «احشره في مؤخرتك!» قلت له.

سرت حيث كان الرمّ وسكبت لنفسي كأساً أخرى. وبينما كنت أفعل ذلك سمعت صوت إطلاق النار. نظرت لأسفل. كانت بالقرب من قدمي، على أرضية المطبخ، كانت حفرة رصاصة. التفت، «لو قمت بتوجيه ذلك الشيء إليّ مجدداً سأقتلك يا إيغور!».

Tele: @Arab_Books

«حقاً؟».

«أجل، حقاً!».

وقف هناك مبتسماً. بدأ يرفع المسدس نحوي ببطء. انتظرت. ثم أنزل المسدس. حدث ما يكفي لهذه الليلة. ذهبنا للسيارة بعدها وأوصلنا إيغور إلى منازلنا. لكن قبلها توقفنا في منتزه ويستلايك وقمنا بتأجير قارب وذهبنا إلى البحيرة لنكمل باقي الرمّ. مع آخر كأس، قام إيغور بتلقيم المسدس وأطلق النار على أرضية القارب وثقبه. كنا نبعد عن الشاطئ مسافة أربعين ياردة، اضطررنا للسباحة طوال طريق العودة...

كان الوقت متأخراً عندما وصلت إلى المنزل. تسلقت شجيرة التوت البري ودخلت إلى المنزل من خلال نافذة غرفة نومي. نزعت ملابسي وذهبت إلى السرير بينما كان أبي يشخر كعادته في الغرفة الأخرى.

- ٥٣ -

كنت عائداً إلى المنزل من الكلية على طريق تلة ويستفيو. لم أملك أي كتب لأحملها معي. نجحت في امتحاناتي عن طريق استماعي للمحاضرات في الفصل وبتخمين الأجوبة. لم يكن عليّ الدراسة من أجل امتحاناتي. كنت أستطيع الحصول على درجاتي المتوسطة. وأنا أنزل التلة اصطدمت بشبكة عنكبوت ضخمة. دائماً ما حدث لي ذلك. وقفت هناك وأنا أنزع عنّي الشبكة الدبقة بينما كنت أبحث عن العنكبوت. ثم رأيتها: عنبكوتاً سوداء بدينة ابنة قحبة. دهستها. تعلمت أن أكره العناكب. عندما سأذهب إلى الجحيم ستلتهمني إحدى العناكب.

Tele: @Arab_Books

طوال حياتي وأنا أصطدم بشبكات عناكب أثناء سَيري في ذلك الحي بالذات، هاجمتني الطيور السوداء، عشت مع أبي. كل شيء كان كئيباً بشكل أبدي، مغموماً، ملعوناً. حتى الطقس كان وقحاً وعدوانياً. كان إما حاراً غير محتمل على مدار أسابيع، أو ممطراً، وعندما أمطرت فقد كان ذلك لخمسة أو ستة أيام. تجمعت المياه في فناءات المنازل وتدفقت إلى داخلها. أياً كان ذلك الذي خطط نظام الصرف كان على الأرجح قد دُفع له جيداً على غبائه في مثل هذه الأمور.

وشؤوني الخاصة كانت سيئة، موحشة مثل اليوم الذي ولدت فيه. الفرق الوحيد هو أنني الآن أستطيع الشرب بين الفينة والأخرى، لكن ليس بالشكل الكافي. الشراب كان الشيء الوحيد الذي يمنع الرجل من الشعور أنه مشدوه ودون جدوي للأبد. كل شيء آخر ظل يأخذ ويأخذ فحسب، ممزقاً الرجل إرباً إرباً. ولا شيء كان مثيراً للاهتمام، لا شيء. الناس كانوا محافظين وحذرين، كلهم سيان. وكان عليّ أن أعيش مع هؤلاء الحمقى لبقية حياتي، فكرت في نفسي. يا إلهي! كل فتحات المؤخرات هذه والأعضاء الجنسية والأفواه والآباط. إنهم يتبرزون ويدردشون وكلهم كانوا مملين مثل روث الحصان. الفتيات بدَوْنَ جميلات من بُعد، الشمس تضيء خلال فساتينهن، خلال شعورهن. لكن عندما تقترب منهن وتستمع إلى عقولهن تتحدث من خلال أفواههن، تشعر كأنك تحفر تحت تلة وتختبئ هناك برشاش تومي. كان من المؤكد أنني لن أصبح سعيداً أبداً، أو متزوجاً، لن يمكنني أبداً أن أنجب الأطفال. اللعنة، حتى أنني لا أستطيع الحصول على عمل كغاسل صحون.

ربما سأصبح سارق مصارف. شيئاً لعيناً ما. شيئاً يملك وهجاً، ناراً. كنت تملك فرصة واحدة. لماذا تُصبح منظف نوافذ؟

Tele: @Arab_Books

أشعلت سيجارة وسرت لمسافة أكثر أسفل التلة. هل كنت أنا الشخص الوحيد الذي يلهيه هذا المستقبل بلا فرصة؟

رأيت عنكبوتاً أخرى من تلك العناكب السوداء الكبيرة. كانت على ارتفاع وجهي، في شبكتها، على طريقي مباشرةً. أخذت سيجارة ووضعتها مقابلها. اهتزت الشبكة الهائلة ووقعت على الأرض بينما قفزت العنكبوت، وارتعدت أغصان الأجمة. قفزت العنكبوت من الشبكة لتسقط على الرصيف. القتلة الجبناء، كلهم جميعاً. دهستها بحذائي. يوم مثمر، لقد قتلت عنكبوتين، لقد أخللت بتوازن الطبيعة - الآن سنُلتهم جميعاً من قبل الحشرات والذباب.

سرت مسافة أكثر أسفل التلة، كنت بالقرب من نهايتها عندما بدأت أجمة كبيرة بالاهتزاز. الملك العنبكوت قدمَ من أجلي. خطوت خطوة كبيرة لمقابلته.

قفزت أمي من وراء الأجمة. «هنري، هنري، لا تعد إلى المنزل، لا تعد إلى المنزل، والدك سيقتلك!».

«لماذا سيفعل ذلك؟ أستطيع التغلب عليه».

«لا، إنه غاضب! هنري! لا تعد إلى المنزل، سيقتلك! لقد انتظرتك هنا لساعات!».

عينا أمي كانتا مفتوحتين على مصراعيهما بسبب الخوف، كانتا جميليتن، كبيرتين وبنيتين.

«ماذا يفعل في المنزل في مثل هذا الوقت المبكر؟».

«لديه صداع، فأخذ باقي اليوم عطلة!».

«لقد ظننت أنك تعملين، أنك وجدت وظيفة جديدة؟» كانت قد حصلت على عمل كمدبرة منزل.

«لقد أتى وأخذني! إنه غاضب! سيقتلك!».

Tele: @Arab_Books

«لا تقلقي يا أمي، إذا قام بالعبث معي فسأركل مؤخرته اللعينة! أعدك!».

«هنري، لقد وجد قصصك القصيرة وقرأها!».

«لم أسأله قط أن يقرأها!».

«لقد وجدها في الدُّرج! قرأها، قرأها كلها!»

كنت قد كتبت عشر أو اثنتي عشرة قصة قصيرة. أعطِ رجلاً آلة كاتبة وسيصبح كاتباً. كنت قد خبأت القصص تحت البطانة الورقية لدُرج ملابسي الداخلية وجواربي.

«حسناً»، قلت، «الرجل العجوز حشر نفسه فيما لا يعنيه فاحترقت أصابعه!».

«لقد قال إنه سيقتلك! قال أن لا ابن له يستطيع كتابة قصص مثل هذه ويعيش معه تحت سقف واحد!».

أخذتُ أمي من ذراعها. «لنذهب إلى المنزل يا أمي، ولنر ماذا سيفعل...».

«هنري، لقد قام برمي كل ملابسك في الفناء الأمامي، كل غسيلك المتسخ، آلتك الكاتبة، حقيبتك وقصصك!».

«قصصي؟».

«أجل، تلك أيضاً...».

«سأقتله!».

ابتعدت عنها وسرت على طول شارع الحادي والعشرين باتجاه جادة لونغوود. تبعتني.

«هنري، هنري، لا تذهب إلى هناك!».

المرأة المسكينة كانت تصرخ على مؤخرة قميصي.

«اسمع يا هنري، اذهب للبحث عن غرفة أخرى في مكان ما!

Tele: @Arab_Books

لدي عشرة دولارات يا هنري! خذ هذه العشرة دولارات وأجّرْ لنفسك غرفة في مكان ما!».

التفتُّ إليها. كانت تحمل في يدها ورقة العشرة دولارات.

«انسي الأمر!» قلت، «سأرحل فقط».

«هنري! خذ المال! افعل ذلك من أجلي! افعل ذلك من أجل والدتك!».

«حسناً، حسناً...».

أخذت العشرة، وضعتها في جيبي. «شكراً، هذا مال كثير».

«لا بأس يا هنري، أنا أحبك يا هنري، لكن عليك أن تذهب».

ركضت أمامي بينما كنت أسير باتجاه المنزل. ثم رأيت الأمر: كل شيء كان على طول الفناء، كل ملابسي المتسخة والنظيفة، الحقيبة كانت مفتوحة على مصراعيها، الجوارب، القمصان، حبل قديم، كل شيء كان ملقى على الأرض في كل مكان، على الفناء وفي الشارع. رأيت مخطوطات قصصي القصيرة تُطيّرها الرياح، كانوا في المزراب، في كل مكان.

ركضت أمي إلى مدخل السيارات ودخلت المنزل، صرخت وراءها لكي يمكنها سماعي، «قولي له أن يخرج إلى هنا وسأقلتع له رأسه اللعين!».

ذهبتُ وراء مخطوطاتي أولاً. كانت هذه أنذل ضربة من بين كل الضربات التي وُجهت إليَّ. كانت الشيء الوحيد الذي ليس له أي حق في لمسه. وبينما كنت ألتقط الصفحات من المزراب، من الفناء ومن الشارع، بدأت أشعر أنني أفضل. وجدت كل صفحة يمكنني إيجادها، وضعتها في الحقيبة تحت وزن حذائي، ثم قمت بإنقاذ الآلة الكاتبة. لقد خرجت من حقيبتها لكنها بدت في حالة جيدة.

Tele: @Arab_Books

نظرت إلى خِرقي المتناثرة في الأنحاء. تركت غسيلي المتسخ، تركت البيجامات، التي لم تكن إلا زوجاً واحداً من بيجاماته التي أُعطيت لي. لم يكن يوجد الكثير لأقوم بتوضيبه. أقفلت الحقيبة، حملتها مع الآلة الكاتبة وبدأت في السير بعيداً. استطعت رؤية وجهَين ينظران إليّ من وراء الستائر. لكنني نسيت ذلك بسرعة، سرت إلى لونغوود، إلى شارع الحادي والعشرين ومن ثم إلى تلة الويستفيو القديمة. لم يخامرني شعور مختلف عما كنت أشعر به دائماً. لم أكن سعيداً ولا حزيناً، كل شيء بدا كأنه استمرار ما فقط. كنت سآخذ حافلة خط دبليو، آخذ توصيلة، وأذهب إلى أي مكان ما في الداون تاون.

- ٥٤ -

وجدت غرفة في شارع المعبد في مقاطعة الفلبينيين. ثمنها ثلاثة دولارات ونصف لمدة أسبوع، في الدور العلوى، الدور الثاني. دفعت لصاحبة العقار - امرأة شقراء متوسطة العمر - إيجار أسبوع. المرحاض وحوض الاستحمام كانا في الردهة لكن كان هناك حوض غسيل على الأقل للتبول فيه.

في ليلتي الأولى هناك اكتشفت حانة في الدور السفلي على يمين المدخل. أعجبني ذلك. كل ما كان عليّ فعله هو صعود الدّرج لأجد نفسي في المنزل. الحانة كانت مليئة برجال قصار سمر لكن ذلك لم يضايقني. لقد سمعت كل القصص عن الفلبينيين - أنهم كانوا يحبون الفتيات البيض، الشقراوات بالتحديد، أنهم كانوا يحملون خناجر صغيرة، وكونهم جميعاً بنفس الحجم، فسبعة منهم اشتركوا في شراء بدلة باهظة الثمن، بكامل الاكسسوارات، وتبادلوها بينهم كلٌ لليلة

Tele: @Arab_Books

واحدة على مدار الأسبوع. جورج رافت(*) قال في مكان ما إن الفليبنيين يحددون صيحات الموضة. كانوا يقفون في زوايا الشوارع ويدوّرون سلاسل ذهبية، مرة بعد مرة، سلاسل ذهبية رقيقة، طولها سبعة أو ثمانية إنشات، وطول كل سلسلة يشير إلى طول قضيب كل رجل.

كان الساقي فلبينياً.

«أنت جديد هنا، هاه؟» سأل.

«أنا أعيش فوق. أنا طالب».

«الدَّين ممنوع».

وضعت بعض القروش على البار.

«أعطني بيرة ايستسايد واحدة».

عاد ومعه الزجاجة.

«أين يمكن لشخص ما أن يحصل على فتاة؟» سألت.

التقط القروش.

«لا أعرف أي شيء»، قال وسار إلى ماكينة الحساب.

في تلك الليلة الأولى ظللت في الحانة إلى أن أقفلت. لا أحد ضايقني. بعض النساء الشقروات غادرن مع رجال فلبينيين. الرجال كانوا سكّيرين جيدين. جلسوا في مجموعات صغيرة ورؤوسهم قريبة من بعضها البعض. كانوا يتحدثون، ويضحكون بين الفينة والأخرى بهدوء. عندما أقفلت الحانة نهضت لأغادر، قال لي الساقي، «شكراً». لم يكن هذا يحدث في الحانات الأمريكية، ليس لي على الأقل. أحببت وضعي الجديد. كل ما احتجت إليه هو المال.

(*) جورج رافت: ممثل أمريكي اشتهر في أدوار رجال العصابات في الأفلام الأمريكية في ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين.

Tele: @Arab_Books

قررت مواصلة الذهاب إلى الكلية. هذا سيجعلني أقوم ببعض الأمور خلال وقت النهار. صديقي بيكر ترك الدراسة. ولم يكن هناك من أحد أهتم بأمره إلا ربما معلم الأنثروبولوجيا، شيوعي معروف. لم يكن يُعلم الكثير من الأنثروبولوجيا. كان رجلاً ضخماً، عفوياً وظريفاً.

«الآن الطريقة لشَوي شريحة لحم بورترهاوس»، قال للفصل، «هي أن تجعل المقلاة حمراء ساخنة، تشرب كأساً من الويسكي وثم تضع طبقة رقيقة من الملح في المقلاة. تضع شريحة اللحم بعدها وتتركها تحترق لكن ليس لفترة طويلة. ثم تقلبها، تحرق الجهة الأخرى، ثم تشرب كأساً أخرى من الويسكي، تُخرج شريحة اللحم بعدها وتأكلها فوراً!».

في إحدى المرات عندما كنت مستلقياً على عشب فناء الحرم الجامعي أتى نحوي وتوقف وتمدد بجانبي.

«تشيناسكي، أنت لا تصدق كل هراء النازية هذا الذي تقوم بنشره، أليس كذلك؟».

«لن أقول لك. هل تصدق ترهاتك؟».

«بالطبع، أصدقها».

«حظاً جيداً».

«تشيناسكي، أنت لستَ إلا مجرد وغد!».

ثم نهض، نفض العشب والأوراق من على ملابسه وسار مبتعداً...

كنت في هذا المكان في شارع المعبد لبعض الأيام فقط عندما وجدني جيمي هاتشر. طرقَ على الباب في إحدى الليالي وفتحت وكان هناك جيمي مع شخصين آخرَين، زميلَي عمل في مصنع الطائرات، أحدهم يدعى ديلمور، الآخر اسمه (فاستشوز - Fastshoes).

«لماذا يدعى فاستشوز؟».

«عندما تقرضه المال، ستعرف».

«هيا، ادخلوا. . . كيف بحق السماء استطعت إيجادي؟».

«والداك قاما باستخدام محقق خاص للتحرّي عن مكانك».

«اللعنة، إنهم يعرفون كيف يسرقون البهجة من حياة رجل».

«ربما يشعران بالقلق؟».

«لو كانا كذلك، كل ما عليهما فعله هو إرسال المال».

«إنهما يدّعيان أنك ستستخدم المال لشراء الشراب».

«إذاً دعهما يقلقان. . .».

دخل الثلاثة وجلسوا هنا وهناك، على السرير وعلى الأرضية. كان بحوزتهم خُمس زجاجة ويسكي وبعض الأكواب الورقية. صبّ جيمي لنا جميعاً.

«إنّ لديك مكاناً جميلاً».

«إنه رائع. أستطيع رؤية مبنى البلدية في كل مرة أُخرج فيها رأسي من النافذة».

أخرج فاستشوز أوراق لعب من جيبه. كان يجلس على السجادة. نظر إليّ.

«هل تقامر؟».

«كل يوم. لديك ورق مغشوش؟».

«يا ابن القحبة!».

«لا تشتمني وإلا علّقت شعرك المستعار على رف الموقد!».

«بحق يا رجل، هذه الأوراق ليست مغشوشة!».

«كل ما أقوم بلعبه هو البوكر ولعبة ٢١. ما هو سقف المشاركة؟».

«دولاران».

Tele: @Arab_Books

«سنتبادل توزيع الأوراق».

بدأت في التوزيع وطلبت عرض الورق، أمر اعتيادي. لم أكن أحب الأوراق المفاجئة، عندها سيتطلب الأمر الكثير من الحظ. قطعتان نقديتان زيادة على الرهان. صبّ جيمي جولة أخرى من الشراب بينما وزعت الأوراق.

«ماذا تعمل لكَسب المال يا هانك؟».

«أكتب الواجبات لأشخاص آخرين».

«عبقري!».

«نعم...».

«ألم أقل لكما»، قال جيمي، «قلت لكما إن هذا الشخص عبقري!».

«أجل»، قال ديلمور. كان على يميني. فتح اللعب.

«أراهن بقطعتين»، قال. راهنا بنفس المبلغ.

«ثلاث أوراق»، قال ديلمور.

«واحدة»، قال جيمي.

«ثلاث»، قال فاستشوز.

«سأمتنع»، قلت.

«أراهن بقطعتين»، قال ديلمور.

لم ينسحب أي أحد منا من الجولة ومن ثم قلت: «سأزيد على رهان قطعتيك بدولارين!».

انسحب ديلمور، وانسحب جيمي. نظر إليّ فاستشوز. «ماذا ترى أيضاً بجانب مبنى البلدية عندما تُخرج رأسك من النافذة؟».

«العب بيدك فحسب. لم آت إلى هنا لأدردش عن التمارين الرياضية أو مناظر المدينة».

«حسناً»، قال، «أنا أنسحب».

Tele: @Arab_Books

غرفت كومة المال بيديّ وجمعت أوراقهم وظللت أنظر لأسفل.

«ماذا كانت أوراقك؟» سأل فاستشوز. «ادفع لترى أو ابك للأبد»، قلت له وأنا أضع أوراقي في أوراق اللعب وأقوم بخلطها معاً، وأنا أشعر مثل غايبل قبل أن يُضعفه الرب في وقت الزلزال في فيلم سان فرانسيسكو.

انتقل توزيع الورق من يدي لكنني ظللت محظوظاً معظم الوقت.

كان يوم دفع الرواتب في مصنع الطائرات. لا تجلب الكثير من المال حيث يعيش رجل فقير. يمكنه فقط خسارة القليل الذي يملكه. ومن ناحية أخرى من الممكن حسابياً أن يربح ربما كل ما جلبته معك. ما يجب عليك أن تفعله، في مسألة المال والفقير، هي أن لا تجعلهما أبداً يقتربان من بعضهما البعض.

بطريقة ما شعرت أن هذه الليلة هي ملكي. فرغَ جيب ديلمور سريعاً ورحل.

«يا رفاق»، قلت، «لديّ فكرة. لعبة الأوراق بطيئة جداً. ليلقِ كل واحد منا عملة نقدية في الهواء، في كل مرة الرهان عشرة دولارات، وصاحب الوجه المختلف للعملة هو الرابح».

«أوكي»، قال جيمي.

«أوكي»، قال فاستشوز.

نفد الويسكي. بدأنا في شرب زجاجة نبيذ رخيص.

«حسناً»، قلت، «ارميا العملة عالياً! أمسكاها براحة اليد. وعندما أقول اكشفها، سنرى من الرابح!».

رميناها عالياً. أمسكنا بها. «اكشفا!» قلت.

كنت صاحب وجه العملة المختلف. ٢٠ دولاراً، هكذا بكل سهولة. وضعت العشرَتين في جيبي.

«ارميا!» قلت. فعلنا. «اكشفا!» قلت. ربحت مجدداً.

Tele: @Arab_Books

«ارميا!» قلت.

«اكشفا!» قلت. فاستشوز ربح.

ربحت المرة التالية. ثم ربح جيمي. ثم ربحت في المرتين التاليتين.

«انتظرا»، قلت، «عليّ أن أتبول!»

ذهبت إلى حوض الغسيل وتبولت. أنهينا زجاجة النبيذ. فتحت باب الخزانة. «لديّ زجاجة نبيذ أخرى هنا»، قلت لهما.

أخذت كل الأوراق النقدية من جيبي ورميتها داخل الخزانة. خرجت، فتحت الزجاجة، سكبت كل الكؤوس.

«اللعنة»، قال فاستشوز وهو ينظر إلى محفظته، «أنا شبه مفلس».

«أنا أيضاً»، قال جيمي.

«أتساءل من لديه المال؟» سألت. لم يكونا سكّيرين جيدين. مزج الويسكي بالنبيذ كان سيئاً بالنسبة لهما. ترنّحا قليلاً.

سقط فاستشوز على خزانة الملابس مسقطاً منفضة السجائر على الأرض. انكسرت إلى نصفين.

«التقطها»، قلت.

«لن ألتقطها، تباً لذلك!» قال.

«قلت لك، التقطها!».

«لن ألتقطها، تباً لذلك!».

تقدم جيمي والتقط منفضة السجائر المكسورة.

«اخرجا من هنا!» قلت.

«لا تستطيع أن ترغمنا على ذلك!» قال فاستشوز.

«حسناً»، قلت، «افتح فمك مرة ثانية فقط، قل كلمة واحدة ولن تستطيع أن تفصل رأسك عن حفرة مؤخرتك!».

«هيا، لنذهب يا فاستشوز»، قال جيمي.

Tele: @Arab_Books

فتحت الباب وخرجا منه مترنّحين. لحقت بهما أسفل الردهة إلى نهاية الدَّرج. وقفنا هناك.

«هانك»، قال جيمي، «سأراك مرة ثانية، اعتن بنفسك».

«حسناً، يا جيم...».

«اسمع»، قال لي فاستشوز، «أنت...».

لكمته لكمة يمنى مباشرة على فمه. سقط أسفل الدَّرج، مرتطماً وملتوياً. كان حجمه مثل حجمي تقريباً، ستة أقدام وثمن، وكان يمكنك سماع صوت وقوعه عن بُعد حيّ كامل. فلبينيان وصاحبة العقار الشقراء كانوا في صالة المدخل. نظروا إلى فاستشوز متمدداً هناك لكنهم لم يتحركوا خطوةً نحوه.

«لقد قتلته!» قال جيمي. ركض على الدَّرج وقلبَ فاستشوز. كان أنفه ينزف وفمه أيضاً. أمسك جيمي برأسه. نظر جيمي إليّ. «ما فعلته لم يكن صائباً يا هانك...».

«نعم، وماذا ستفعل؟».

«أعتقد»، قال جيمي، «أننا سنعود إلى هنا وننال منك...».

«انتظر لدقيقة»، قلت.

ذهبت إلى غرفتي وسكبت لنفسي كأس نبيذ. لم تعجبني كؤوس جيمي الورقية فكنت أشرب من برطمان جيلي مستعمل. كان ملصق الشعار الورقي ما يزال على جانب البرطمان، ملطخاً بالقذارة والنبيذ. خرجت بعدها مجدداً.

بدأ فاستشوز يصحو. كان جيمي يساعده على النهوض على قدميه. ثم وضع ذراع فاستشوز على رقبته. كانا يقفان هناك.

«الآن، ماذا قلت بالضبط؟» سألت.

«أنت رجل قبيح يا هانك، يجب أن يعلمك أحدهم درساً».

«تقصد أنني لست وسيماً؟».

Tele: @Arab_Books

«أعني أنك تتصرف بقبح. . .».

«خذ صديقك من هنا قبل أنزل إلى هناك وأُنهيه مرةً واحدة!».

رفع فاستشوز رأسه الدامي. كان يرتدي قميص هاواي عليه أزهار، إلا أن الكثير من الأزهار الآن كانت ملطخة بالدم.

نظر إليّ. بعدها تكلم. بالكاد استطعت سماعه. لكنني سمعته. قال: «سأقتلك. . .».

«نعم»، قال جيمي، «سننال منك!».

«حقاً يا أوغاد؟» صرخت، «لن أذهب إلى أي مكان! في أي وقت تريدون أن تجدوني فيه سأكون في الغرفة رقم ٥! سأكون في انتظاركما! الغرفة رقم ٥، فهمتما؟ والباب سيكون مفتوحاً!».

رفعت برطمان الجيلي المليء بالنبيذ وشربته كله. ثم ألقيت برطمان الجيلي عليهما. رميت برطمان ابن القحبة ذاك بقوة. لكن تصويبي كان سيئاً. ضرب البرطمان جانب حائط الدَّرج، ارتد واندفع إلى صالة المدخل ما بين صاحبة العقار وصديقيها الفلبينيّين.

مَالَ جيمي بفاستشوز باتجاه باب المخرج وبدأ يسير به ببطء. كانت مسيرة مملة مؤلمة. سمعت فاستشوز مجدداً، نصف متأوه، نصف منتحب، «سأقتله. . . . سأقتله. . .».

بعدها استطاع جيمي إخراجه من المدخل. وهكذا رحلا. صاحبة العقار الشقراء والرجلان الفلبينيان كانوا لايزالون واقفين في صالة المدخل، ينظرون إليّ. كنت حافي القدمين، وكانت قد مرت خمسة أو ستة أيام عليّ دون حلاقة. احتجت إلى حلاقة شعر. كنت أمشط شعري مرة واحدة، في الصباح فقط، ولم أزعج نفسي به مرة أخرى طوال اليوم. معلم حصة الجمنازيوم كان دائماً يلاحقني بسبب طريقة وقوفي: «اسحب كتفيك للوراء! لماذا تنظر أسفلاً إلى الأرض؟ ماذا يوجد هناك؟».

Tele: @Arab_Books

لم أكن أتبعُ أية موضة أو صيحة. تي-شيرتي الأبيض كان مبقعاً بالنبيذ، محترقاً بالعديد من السجائر وحفر السيجار، وملطخاً بالدم والقيء. كان صغيراً جداً عليّ، ومرتفعاً ومظهراً بطني وسرتي. وسروالي كان صغيراً جداً أيضاً. كان ضيقاً عليَّ وقصيراً ويقع فوق كاحليّ بالضبط.

وقف ثلاثتهم ونظروا إليّ. نظرت أسفلاً إليهم. «مرحباً يا أصدقاء، هيا تفضلوا اصعدوا وتناولوا معي القليل من الشراب!».

نظر إليّ الرجلان الصغيران وابتسما. صاحبة العقار، من نوع كارول لومبارد(*) لكن شاحبة، نظرت إليّ ببرود. كانوا يدعونها بالسيدة كانساس. هل تكون مغرمة بي؟ كانت ترتدي كعباً عالياً وردي اللون وفستاناً لامعاً مطرزاً بقطع حديدية سوداء اللون. رقائق مضيئة صغيرة أومضت نحوي. نهداها كانا شيئاً لا يمكن لشخص فانٍ أن يراه على الإطلاق، كانا للملوك فقط، للديكتاتوريين، للحكام، للفلبينيين.

«هل يملك أي أحد منكم سيجارة؟» سألت، «لقد نفدت السجائر من عندي».

الشخص الأسمر القصير على أحد جوانب السيدة كانساس قام بحركة بسيطة بإحدى يديه باتجاه جيب الجاكيتة التي كان يرتديها، فطارت في هواء صالة المدخل علبة سجائر كَمَل. وبمهارة عالية التقط علبة السجائر بيده الأخرى. وبنقرة خفيّة بأحد أصابعه أسفل العلبة ظهرت سيجارة، طويلة، حقيقية، وحيدة ومكشوفة، وجاهزة للأخذ.

«أوه، تباً، شكراً»، قلت.

(*) كارول لومبارد: ممثلة أمريكية ذاع صيتها بسبب أدوارها المميزة في الثلاثينات من القرن العشرين.

Tele: @Arab_Books

بدأت بالنزول أسفل الدّرج، فوتُّ درجةً، تمايلت، كنت على وشك السقوط، أمسكت بالدرابزين، عدلت نفسي، أعدت ضبط حواسي، وأكملت النزول على الدّرج. هل كنت ثملاً؟ سرت إلى الرجل القصير الذي يحمل علبة السجائر. انحنيت بشكل طفيف نحوه.

أخذت سيجارة الكَمَل. ثم رميتها في الهواء، أمسكتها، ووضعتها في فمي. صديقي الأسمر ظل خالياً من أية تعابير على وجهه، تلاشت الابتسامة عندما بدأت بنزول الدَّرج. صديقي الأسمر انحنى للأمام، وضع يديه حول شعلة القداحة وأشعل سيجارتي.

سحبت نفساً من السيجارة، وأطلقت الدخان. «اسمعوا، لماذا لا تأتون كلكم إلى شقتي فوق ونتناول بعض كؤوس الشراب؟».

«لا»، قال الرجل القصير الذي أشعل سيجارتي.

«ربما أمكننا أن نمرح قليلاً أو نستمع لبعض موسيقى باخ على مذياعي! أنا مُتعلم، أتعرف ذلك، أنا طالب. . .».

«لا»، قال الرجل القصير الآخر. سحبت نفساً طويلاً من سيجارتي، ثم نظرت إلى شبيهة كارول لومبارد، السيدة كانساس. ثم نظرت إلى صديقيّ.

«إنها لكما. لا أريدها. هي لكما. اصعدوا فقط. سنشرب قليلاً من النبيذ. في الغرفة القديمة الجيدة رقم ٥.»

لم يجيبا. ترنحت قليلاً بينما كان الويسكي والنبيذ يقاتلان من أجل امتلاكي. تركت سيجارتي تتدلى لبعض الوقت على جانب فمي الأيمن بينما نفثت الدخان في الهواء. استمررت في ترك سيجارتي متدلية على جانبي فمي هكذا.

كنت أعرف بأمر الخناجر الصغيرة. في الوقت القصير الذي كنت فيه هنا رأيت حادثتين استعملا فيهما الخنجر الصغير. من نافذتي ذات

Tele: @Arab_Books

ليلة، وأنا أنظر خارجها بتجاه صوت الصفارات، رأيت جثة هناك تحت نافذتي بالضبط على رصيف شارع المعبد، تحت ضوء القمر، تحت عمود ضوء الشارع. المرة الثانية، جثة ثانية. ليالي الخناجر الصغيرة. مرةً شخص أبيض، المرة الثانية واحد منهم. وفي كل مرة، الدم يسير على الرصيف، دم حقيقي، بكل هذه البساطة، يسير على طول الرصيف إلى المزراب، أمكنك رؤيته وهو يسير في المزراب، دون معنى، بعبث... أن كل هذا الدم يمكنه أن يأتي من رجل واحد فقط.

«حسناً يا أصدقائي»، قلت لهم، «لا بأس، سأشرب وحدي».

التفتُّ وبدأت في السير نحو الدَّرج. «سيد تشيناسكي»، سمعت صوت السيدة كانساس. التفت ونظرت إليها محاطةً بصديقيها القصيرين.

«اذهب إلى غرفتك ونَمْ. إذا تسببت في أي ازعاج آخر فسأتصل بمركز شرطة لوس أنجلس».

التفتُّ وبدأت في السير مجدداً نحو الدَّرج. لا حياة في أي مكان، لا حياة في هذه المدينة أو هذا المكان أو في هذا الوجود المرهق...

باب غرفتي كان مفتوحاً. دخلت. كان هنالك ثلث زجاجة نبيذ رخيص متبقية.

ربما هنالك زجاجة أخرى في الخزانة؟ فتحت باب الخزانة. لا توجد زجاجة. لكن كانت هناك أوراق من فئة العشرات والعشرينات في كل مكان. كانت هنالك ورقة من فئة عشرين ملفوفة بين أزواج جواربي القذرة مثقوبة الأصابع، وهناك من رقبة قميص، تدلت ورقة من فئة عشرة، وهنا من على جاكيت قديمة، عشرة أخرى ظهرت من الجيب الجانبي. أغلب المال كان على الأرض.

رفعت إحدى الأوراق، وضعتها في الجيب الجانبي لسروالي، ذهبت إلى الباب، أغلقته وثم أقفلته بالمفتاح، ونزلت أسفل الدَّرج وذهبت إلى الحانة.

- ٥٥ -

بعدها بعدة ليالٍ أتى بيكر. أعتقد أن والديّ أعطياه عنواني أو أنه استطاع الحصول عليه من خلال الجامعة. كنت قد سجلت اسمي وعنواني في قسم التوظيف في الكلية تحت خانة «عامل غير ماهر».

«سأفعل أي شيء نزيه أو أي شيء آخر»، كنت قد كتبت على بطاقتي. لم يتواصل معي أحد.

جلس بيكر على الكرسي بينما سكبت النبيذ. كان يرتدي زيَّ جنود البحرية.

«أرى أنهم استطاعوا جذبك إليهم»، قلت.

«فقدت عملي النقابي. وهذا كل ما تبقى لي».

أعطيته شرابه. «أنت لست وطنياً، أليس كذلك؟».

«لا، اللعنة على ذلك».

«لماذا البحرية؟».

«سمعت بأمر معسكر الجيش. أردت أن أرى إن كنت أستطيع تحمّله للنهاية».

«وفعلت ذلك».

«أجل، فعلت ذلك. يوجد بعض الأشخاص المجانين حقاً هناك. يحدث قتال كل ليلة تقريباً. لا أحد يوقفه. يكادون يقتلون بعضهم بعضاً».

«يعجبني ذلك».

Tele: @Arab_Books

«لماذا لا تنضم؟».

«لا أحب أن أنهض باكراً كل صباح ولا أحب تلقّي الأوامر من الآخرين».

«ماذا تعمل للقمة العيش إذاً؟».

«لا أعرف. عندما أصل إلى آخر قطعة نقود عندي سأذهب إلى حي المتشردين في المدينة وأعيش هناك».

«هناك العديد من الأشخاص غريبي الأطوار هناك».

«إنهم في كل مكان».

سكبت لبيكر كأس نبيذ أخرى.

«المشكلة هي»، قال، «أنه لا يوجد الكثير من الوقت للكتابة».

«أما زلت تريد أن تصبح كاتباً؟».

«بالتأكيد. ماذا عنك؟».

«نعم»، قلت، «لكن الأمر يبدو بلا جدوى حقاً».

«تقصد أنك لست جيداً كفاية؟».

«لا، هم ليسوا جيدين كفاية».

«ماذا تقصد؟».

«تقرأ المجلات؟ أفضل قصص قصيرة في السنة؟ هناك على الأقل العشرات من القصص».

«أجل، أقرأها...».

«تقرأ النيويوركر؟ هاربر؟ الأتلانتك؟».

«أجل...».

«هذا عام ١٩٤٠ وأنت ما زلت تنشر كتابات القرن التاسع عشر، ثقيلة، مدعية، مُرهِقة. إما أن يصيبك صداع وأنت تقرأ هذه القصص أو تجد نفسك نائماً...».

«ما المشكلة؟».

Tele: @Arab_Books

«إنها خدعة، حيلة، لعبة داخلية ما».

«يبدو أنه تم رفضك».

«أنا أعرف أنه سيتم رفضي. لماذا أضيع الطوابع البريدية؟ أحتاج إلى النبيذ».

«سأنال فرصتي يوماً»، قال بيكر، «سترى كتبي على رفوف المكتبات يوماً ما».

«لنتوقف عن الحديث عن الكتابة».

«لقد قرأت كتاباتك»، قال بيكر، «أنت لاذع قليلاً، لكنك تكره كل شيء».

«لنتوقف عن الحديث عن الكتابة».

«الآن أنت تعتبر توماس وولف...».

«اللعنة على توماس وولف! إنه يبدو مثل امرأة عجوز على الهاتف!».

«أوكي، من هو كاتبك المفضل إذاً؟».

«جايمس تاربر».

«كل تفاهات الطبقة المتوسطة الثرية تلك...».

«إنه يعرف أن الجميع مجانين!».

«توماس وولف متواضع...».

«وحدهم الأوغاد يتحدثون حول الكتابة...».

«أتقول إنني وغد؟».

«أجل...».

سكبت له كأس نبيذ أخرى ولي أيضاً. «أنت غبي كونك ارتديت ذلك الزي!».

«تقول إنني وغد والآن تقول لي إنني غبي، اعتقدت أننا صديقان».

Tele: @Arab_Books

«نحن كذلك. أنا فقط أعتقد أنك لا تقوم بحماية نفسك».

«كلما رأيتك، رأيتك تمسك كأس شراب في يدك. أتسمي هذا حماية نفسك؟».

«إنها أفضل طريقة أعرفها. من دون الشراب كنت قطعت رقبتي اللعينة منذ فترة طويلة».

«هذا هراء!».

«هراء يعمل! دعاة ساحة بيرشنغ لديهم ربهم. أنا لديّ دم ربي!».

رفعت كأسي وشربتها كلها.

«أنت فقط تختبئ من الواقع»، قال بيكر.

«لم لا؟».

«لن تصبح كاتباً إن اختبأت من الواقع».

«ما الذي تتحدث عنه؟ هذا ما يفعله الكُتاب».

وقف بيكر.

«عندما تتحدث معي لا ترفع صوتك!».

«ماذا تريدني أن أفعل؟ أرفع قضيبي؟».

«أنت لا تملك واحداً!».

فاجأته بلكمة يمنى غير متوقعة سقطت خلف أذنه. طارت الكأس من يده وترنح بيكر في أرجاء الغرفة. كان بيكر رجلاً قوياً، أقوى مما كنت. اصطدم بعلّاقة الملابس، التفت، فسددت له لكمة يمنى مباشرة على جانب وجهه. ترنح بالقرب من النافذة التي كانت مفتوحة فخفت أن يصطدم بها لأنه ربما كان سيسقط منها مباشرةً إلى الشارع.

استعاد بيكر قواه وهز رأسه ليصحو.

«حسناً إذاً»، قلت، «لنشرب الآن قليلاً. العنف يجعلني أشعر بالغثيان».

«أوكي»، قال بيكر. سار نحوي وحمل كأسه.

Tele: @Arab_Books

أغطية زجاجات النبيذ الرخيص الذي كنت أشربه لم تكن فلينية، كنتَ فقط تلف الغطاء لتفتح الزجاجة. فتحت زجاجة جديدة. رفع بيكر كأسه نحوي وسكبت له. سكبت لنفسي أيضاً ووضعت الزجاجة أرضاً. أفرغ بيكر كأسه. أفرغت كأسي أيضاً.

«لا ضغينة بيننا»، قلت.

«بالطبع لا يا صديقي»، قال بيكر، ووضع كأسه أرضاً. ثم لكمني لكمة يمنى على بطني. انحنيت وبينما كنت أفعل ذلك أمسك بيكر برأسي من الخلف وضربني بركبته على وجهي. نزلت على ركبتيّ، والدم يسيل من أنفي على قميصي.

«اسكب لي كأساً أخرى يا صديقي»، قلت، «لنشرب نخب نهاية هذا القتال».

«انهض»، قال بيكر، «هذا الفصل الأول فقط».

نهضت وتحركت نحو بيكر. تصديت للكمته اليمنى بكوعي، ولكمته لكمة مباشرة قصيرة على أنفه. تراجع بيكر. الآن كلانا يملك أنفاً مُدَمى.

اندفعت نحوه. بدأ كلانا باللكم بعشوائية. أصابتني بعض من لكماته الجيدة. لكمني واحدةً يمنى أخرى جيدة على بطني. انحنيت لكنني استطعت تسديد لكمة علوية على وجهه. أصابته اللكمة. كانت ضربة جميلة، ضربة محظوظة. تراجع بيكر للوراء وسقط على علّاقة الملابس. ضربت مؤخرة رأسه المرآة. تكسرت المرآة إلى قطع. كان مصدوماً. نلت منه. أمسكته من قميصه وسددت له لكمة يمنى خلف أذنه اليسرى. سقط على السجادة وانحنى هناك على أربعة. سرت مترنحاً وسكبت لنفسي كأساً.

«بيكر»، قلت له، «أركلُ المؤخرات هنا حوالي مرتين في الأسبوع، أنت فقط ظهرت في اليوم الخطأ».

Tele: @Arab_Books

أفرغت كأسي. نهض بيكر. وقف هناك ينظر إليّ. ثم سار نحوي.

«بيكر»، قلت، «اسمع...».

سدد نحوي لكمة مباشرة يمنى، تراجع قليلاً للوراء وسدد لكمة على فمي. بدأنا مجدداً. لم ندافع عن أنفسنا. كانت هنالك لكمات، لكمات، لكمات. دفعني نحو كرسي فانكسر. نهضت، أمسكت به. تراجع للخلف فسددت له لكمة يمنى أخرى. اندفع للخلف على الحائط فاهتزت الغرفة كلها. ارتد من الحائط وسدد لكمة يمنى مباشرة على جبهتي فرأيت الأضواء: خضراء، صفراء، حمراء... ثم سدد واحدة يسرى أخرى على ضلوعي وواحدة يمنى أخرى على وجهي. تمايلت وتجنبتها.

اللعنة! فكرت، ألم يسمع أي أحد كل هذه الضجة؟ لماذا لا يأتون ويوقفون هذا القتال؟ لماذا لا يتصلون بالشرطة؟

اندفع بيكر نحوي مجدداً. تجنبت لكمة يمنى قوية وبعدها خارت قواي وانتهى أمري...

عندما عدت إلى وعيي، كانت الأجواء مظلمة. لقد حلَّ الليل. كنت تحت السرير، رأسي كان بارزاً من تحته. لا بدّ من أنني زحفت إلى هنا. كنت جباناً. لقد تقيأت على نفسي. زحفت خارجاً من تحت السرير.

نظرت إلى علّاقة الملابس المحطمة والمرآة المكسّرة. كانت الطاولة مقلوبة. سرت نحوها وحاولت إعادتها إلى وضعها الطبيعي. سقطت. اثنتان من أرجلها كانتا شبه محطمتين. حاولت إصلاحها بأفضل طريقة ممكنة. عدّلت وضع الطاولة. وقفت للحظة، ثم سقطت مجدداً. كانت السجادة مبتلّة بالكامل بالنبيذ والقيء. وجدت زجاجة نبيذ ملقاة على جانبها. كان يوجد القليل من النبيذ المتبقي فيها.

Tele: @Arab_Books

شربته ونظرت حولي بحثاً عن المزيد. لم يكن يوجد أي شيء. لم يكن يوجد أي شيء لشربه. وضعت السلسلة على الباب. وجدت سيجارة، أشعلتها ووقفت على النافذة، وحدقت في الخارج في شارع المعبد. كانت ليلة لطيفة في الخارج.

سمعت طرقات على الباب. «سيد تشيناسكي؟» كانت السيدة كانساس. لم تكن وحدها. سمعت همس أصوات أخرى. كانت مع أصدقائها القصار السمر.

«سيد تشيناسكي؟».

«نعم؟».

«أريد الدخول إلى غرفتك».

«لماذا؟».

«أريد تبديل الملاءات».

«أنا مريض الآن. لا أستطيع السماح لك بالدخول».

«أنا فقط أريد تبديل الملاءات. سأخرج خلال دقائق».

«لا، لا أستطيع أن أسمح لك بالدخول. تعالي في الصباح».

سمعتهم يتهامسون. ثم سمعت خطواتهم وهم يبتعدون في الممر. سرت نحو السرير وجلست. احتجت إلى شراب، وبشدة. كانت ليلة سبت، المدينة كلها ثملة. ربما يمكنني التسلل إلى الخارج؟

سرت إلى الباب وفتحت شقاً صغيراً، تاركاً السلسلة عالقة، واختلست النظر. على أعلى الدَّرج كان هناك رجل فلبيني، أحد أصدقاء السيدة كانساس. حمل مطرقة في يده. كان جالساً على ركبتيه. نظر إليّ، ابتسم ابتسامة عريضة، ودق مسماراً في السجادة. تظاهر بإصلاح السجادة. أغلقت الباب.

احتجت بشدة إلى شراب. بدأت أمشي في الغرفة. لماذا يمكن للجميع في العالم أن يحصلوا على شراب إلا أنا؟ كم من الوقت

Tele: @Arab_Books

يجب عليّ أن أبقى في هذه الغرفة اللعينة؟ فتحت الباب مجدداً. كان الأمر هو ذاته. نظر إليّ، ابتسم ابتسامة عريضة، ثم دق مسماراً آخر في الأرضية. أقفلت الباب.

أخذت حقيبتي وبدأت برمي ملابسي القليلة فيها. كان ما يزال لديّ بعض المال الذي ربحته من المقامرة تلك المرة لكنني كنت أعرف أنني لن أستطيع أبداً الدفع مقابل الأضرار التي لحقت بالغرفة. ولم أرد ذلك على أية حال. لم تكن تلك غلطتي حقاً. كان يجب عليهم إيقاف القتال. وبيكر هو الذي كسر المرآة...

انتهيت من توضيب كل حاجياتي. أمسكت الحقيبة بيد وباليد الأخرى أمسكت الآلة الكاتبة. وقفت أمام الباب لبعض الوقت. نظرت إلى الخارج مرة أخرى. كان ما يزال هناك. أزلت السلسلة من الباب. ثم فتحت الباب على وسعه وخرجت مندفعاً. ركضت باتجاه الدَّرج.

«أنت، إلى أين أنت ذاهب؟» سأل الرجل القصير. كان ما يزال راكعاً على ركبة واحدة. بدأ يرفع مطرقته. ضربت الآلة الكاتبة بقوة على جانب رأسه. أصدرت صوتاً فظيعاً. نزلتُ الدَّرج مسرعاً إلى مدخل الصالة ثم خارج الباب.

ربما قتلت الرجل. بدأت بالركض في شارع المعبد. ثم رأيت سيارة أجرة. كانت فارغة. صعدت إليها.

«تلة بانكر»، قلت، «بسرعة!».

- ٥٦ -

رأيت لافتة غرف شاغرة على نافذة أحد المنازل الفندقيّة، فجعلت سائق التاكسي يركن السيارة. دفعت له وسرت نحو الشرفة

Tele: @Arab_Books

الأمامية، وقمت برن الجرس. كنت أملك عيناً سوداء من الشجار، والعين الأخرى مجروحة، والأنف منتفخ، وشفتاي منتفختان أيضاً. أذني اليسرى كانت حمراء فاتحة وفي كل مرة لمستها فيها، شعرت بصدمة كهربائية تسير خلال جسدي.

ظهر رجل عجوز على الباب. كان يرتدي قميصاً داخلياً وبدا كأنه قد أراق صلصة الفلفل الحار والفاصولياء على قميصه. شعره كان رمادياً وغير ممشّط، كان يحتاج إلى حلاقة وكان يدخن سيجارة مبللة كريهة الرائحة.

«أنت المالك؟» سألت.

«أجل».

«أحتاج إلى غرفة».

«لديك عمل؟».

«أنا كاتب».

«أنت لا تبدو ككاتب».

«كيف يبدو الكاتب؟».

لم يجب. بعدها قال، «٢,٥٠ دولار في الأسبوع».

«هل يمكنني رؤية الغرفة؟».

تشجأ، ثم قال، «اتبعني...».

سرنا في ممر طويل. لم تكن توجد سجادة على أرضية الممر. ألواح الأرضية أصدرت صوت صرير وغاصت للداخل بينما سرنا عليهم. سمعت صوت رجل من إحدى الغرف.

«ارضعي أيتها الحقيرة!».

«ثلاثة دولارات»، سمعت صوت امرأة.

«ثلاثة دولارات؟ سأجعل مؤخرتك تنزف!».

Tele: @Arab_Books

صفعها بقوة، صرخت. واصلنا السير. «المكان في الخلف»، قال الرجل، «لكن من المسموح لك استعمال حمام المنزل».

كان يوجد كوخ في الخلف بأربعة أبواب. سار نحو الباب رقم ٣ وفتحه. دخلنا. كان هناك سرير، بطانية، وعلّاقة ملابس صغيرة ومنضدة صغيرة. على المنضدة كان هناك موقد صغير.

«لديك موقد هنا»، قال.

«هذا رائع».

«٢,٥٠ دولار مسبقاً».

دفعت له.

«سأعطيك الإيصال في الصباح».

«حسناً».

«ما اسمك؟».

«تشيناسكي».

«أنا كونرز».

نزع المفتاح من سلسلة مفاتيحه وأعطاني إياه.

«نحن ندير مكاناً هادئاً هنا. أريده أن يبقى هكذا».

«بالطبع».

أغلقت الباب وراءه. كان هناك ضوء واحد فوق، غير مغطى. في الحقيقة كان المكان نظيفاً بشكل جيد. ليس سيئاً. نهضت، خرجت وأقفلت الباب ورائي، وسرت عبر الباحة الخلفية إلى زقاق.

لم يكن عليّ أن أعطي ذلك الرجل اسمي الحقيقي، فكرت في نفسي. ربما كنت قد قتلت صديقي القصير هناك في شارع المعبد.

كان هناك دَرج خشبي طويل على طول جانب منحدر يقودك مباشرة إلى الشارع تحت. أمر رومانسي. سرت في الشارع إلى أن

Tele: @Arab_Books

رأيت محل بيع مشروبات كحولية. كنت سأحصل على شرابي. اشتريت زجاجتين من النبيذ وشعرت بالجوع أيضاً فاشتريت كيساً كبيراً من رقائق البطاطا.

بعد أن عدت إلى غرفتي، نزعت ملابسي، اتكأت على الحائط، أشعلت سيجارة وسكبت كأس نبيذ. خامرني شعور جيد. كان الجو هادئاً هنا. لم أستطع سماع أي أحد في الغرف الأخرى من الكوخ. كان عليّ أن أذهب للتبول، لذلك ارتديت شورتي الداخلي، وذهبت وراء الكوخ وأطلقت العنان لنفسي. من هناك كان يمكنني رؤية أضواء المدينة. لوس أنجلس كانت مكاناً جيداً، كان هناك العديد من الفقراء، وكان من السهل أن يضيع أحدهم بينهم. رجعت إلى الداخل، صعدت إلى السرير. ما دام المرء يملك نبيذاً وسجائر فبمقدوره العيش. أفرغت كأسي وسكبت كأساً أخرى.

ربما يمكنني العيش باستخدام دهائي. الثمانية ساعات في العمل كل يوم أمر مستحيل، بالرغم من ذلك بدا كأن الجميع قد استسلموا لها. والحرب، الجميع يتحدثون عن الحرب في أوروبا. لم أكن مهتماً بتاريخ العالم، اهتممت فقط بتاريخي. ما هذه الحماقة. والداك يتحكمان بك خلال فترة نضوجك، يتبولان بالكامل عليك. بعدها عندما تكون مستعداً للخروج هناك وحدك، الآخرون يريدون أن يُلصقوا بك زياً ما لكي يتم إطلاق النار على مؤخرتك. كان طعم النبيذ رائعاً. سكبت كأساً أخرى.

الحرب. هنا كنت بتولاً. هل يمكنك تخيّل أن يُطلق النار على مؤخرتك من أجل التاريخ قبل أن تعرف ما هي المرأة؟ أو تمتلك سيارة؟ ماذا كنت سأحمي؟ أحداً آخر. أحداً آخر لا يهتم أبداً بأمري. الموت في الحرب لم يوقف وقوع الحرب مجدداً.

أستطيع العيش. يمكنني الفوز في مسابقات شراب، أستطيع أن

Tele: @Arab_Books

أقامر. ربما أستطيع القيام ببعض السرقات. لم أطلب الكثير، أردت فقط أن أُترك وحيداً.

أكملت زجاجة النبيذ الأولى وبدأت في الثانية. توقفت في نصف الزجاجة الثانية، تمددت. ليلتي الأولى في مكاني الجديد. كانت ليلة جيدة. غرقت في النوم.

أيقظني صوت مفتاح في الباب. بعدها فُتح الباب. جلست على السرير. بدأ رجل بالدخول.

«أُخرج من هنا فوراً أيها الحقير!» صرخت. خرج بسرعة. سمعته يركض بعيداً. نهضت وأقفلت الباب بعنف.

الناس يفعلون ذلك. يؤجرون مكاناً، يتوقفون عن دفع الإيجار ويحتفظون بالمفتاح، ويتسللون للنوم لو كان المكان شاغراً أو لسرقة المكان لو كان المستأجر غير موجود. حسناً، لن يعود هذا الشخص مجدداً. لقد عرف أنه إن حاول ذلك مجدداً فسأقوم بلكمه على خصيتيه. عدت للسرير وسكبت لنفسي كأساً أخرى. كنت منفعلاً قليلاً. عليّ الآن أن أملك سكيناً. أنهيت كأسي، سكبت أخرى، شربتها وعدت للنوم.

- ٥٧ -

بعد حصة اللغة الإنجليزية في أحد الأيام، طلبت السيدة كيرتس مني أن أبقى بعد الحصة. ساقاها جميلتان ولديها لثغة في كلامها. كان هناك شيء ما حول ساقيها ولثغتها يثيرني. كان عمرها حوالي اثنين وثلاثين عاماً، كانت مثقفة وراقية، لكن مثل كل الآخرين، كانت ليبرالية لعينة وهذا لم يتطلب إبداعاً أو قتالاً، كان الأمر بالأحرى تقديساً لفرانك روزفلت. أعجبني فرانكي بسبب برامجه من أجل

Tele: @Arab_Books

الفقراء خلال الكساد الاقتصادي. كان راقياً أيضاً. لم أعتقد أنه حقاً كان يهتم على الإطلاق بالفقراء لكنه كان ممثلاً رائعاً، له صوت رائع، وكان يملك كاتب خطابات رائعاً. لكنه أرادنا أن نخوض الحرب. هذا سيضعه في كتب التاريخ. رؤساء زمن الحروب يملكون قوة أكبر، ولاحقاً، صفحات أكثر. السيدة كيرتس كانت مجرد نسخة صغيرة من العجوز فرانكي غير أنها تملك ساقين أفضل. المسكين فرانكي لم يملك ساقين لكنه كان يملك عقلاً مذهلاً. في دول أخرى كان سيكون ديكتاتوراً قوياً جداً.

عندما خرج كل الطلبة من الفصل، سرت إلى مكتب السيدة كيرتس. ابتسمت لي. كنت قد شاهدت ساقيها لعدة ساعات وهي كانت تعلم ذلك. كانت تعلم ماذا أريد، إنها لا تملك أي شيء يمكنها أن تعلمه لي. لقد قالت شيئاً واحداً فقط أتذكره جيداً. لم تكن فكرتها الخاصة، هذا أمر بديهي، لكن الفكرة أعجبتني:

«لا يمكنك المبالغة في تقدير غباء العامة».

«سيد تشيناسكي»، نظرت إليّ، «نحن لدينا طلبة معيّنون في هذا الفصل يعتقدون أنهم أذكياء جداً».

«هاه؟».

«السيد فيلتون هو أذكى طالب عندنا».

«أوكي».

«ما الذي يضايقك؟».

«ماذا؟».

«هناك شيء ما. . . يضايقك».

«ربما».

«هذا آخر فصل لك، أليس كذلك؟».

«كيف عرفت ذلك؟».

Tele: @Arab_Books

كنت سأودع تينك الساقين الجميلتين. لقد قررت أن الحرم الجامعي مكان للاختباء فقط. هناك بعض المجانين الذين بقوا فيه للأبد. جوّ الكلية كلها كان لطيفاً. لم يقولوا لك قط ما عليك أن تتوقعه هناك في العالم الحقيقي. إنهم فقط يقومون بحشرك بالنظريات ولا يقولون لك أبداً ما مدى صعوبات الأرصفة. التعليم الجامعي يمكنه أن يدمر الفرد للأبد. الكتب تجعلك ضعيفاً. عندما تضع الكتب جانباً، وتجد نفسك حقاً هناك في الخارج، عندها ستحتاج إلى ذلك الذي لم يقولوه لك قط. لقد قررت أن أترك الكلية بعد هذا الفصل، أتسكع مع ستنكي والعصابة، ربما ألتقي بشخص ما لديه الجرأة الكافية ليقوم بعملية سرقة متجر مشروبات كحولية، أو شيء أفضل كمصرف مثلاً.

«كنت أعرف أنك ستترك الدراسة»، قالت بلطف.

«أبدأ من جديد، كلمة أفضل».

«ستحدث حرب، هل قرأت قصة «بحار قبالة بريمن»؟».

«مواضيع النيويوركر تلك لا تروق لي».

«يجب عليك أن تقرأ مواضيع مثل هذه إذا كنت تريد أن تفهم ماذا يحدث اليوم».

«لا أعتقد ذلك».

«أنت فقط متمرد ضد كل شيء، كيف سيمكنك العيش؟».

«لا أعرف، أنا متعب منذ الآن».

نظرت السيدة كيرتس أسفلاً إلى مكتبها لوقت طويل. ثم نظرت إليّ.

«سيقومون بجذبنا لندخل في هذه الحرب، بطريقة ما أو بأخرى. هل ستذهب؟».

«هذا لا يهم. ربما، وربما لا».

Tele: @Arab_Books

«ستكون جندي بحرية جيداً».

ابتسمت، فكرت أن أكون جندي بحرية، ثم رفضت هذه الفكرة.

«لو بقيت هنا لفصل آخر»، قالت، «يمكنك أن تفعل أي شيء تريد». نظرت إليّ فعرفت بالضبط ماذا كانت تقصد وقد عرفت أنني عرفت بالضبط ماذا كانت تقصد.

«لا»، قلت، «أنا سأغادر».

مشيت نحو الباب. وقفت هناك، التفت، قمت بهز رأسي قليلاً مودعاً إياها، وداعاً سريعاً قصيراً. في الخارج سرت تحت أشجار الحرم الجامعي. في كل مكان، بدا الأمر كأن كل فتى وفتاة مع بعضهما البعض. السيدة كيرتس كانت جالسة وحيدة في مكتبها بينما كنت أسير وحيداً. يا له من انتصار عظيم، لو حدث. تقبيل تلك الشفتين المتلعثمتين، فتح تلك الساقين الجيدتين، بينما يقوم هتلر ببلع أوروبا مطلاً على لندن.

بعد مدة مشيت نحو الجمنازيوم. كنت سأفرغ خزانتي. لا مزيد من التمارين لي. الناس كانوا دائماً يتحدثون عن رائحة العرق وكم هي رائحة منعشة وجيدة. كان عليهم أن يختلقوا الأعذار لها. لم يتحدثوا قط عن رائحة الغائط وكم هي رائحة منعشة وجيدة. في الحقيقة لم يكن يوجد شيء رائع مثل التغوّط بعد بيرة جيدة، أعني بعد شرب عشرين أو خمس وعشرين علبة بيرة في الليلة السابقة. رائحة غائط البيرة ينتشر في كل الأرجاء ويبقى لساعة أو ساعة ونصف جيدة. تلك الرائحة تجعلك تُدرك أنك حي حقاً.

وجدت الخزانة، فتحتها ورميت زي الرياضة والحذاء في القمامة. بالإضافة إلى زجاجتَي نبيذ فارغتين. حظاً جيداً للشخص التالي الذي سيأخذ خزانتي. ربما سينتهي به الأمر ليكون عمدة بويسي، ايداهو. رميت القفل في القمامة أيضاً. لم يعجبني الرقم

Tele: @Arab_Books

السري للقفل على الإطلاق: ١، ٢، ١، ١، ٢. لم يكن مبتكراً جداً. عنوان منزل والديّ كان ٢١٢٢. كل شيء كان في الحد الأدنى. في هيئة تدريب ضباط الاحتياط في الجيش كانت الأرقام دائماً ١، ٢، ٣، ٤، ١، ٢، ٣، ٤. ربما في يوم ما سأصل إلى ٥.

خرجت من الجمنازيوم وسلكت طريقاً مختصراً خلال الملعب. كانت هناك مباراة كرة اللمس، مباراة التقاط كرة. قطعت الطريق إلى الجانب الآخر لتجنبها. ثم سمعت صوت بولدي:

«هانك!».

نظرت إليه، كان يجلس على المدرج مع مونتي بالارد. لا يوجد الكثير لذكره عن بالارد. الشيء الجيد فيه هو أنه لا يتكلم إلا عندما تسأله سؤالاً. لم أسأله أية أسئلة. كان فقط ينظر إلى الحياة من وراء شعره الأصفر القذر ويتوق لأن يُصبح عالم أحياء. لوّحت لهما وأكملت سيري.

«تعال إلى هنا يا هانك!» صاح بولدي، «هناك شيء مهم!».

ذهبت إليه. «ماذا هناك؟».

«اجلس وشاهد الشخص البدين القصير الذي يرتدي زي الرياضة».

جلست. كان هنالك شخص واحد فقط يرتدي زي الرياضة. كان يرتدي حذاء العدو المشوّك من أسفل. كان قصيراً لكن عريضاً، عريضاً جداً. كان يملك عضلات ذراعين مذهلة، كتفيه أيضاً، رقبة غليظة، ساقين ممتلئتين قصيرتين. شعره كان أسود اللون، وجهه يكاد يكون مسطحاً، فمه صغير، أنفه كذلك، وعيناه، عيناه كانتا موجودتين هناك في مكان ما.

«أوه، لقد سمعت عن هذا الشخص»، قلت.

«راقبه»، قال بولدي.

Tele: @Arab_Books

كان هنالك أربعة لاعبين في كل فريق. قُطعت الكرة، فشل الظهير الرباعي في تمريرها. كينج كونج جونيور كان في الدفاع. كان متراجعاً نصف المسافة تقريباً. أحد المهاجمين من فريق الخصم ركض مسافة طويلة في العمق، الآخر ركض مسافة قصيرة. الوسط مسدود. أنزل كينج كونج جونيور وركض بسرعة نحو المهاجم الذي ركض مسافة قصيرة. ارتطم به، غمرَ كتفه في جانبه وبطنه وأسقطه على الأرض بعنف. ثم التفت وهرولَ متراجعاً. أُكملت التمريرة إلى المهاجم في العمق وسجل هدفاً.

«أترى؟» قال بولدي، «كينج كونج. . .».

«كينج كونج لا يقوم بلعب كرة اللمس على الإطلاق. إنه فقط يصطدم بشخص ما بكل ما يملك من قوة، لعبة تلو لعبة».

«لا يمكنك أن تعرقل مهاجماً قبل أن يلتقط الكرة»، قلت، «هذا مخالف للقوانين».

«من سيقول له؟» سأل بولدي.

«أستقول له أنت؟» سألت بالارد.

«لا»، قال بالارد.

أتى دور فريق كينج كونج في الهجوم. الآن يمكنه أن يلعب قانونياً. ركض كينج كونج وهاجم أصغر لاعب في فريق الخصم بعنف. أسقطه على الأرض تماماً، حط رأسه بين ساقيه بينما كان ينقلب. الشخص الصغير كان يحاول النهوض بصعوبة.

«كينج كونج هذا غير طبيعي»، قلت، «كيف نجح في امتحان القبول؟».

«إنهم لا يقومون بها هنا».

اصطفَّ فريق كينج كونج. جو ستيبن كان أفضل لاعب في الفريق الآخر. كان يريد أن يكون طبيباً نفسياً. كان طويلاً، ستة أقدام،

نحيلاً، وكان يملك الجرأة. واجه جو ستيبن وكينج كونج بعضهما البعض. قام ستيبن بعمل جيدٍ جداً. لم يسقط. تواجها في اللعبة الأخرى مرة ثانية. في هذه المرة ارتدَّ جو للخلف ولمس الأرض قليلاً.

«اللعنة»، قال بولدي، «جو بدأ يستسلم».

في المرة التالية كونج ضرب جو بصورة أعنف، تدحرج جو على الأرض عدة مرات، وتراجع ٥ أو ٦ ياردات للخلف، وكتف كونج مغمورة في ظهر جو.

«هذا حقاً يثير الغثيان! ذلك الشخص ليس إلا سادياً!» قلت.

«هل هو سادي؟» سأل بولدي بارلارد.

«إنه سادي ملعون!» قال بالارد.

في اللعبة التالية غيّر كونج وجهته على أصغر لاعب في الفريق الخصم. ظلَّ يندفع نحوه ويتكدس فوقه، مسقطاً إياه بعنف. الشخص الصغير لم يستطع التحرك لفترة. ثم جلس وأمسك رأسه. بدا كأن أمره قد انتهى. نهضت.

«حسناً، أتى دوري»، قلت.

«اقض على ابن القحبة ذاك!» قال بولدي.

«بالتأكيد»، قلت وسرت إلى الملعب. «يا رفاق، أتريدون لاعباً؟».

نهض الشخص الصغير، بدأ يسير خارج الملعب، ثم توقف عندما وصل بالقرب مني.

«لا تذهب إلى هناك. كل ما يريده ذلك الشخص هو قتل أحدهم».

«إنها مجرد لعبة كرة اللمس»، قلت.

كان الدور لنا بالكرة. اجتمعت مع جو ستيبن والناجين الآخرين.

Tele: @Arab_Books

«ما هي خطة اللعب؟» سألت.

«ابق حياً فقط!» قال جو ستيبن.

«ما النتيجة؟».

«أعتقد أنهم متفوقون علينا»، قال ليني هيل، لاعب الوسط.

بعدها تفرقنا. وقف جو ستيبن في الخلف وانتظر الكرة. وقفت أنظر إلى كونج. لم أره قط في الحرم الجامعي. من المرجح أنه كان يتسكع في حمام الرجال في الجمنازيوم. بدا كأنه يحب شم الغائط. وأيضاً بدا كأنه يحب أكله.

«ابدأ!» صحت. أمسك ليني بالكرة جيداً واستعد. نظرت إلى كونج. «أنا اسمي هانك. هانك تشيناسكي. صحافة».

لم يردّ كونج. ظلَّ يحدق إليّ فحسب. بشرته بيضاء ميتة. لم يكن يوجد أي بريق أو حياة في عينيه.

«ما اسمك؟» سألته. ظلَ يحدق إليّ. «ما المشكلة؟ لديك بعض المشيمة عالقة في أسنانك؟».

بدأ كونج يرفع ذراعه اليمنى ببطء. ثم مدها وأشار بإصبعه إليّ. ثم أنزل ذراعه.

«حسناً، مص قضيبي!» قلت.

«ماذا يعني هذا؟».

«هيا بنا، لنبدأ اللعب!» قال أحد أعضاء فريق كونج. انحنى ليني ومرر الكرة بخفة. اندفع كونج نحوي. لا يبدو أنني كنت مركزاً عليه. رأيت المدرج الرئيسي وبعض الأشجار وجزءاً من مبنى الكيمياء يهتز بينما اصطدم بي. أسقطني للخلف على الأرض ثم دار حولي، مرفرفاً بذراعيه كالأجنحة. نهضت وأنا أشعر بالدوار. في البداية أفقدني بيكر الوعي، والآن هذا القرد السادي. كان كريه الرائحة، مقرفا، ابن قحبة شريراً حقيقياً.

رمى ستيبن تمريرة غير كاملة. اجتمعنا مجدداً.

«لدي فكرة»، قلت.

«ما هي؟» سأل جو.

«سأرمي الكرة، وأنت تدافع».

«لنترك الأمر كما هو عليه»، قال جو.

بعدها تفرقنا. انحنى ليني على الكرة، مررها إلى ستيبن. كونج اندفع نحوي. أنزلت كتفي واندفعت نحوه. كان يملك قوة هائلة. اصطدمت به وارتددت، عدّلت وقفتي، وبينما كنت أفعل ذلك، رأيت كونج يندفع نحوي مجدداً، غارساً كتفه في بطني. سقطت. نهضت على الفور لكنني لم أكن أرغب في النهوض. كنت أعاني من مشاكل في التنفس.

رمى ستيبن تمريرة قصيرة كاملة. تقدمنا قليلاً. كانت هذه لعبتنا الثالثة. لم نجتمع للتشاور. عندما مُررت الكرة في اللعبة التالية ركضنا كونج وأنا باتجاه بعضنا البعض. في آخر لحظة قفزت واندفعت نحوه. ثقل جسدي كله ضرب رقبته ورأسه، أفقده ذلك توازنه. بينما سقط ركلته بكل ما لدي من قوة، أصبته على ذقنه مباشرة. كنا كلانا على الأرض. نهضت أولاً. ثم نهض كونج بلطخة حمراء على جانب وجهه ودم في زوايا فمه. هرولنا متراجعين إلى مواقعنا.

لم يتمكن ستيبن من تمرير كرة ناجحة. كانت هذه لعبتنا الرابعة. تراجع ستيبن للخلف ليركل الكرة. تراجع كونج أيضاً ليحمي ممسك الكرة من فريقه. ممسك الكرة أمسكها واندفعا كلاهما ليسجلا هدفاً، كونج يقود الطريق من أجل الراكض من فريقه. ركضت نحوهما. كونج كان يتوقع قفزة أخرى عالية. لكن هذه المرة اندفعت ممتداً وأمسكت به من كاحليه. سقط بقوة، ووجهه ارتطم بالأرض. كان مصدوماً، بقي على الأرض، وكلتا ذراعيه ممدودتان. عصرت رقبته

Tele: @Arab_Books

وضغطت بركبتي عموده الفقري وغرزتها فيه. «يا كونج، يا صديقي، هل أنت بخير؟».

أتى الآخرون مسرعين.

«أعتقد أنه مصاب»، قلت، «هيا، ليساعدني أحدكم على نقله خارج الملعب».

أمسكت بجانبه وستيبن أمسك بجانبه الآخر ورفعناه وسرنا به إلى الخط الجانبي للملعب. بجانب الخط الجانبي تظاهرت بأنني تعثرت وغرزت حذائي الأيسر في كاحل كونج.

«اه»، قال كونج، «أرجوك اتركني وشأني...».

«أنا فقط أقوم بمساعدتك يا صديقي».

عندما وصلنا إلى الخط الجانبي للملعب أسقطناه هناك. جلس كونج ومسح الدم عن فمه. ثم مدّ يده وقام بتحسس كاحله. كان مجروحاً وعما قريب سيبدأ بالانتفاخ. انحنيت عليه.

«اسمع يا كونج، هيا بنا لنكمل المباراة. نحن متأخرون ب ٤٢ ل٧ ونحن نحتاج إلى فرصة للحاق بكم».

«لا، عليّ أن ألحق بحصتي التالية».

«لم أكن أعرف أنهم يعرفون إمساك الكلاب هنا».

«إنها حصة الأدب الإنجليزي ١».

«هذا يوضح الكثير. حسناً، انظر، سأساعدك للوصول إلى الجمنازيوم وسأضعك تحت حمام ساخن، ماذا تقول؟».

«لا، أنت ابق بعيداً عني!» نهض كونج. كان يتألم بشدة. الكتفان الهائلتان تدلّتا، كان هناك قذارة ودم على وجهه. عرّج بعض الخطوات. «يا كوين»، قال لأحد أصدقائه، «تعال ساعدني...».

أخذ كوين إحدى ذراعيّكونج وسار به ببطء على طول الملعب نحو الجمنازيوم.

Tele: @Arab_Books

«يا كونج!» صحت، «أتمنى أن تتمكن من اللحاق بحصتك! أخبر بيل سارويان أنني أسلم عليه!».

الآخرون كان يقفون حولي، بالإضافة إلى بولدي وبالارد اللذَين أتيا من المدرجات. ها أنا هنا وقد قمت بأفضل عمل لعين لي طوال حياتي ولا توجد أي فتاة جميلة إلا على بعد أميال عديدة.

«هل يملك أحدكم سيجارة؟» سألت.

«لديّ تشسترفيلدز»، قال بولدي.

«أما زلت تدخن سجائر المخنثين؟» سألت.

«سآخذ واحدة»، قال جو ستيبن.

«حسناً»، قلت، «بما أنه لا يوجد غيرها».

وقفنا ندخن هناك.

«مازال لدينا العدد الكافي من الأشخاص لنلعب مباراة أخرى»، قال أحدهم.

«تباً لذلك»، قلت، «أنا أكره الرياضة».

«حقيقةً»، قال ستيبن، «لقد استطعت الاعتناء بكونج».

«أجل»، قال بولدي، «رأيت الأمر كله. لكن هناك شيء واحد فقط أثار حيرتي».

«ما هو؟» سأل ستيبن.

«أتساءل من هو الشخص السادي هنا؟».

«حسناً»، قلت، «عليّ أن أذهب.

هناك فيلم لكاغني(*) هذه الليلة وسآخذ عاهرتي لمشاهدته».

بدأت بالسير على طول الملعب. «أنت تقصد أنك ستأخذ يدك اليمنى معك إلى الفيلم؟» صاح أحد الأشخاص خلفي.

(*) جيمس كاغني: ممثل وراقص أمريكي.

Tele: @Arab_Books

«كلتا يديّ»، قلت لهما خلف كتفي. خرجت من الملعب بعدها، مررت من جانب مبنى الكيمياء وبعدها خارج الساحة الأمامية. وهناك كان فتيان وفتيات بكتبهم، جالسين على المقاعد في الساحة، تحت الأشجار، أو على العشب. كتب خضراء، كتب زرقاء، كتب بنية. كانوا يتحدثون مع بعضهم البعض، يبتسمون، يضحكون في بعض الأوقات. قطعت الطريق إلى جانب الحرم الجامعي أينما ينتهي خط الحافلة «في». صعدت الحافلة، دفعت ثمن الصعود، سرت إلى نهاية الحافلة، جلست على آخر كرسي في المؤخرة كما أفعل دائماً وانتظرت.

- ٥٨ -

ذهبت إلى حي المتشردين في المدينة عدة مرات كنوع من التدريب للاستعداد لمستقبلي. لم يرقني ما رأيته هناك. أولئك الرجال والنساء لم يملكوا أي جرأة أو عبقرية استثنائية. أرادوا الأشياء نفسها التي يريدها الكل. وهناك أيضاً حالات واضحة من الأمراض العقلية التي كان من المسموح لهم أن يسيروا في الشوارع دون أن يضايقهم أي أحد. لقد لاحظت أن المجانين في كلتا حالتي الفقر المفرط والثراء المفرط في المجتمع من المسموح لهم أن يعيشوا بحرية. كنت أعرف أنني لست عاقلاً تماماً. ما زلت أعرف، كما كنت أعرف من قبل في طفولتي، أن هناك شيئاً ما غريباً فيّ. شعرت كأنني من المقدر لي أن أكون قاتلاً، سارق مصرف، قديساً، مغتصباً، راهباً، ناسكاً. احتجت إلى مكان معزول للاختباء فيه. حي المتشردين كان مقرفاً. حياة العقلاء، الرجل العادي، كانت مضجرة، عبثية، أسوأ من الموت. لم يكن يبدو أن هناك بديلاً محتملاً. التعليم بدا كأنه فخ.

Tele: @Arab_Books

التعليم القليل الذي سمحت لنفسي بالتحصل عليه جعلني أكثر شكاً. من هم الأطباء، المحامون، العلماء؟ إنهم مجرّد رجال حرموا أنفسهم من الحرية ليفكروا ويعملوا كأفراد مستقلين. رجعت إلى كوخي وثملت. . .

جالساً هناك، فكرت في الانتحار، لكنني شعرت بولع غريب بجسدي، بحياتي. بالرغم من الندوب الهائلة، جسدي وحياتي كانا ملكي. كنت أنظر في مرآة علّاقة الملابس وأبتسم ابتسامة عريضة: إذا كنت ستُنهي الأمر، فمن الأفضل لك أن تأخذ معك ثمانية، أو عشرة أو عشرين منهم معك. . .

كانت ليلة سبت في ديسمبر. كنت في غرفتي وشربت أكثر بكثير من المعتاد، مشعلاً سيجارة وراء سيجارة، وأنا أفكر في الفتيات والمدينة والوظائف، والسنوات التالية. وأنا أنظر أمامي لم أر إلا قليلاً أعجبني. لم أكن كارهاً للبشر ولم أكن كارهاً للنساء لكنني لم أحب أن أبقى وحيداً. خامرني شعور جيد وأنا أجلس وحيداً في مكان صغير أشرب وأدخن. لطالما كنت عِشرةً جيدةً لنفسي.

ثم سمعت صوت المذياع في الغرفة بجانبي. الشخص في تلك الغرفة رفع الصوت عالياً. كانت أغنية حب مُمرِضة.

«أنت يا رجل!» صحت، «أخفض صوت ذلك الشيء!».

لم يجبني.

مشيت إلى الحائط وطرقت عليه عدة مرات. «قلت لك، أخفض صوت ذلك الشيء اللعين!».

لم ينخفض الصوت. خرجت من الباب. ما زلت أرتدي الشورت الداخلي. رفعت رجلي وضربت باب غرفته. فُتح الباب بقوة. كان هنالك شخصان على السرير، رجل عجوز بدين وامرأة عجوز بدينة. كانا يمارسان الجنس. كانت هناك شمعة صغيرة

Tele: @Arab_Books

تحترق. الرجل العجوز كان من فوق. توقف والتفت برأسه ونظر إليّ. نظرت من تحته. المكان كان مرتباً بشكل لطيف بالستائر وبسجادة صغيرة.

«أوه، أنا أسف...». أقفلت الباب عليهما وعدت إلى غرفتي. خامرني شعور سيئ. المسكينان كانا من حقهما أن يضاجعا بطريقتهما عبر أحلامهما السيئة. الجنس والشراب، وربما الحب، هذا كل ما كانا يملكانه.

جلست وسكبت لنفسي كأساً من النبيذ. تركت باب غرفتي مفتوحاً. ضوء القمر دخل إلى الغرفة ومعه أصوات المدينة: أصوات صناديق الموسيقى، السيارات، الشتائم، نباح الكلاب، الراديوهات... كنا كلنا معاً جزءاً منها. كنا كلنا في فضلات ضخمة واحدة معاً. لم يكن يوجد أي مخرج. كانت المياه ستتدفق علينا جميعاً قريباً وتزيلنا بعيداً.

مرت قطة صغيرة من أمام الباب، وقفت عليه ونظرت إلى الداخل. عيناها كانتا مضيئتين بضوء القمر: حمراء مثل النار. يا لهما من عينين مذهلتين!

«تعالي إلى هنا يا قطتي...». مددت يدي لها كأنها تحمل طعاماً فيها. «قطتي، قطتي...»

رحلت القطة. سمعت صوت إغلاق المذياع من الغرفة بجانبي. أفرغت كأسي وخرجت. كنت ما زلت أرتدي الشورت الداخلي مثل السابق. رفعت الشورت لأعلى وأخفيت أعضائي. وقفت أمام الباب الآخر. لقد كسرت قفل بابهم. كنت أستطيع رؤية ضوء الشمعة من الداخل. كانا قد أقفلا الباب بواسطة دعامة، على الأرجح كرسي. طرقت الباب بلطف. لم يجب أحد. طرقت مجدداً.

سمعت شيئاً ما. بعدها فُتح الباب. الرجل العجوز البدين وقف

Tele: @Arab_Books

أمامي. تدلت من وجهه طيات كبيرة من الحزن. وجهه كله كان حواجب وشارباً وعينين حزينتين.

«اسمع»، قلت، «أنا أسف جداً لما فعلته. لِمَ لا تأتي أنت وفتاتك إلى غرفتي لتناول بعض الشراب؟».

«لا».

«أو ربما يمكنني أن أجلب لكما شيئاً ما لتشرباه؟».

«لا»، قال، «أرجوك اتركنا وحدنا».

ثم أقفل الباب.

استيقظت ربما بأسوأ صداع ما بعد الثمالة مررت به في حياتي. في العادة كنت أنام حتى الظهيرة. في هذا اليوم لم أستطع. ارتديت ملابسي وذهبت إلى الحمام المشترك في المنزل الرئيسي ودخلت المرحاض. خرجت، ذهبت إلى الزقاق ومن ثم أسفل الدّرج إلى أسفل المنحدر وبعدها إلى الشارع تحت.

يوم الأحد، أسوأ يوم ملعون من كل الأيام. سرت إلى الشارع الرئيسي، مررت بجانب الحانات. فتيات الحانات كنَّ يجلسن عند عتبات الأبواب، وتنانيرهن مرفوعة عالياً، وهن يحرّكن سيقانهن، مرتديات كعوبا عالية.

«يا عزيزي، تعال ادخل هنا!».

الشارع الرئيسي، الشرقي رقم ٥، بانكر هيل. أقذر أماكن أمريكا. لم يكن هناك أي مكان آخر للذهاب إليه. دخلت إلى صالة ألعاب. مشيت في الأرجاء وأنا أشاهد الألعاب لكن دون أن أملك أي رغبة في لعب أي واحدة منهن. ثم رأيت جندي بحرية أمام آلة لعبة الكرة والدبابيس. كلتا يديه ممسكتان بجانبيّ الآلة بينما كان يحاول قيادة الكرة إلى الهدف. سرت إليه وأمسكت به من مؤخرة رقبة قميصه وحزام سرواله.

Tele: @Arab_Books

«بيكر، أنا أطالب بإعادة قتالنا اللعين!» تركته والتفت إليّ.

«لا، لن أفعل ذلك»، قال.

«اثنان من ثلاثة!».

«تباً لذلك»، قال، «تعال سأشتري لك شراباً!».

خرجنا من صالة الألعاب وسرنا في الشارع الرئيسي. إحدى فتيات الحانات صاحت باتجاهنا من إحدى الحانات، «أيها البحار، تعال ادخل هنا!» توقف بيكر.

«سأدخل»، قال لي.

«لا»، قلت، «إنهن صراصير بشرية».

«لقد حصلت للتو على راتبي».

«الفتيات يشربن الشاي ويضعن الماء في شرابك. الأسعار مضاعفة ولا يمكنك رؤية فتاة منهن بعدها على الإطلاق».

«سأدخل». قال بيكر ودخل.

أحد أفضل الكُتاب الذين لم يُنشر لهم في أمريكا، يرتدي ملابس القتل والموت. لحقت به. سار إلى إحدى الفتيات وبدأ في التكلم معها. رفعت تنورتها عالياً، هزت كعبها العالي وضحكت. سارا إلى كشك صغير في الزاوية. أتى عامل البار جهة البار ليأخذ طلبيتهما. الفتاة الأخرى نظرت إليّ.

«يا عزيزي، ألا تريد اللعب؟».

«أجل، لكن عندما تحين لعبتي فقط».

«أنت خائف أو شاذ؟».

«كلا الأمرين»، قلت جالساً في نهاية البار. كان يوجد شخص ما بيننا، رأسه مستند إلى البار. محفظته كانت قد اختفت. عندما يستيقظ ويبدأ في الشكوى، سيحدث له أمران، إما أن يطرده عامل البار أو يُسلموه للشرطة.

Tele: @Arab_Books

بعد أن قام بخدمة بيكر وفتاة الحانة سار عامل البار وراء البار واتجه نحوي.

«ماذا تريد؟».

«لا شيء».

«حقاً؟ ماذا تريد من هنا؟».

«أنا أنتظر صديقي»، هززت رأسي نحو الكشك في الزاوية.

«أنت تجلس هنا، عليك أن تشتري شراباً!».

«أوكي، ماء إذاً».

ذهب عامل البار، ثم عاد، ووضع أمامي كأس ماء. «قرشان».

دفعت له. الفتاة على البار قالت له، «إنه شاذ أو خائف». عامل البار لم يقل شيئاً. ثم لوّح بيكر بيده نحوه فذهب إليهما لأخذ الطلبية.

نظرت الفتاة إليّ. «لماذا لا ترتدي الزيّ أيضاً؟».

«لا أحب أن أرتدي الملابس التي يرتديها الجميع».

«هل هناك أية أسباب أخرى؟».

«الأسباب الأخرى أموري الخاصة».

«تباً لك»، قالت.

عاد عامل البار. «أتريد شراباً آخر؟».

«أوكي»، قلت، ووضعت ربعاً آخر على البار له.

في الخارج، سرنا أنا وبيكر في الشارع الرئيسي. «كيف كان الأمر؟» سألت.

«كان هناك ثمن الطاولة، بالإضافة إلى ثمن كأسي الشراب. الإجمالي ٣٢ دولاراً».

«يا إلهي، يمكنني أن أبقى أسبوعين كاملين ثملاً بمثل هذه النقود».

«لقد أمسكت بقضيبي من تحت الطاولة وفركته».

Tele: @Arab_Books

«ماذا قالت لك؟».

«لا شيء، ظلت تفرك قضيبي فحسب».

«أفضل أن أفرك قضيبي بنفسي وأحتفظ بالـ ٣٢ دولاراً».

«لكنها كانت جميلة جداً».

«اللعنة يا رجل، أنا أسير خطوة خطوة مع مغفل مثالي».

«في يوم ما سأكتب كل هذا. ستكون كتبي على رفوف المكتبات: بيكر. فتيات الحانات ضعيفات جداً، يحتجنَ إلى المساعدة».

«أنت تتكلم كثيراً عن الكتابة»، قلت.

وجدنا حانة أخرى بالقرب من محطة الحافلات. لم تكن حانة نصب واحتيال كالحانات الأخرى. كانت فقط حانة صغيرة فيها عامل البار وخمسة أو ستة أشخاص، كلهم رجال. جلست أنا وبيكر.

«الشراب عليّ»، قال بيكر.

«بيرة إيستاسيد في العلبة».

طلب بيكر علبتين. بعدها نظر إليّ.

«هيا، كن رجلاً، انضم إلى البحرية. كن جندي بحرية».

«لا أحصل على أية إثارة في محاولة كوني رجلاً».

«يبدو لي أنك دائماً تحاول ضرب أحدهم».

«هذا فقط من أجل المتعة».

«انضم. ستعطيك شيئاً للكتابة حوله».

«بيكر، هناك دائماً شيء ما للكتابة عنه».

«إذاً، ماذا ستعمل؟».

أشرت إلى زجاجتي، رفعتها.

«كيف ستعيش؟» سأل بيكر.

«يبدو كأنني سمعت هذا السؤال طوال حياتي».

Tele: @Arab_Books

«حسناً، لا أعرف عنك لكنني سأحاول فعل كل شيء! الحرب، النساء، السفر، الزواج، الأطفال، كل الأعمال. أول سيارة سأملكها ستكون مفككة تماماً! سأقوم بتجميعها مرة أخرى! أريد أن أعرف عن كل الأمور، ما الذي يجعلها تعمل! أريد أن أكون مراسلاً في واشنطن. أريد أن أكون في المكان الذي تحدث فيها الأمور العظيمة».

«تفاهات واشنطن يا بيكر».

«والنساء؟ الزواج؟ الأطفال؟».

«تفاهات».

«حقاً، حسناً إذاً، ما الذي تريده؟».

«أن أختبئ».

«أيها المسكين المعتوه. أنت تحتاج إلى بيرة أخرى».

«حسناً».

وصلت البيرة.

جلسنا هادئين. استطعت أن أشعر بانشغال بيكر في التفكير بنفسه، التفكير في كونه جندي بحرية، في كونه كاتباً، في المضاجعة. على الأرجح بيكر سيكون كاتباً جيداً. كان يتفجر حماسةً. على الأرجح هو يحب الكثير من الأمور: الصقور الطائرة، المحيط اللعين، البدر المكتمل، بلزاك، الجسور، المسرحيات، جائزة البوليتزر، البيانو، الإنجيل اللعين.

كان هنالك مذياع صغير في الحانة يذيع أغنية مشهورة. ثم فجأةً في نصفها انقطعت الأغنية. أعلن المذيع، «لقد وصلنا خبر هذه اللحظة. اليابانيون قصفوا بيرل هاربر. أكرر: اليابانيون قصفوا للتو بيرل هاربر. يُرجى من كل العسكريين العودة إلى قواعدهم على الفور!».

Tele: @Arab_Books

نظرنا إلى بعضنا البعض، غير قادرين على فهم الذي سمعناه هذه اللحظة.

«حسناً»، قال بيكر بهدوء، «لقد بدأ الأمر».

«أكمل البيرة»، قلت له.

أخذ بيكر رشفة. «يا إلهي، لنفرض مثلاً أن ابن قحبة مغفلاً يوجه رشاشه إليّ ويضغط على الزناد؟».

«من الممكن أن يحدث هذا».

«هانك...».

«ماذا؟».

«هل تركب معي الحافلة إلى القاعدة؟».

«لا أستطيع فعل ذلك».

عامل البار، رجل في الخامسة والأربعين تقريباً له بطن مثل البطيخة وعينان مجعدتان صغيرتان سار نحونا. نظر إلى بيكر.

«حسناً يا جندي البحرية، يبدو أنه عليك أن تعود إلى قاعدتك، صحيح؟».

أغضبني ذلك.

«اسمع أيها الفتى البدين، دعه يُكمل شرابه، أوكي؟».

«بالطبع، بالطبع... تريد شراباً على حساب الحانة يا جندي البحرية؟ ما رأيك بكأس من الويسكي الجيد؟».

«لا»، قال بيكر.

«لا بأس»، قلت لبيكر، «اشرب، خذ الشراب، إنه يظن أنك ستموت لتنقذ حانته».

«حسناً»، قال بيكر، «سآخذ الشراب». نظرَ عامل البار إلى بيكر، «لديك صديق مشاكس...». قال له.

«أعطه شرابه فقط»، قلت.

Tele: @Arab_Books

الزبائن القلة الآخرون كانوا يتحدثون من دون توقف عن بيرل هاربر. قبلها، لم يتحدثوا مع بعضهم البعض على الإطلاق. الآن بدوا مُثَارين. القبيلة كانت في خطر.

أخذ بيكر شرابه. كانت كأساً مزدوجةً من الويسكي. شربها كلها دفعة واحدة.

«أنا لم أقل لك ذلك قط»، قال، «لكنني يتيم».

«اللعنة»، قلت.

«أيمكنك على الأقل أن تأتي معي إلى محطة الحافلة؟».

«بالطبع».

نهضنا وسرنا نحو الباب، عامل البار كان يفرك يديه في مئزره. كان مئزره ممزقاً وكل التمزيقات مخيّطة وكان يفرك يديه بحماس عليه.

«حظاً جيداً يا جندي البحرية!» صاح عامل البار.

خرج بيكر. دفعت الباب للداخل ونظرت إلى عامل البار.

«الحرب العالمية الأولى هاه؟».

«أجل، أجل. . .». قال بسعادة.

لحقت ببيكر. سرنا بسرعة إلى محطة الحافلة معاً. الرجال بالأزياء العسكرية بدأوا في الوصول. المكان كله كان ممتلئاً بجوٍّ من الحماسة. مرَّ بحار بجانبنا.

«سأقتل أحد اليابانيين!» صرخ.

وقف بيكر في طابور بيع التذاكر. أحد العكسريين كان مع صديقته. الفتاة كانت تتحدث، تبكي، تُمسك به، وتقبله. بيكر المسكين لم يكن له أحد أخر غيري. وقفت عند أحد جانبيه، أنتظر. طال الانتظار. البحار نفسه الذي صرخ باكراً سار نحوي. «يا صديقي، ألن تأتي معنا وتساعدنا؟ لماذا تقف هنا؟ لماذا لا تذهب وتسجل اسمك وتنضم إلينا؟».

Tele: @Arab_Books

كانت هناك رائحة ويسكي في أنفاسه. كان يملك نمشاً على وجهه وأنفه كبير جداً.

«ستفوتك حافلتك»، قلت له. بعدها سار بعيداً باتجاه نقطة المغادرة.

«سحقاً لأولئك اليابانيين الملاعين!» قال البحار.

حصل بيكر في النهاية على تذكرته. مشيت معه إلى الحافلة. وقف في طابور آخر.

«أية نصيحة؟» سأل.

«لا».

الحافلة كانت تمتلئ ببطء. الفتاة كانت تبكي وتتحدث بسرعة وبهدوء إلى الجندي حبيبها. وصل بيكر إلى الباب. لكمته على كتفه. «أنت أفضل شخص عرفته».

«شكراً يا هانك...».

«إلى اللقاء...».

خرجت من هناك. فجأة ظهر زحام غريب في الشارع. الناس كانوا يقودون سياراتهم بطريقة سيئة، يقودونها بسرعة ولا يتوقفون عند الإشارات المرورية ويصرخون على بعضهم البعض. سرت عائداً إلى الشارع الرئيسي. أمريكا كانت في حرب. نظرت إلى محفظتي: كنت أملك دولاراً واحداً. قمت بعدّ القروش: ٦١ قرشاً.

مشيت في الشارع الرئيسي. كان يوم عمل غير مربح بالنسبة لفتيات الحانات. أكملت مسيرتي. وصلت إلى صالة الألعاب. لم يكن يوجد أي أحد هناك. وحده المالك يقف في كشكه العالي. كان المكان مظلماً ورائحته كريهة بسبب البول.

مشيت في الممرات المظلمة ما بين آلات الألعاب العاطلة. كانوا

Tele: @Arab_Books

يسمّونها صالة الألعاب بسنت واحد، لكن أغلب الألعاب كانت بخمسة سنتات وبعضها بعشرة. توقفت أمام لعبة الملاكمة، لعبتي المفضلة. رجلان صغيران واقفان في صندوق زجاجي صغير بأزرار على ذقنيهما. كانت هنالك عصَوَان للتحكم، مثل المسدسين، بالزناد، وعندما تضغط على الزناد تبدأ ذراعا ملاكمك بضرب لكمات فوقية كثيرة. كان يمكنك أن تحرك ملاكمك إلى الأمام والخلف أو من جانب إلى آخر. وعندما تصيب لكمة ملاكمك الأزرار على ذقن الملاكم الآخر يسقط الملاكم على ظهره على الأرض، انتهى النزال. عندما كنت صغيراً وماكس شميلنغ هزمَ جو لويس، ركضت إلى الشارع أبحث عن أصدقائي وأنا أصرخ: «اسمعوا، ماكس شميلنغ هزمَ جو لويس!» ولم يجبني أي أحد منهم، لم يقل أي منهم شيئاً، ساروا بعيداً منكّسي الرؤوس فحسب.

يتطلب الأمر شخصين للعب لعبة الملاكمة ولم أكن سألعب مع المنحرف مالك المكان. ثم رأيت فتى مكسيكياً صغيراً، يبلغ من العمر ثماني أو تسع سنوات. كان يسير على الممر اتجاهي. كان حسن المظهر، فتى مكسيكي متعلم.

«يا فتى؟».

«نعم يا سيد؟».

«هل تريد لعب لعبة الملاكمة معي؟».

«دون مقابل؟».

«بالطبع، أنا سأدفع! اختر ملاكمك».

بدأ يطوف برأسه حول الآلة وينظر خلال الزجاج. بدا جدياً جداً. بعدها قال لي: «أوكي، سآخذ الملاكم صاحب الشورت الأحمر، يبدو أنه الأقوى».

«حسناً».

Tele: @Arab_Books

وقف الفتى في جانبه الخاص من الآلة وحدَّق خلال الزجاج. نظر إلى ملاكمه، ثم نظر إليّ.

«يا سيد، ألا تعرف أن الحرب قد بدأت؟».

«أجل، أعرف».

وقفنا هناك. «عليك أن تُدخل العملة»، قال الفتى.

«ماذا تفعل في هذا المكان؟» سألته، «لماذا لست في المدرسة؟».

«إنه يوم الأحد».

أدخلت العملة في الآلة. بدأ الفتى يضغط على أزرار عصا التحكم وبدأت أنا أيضاً بفعل ذلك. قام الفتى باختيار سيئ. الذراع اليسرى لملاكمه كانت مكسورة ولم تكن تتحرك إلا لنصف طريقها. لا يمكنها أبداً ضرب الزر على ذقن ملاكمي. كل ما كان يملكه الفتى هو الذراع اليمنى. قررت أن آخذ وقتي معه. ملاكمي كان صاحب الشورت الأزرق. بدأت في تحريكه للأمام والخلف وأراوغ وأتجنب اللكمات. كان الفتى المكسيكي رائعاً، ظلَّ يحاول. فقد أمل المحاولة مع الذراع اليسرى لملاكمه وظلَّ يضغط أزرار التحكم في الذراع اليمنى فقط. اندفعت بملاكمي الأزرق لأضرب ضربتي القاضية، ضاغطاً على زريّ تحكم الذراعين. ظلَّ الفتى يضرب بالذراع اليمنى لملاكمه الأحمر. فجأةً سقط ملاكمي الأزرق. سقط بعنف، وأصدر صوت قعقعة.

«هزمتك! يا سيد»، قال الفتى.

«لقد ربحت»، قلت له. بدا الفتى مبتهجاً. ظلَّ يشاهد ملاكمي الأزرق المتمدد على مؤخرته.

«هل تريد اللعب مرة أخرى يا سيد؟».

سكتُّ، ولا أعرف لماذا.

Tele: @Arab_Books

«نفدت نقودك يا سيد؟».

«أوه، لا».

«أوكي، لنلعب مرة ثانية».

أدخلت عملةً أخرى فنهض الملاكم الأزرق على قدميه. بدأ الفتى في الضغط على زره الوحيد في عصاه وظلت الذراع اليسرى تضرب وتضرب. تراجعت بملاكمي الأزرق لمدة وتأملت. ثم هززت رأسي للفتى. تقدمت بملاكمي الأزرق، وأنا أضرب بكلتا ذراعيه. شعرت أنه يجب عليّ أن أربح. بدا الأمر مهماً للغاية. لا أعرف لماذا كان مهماً ولكنني ظللت أفكر، لماذا أعتقد أن هذا الأمر مهم لهذه الدرجة؟

أجاب جزء آخر مني، الأمر مهم لأنه مهم. ثم سقط ملاكمي الأزرق مجدداً، بعنف مجدداً، وأصدر صوت القعقعة المعدني نفسه. نظرت إليه وهو ممدّد على ظهره على سجادته الخضراء الناعمة. ثم استدرت وخرجت من الصالة.

Tele: @Arab_Books

تمت

27/8/2017

Telegram: @Arab_Books

Tele: @Arab_Books

هذا الكتاب

أول شيء أتذكّره أنني كنتُ تحت شيء ما، كانت طاولة، فقد رأيت ساق الطاولة، رأيتُ سيقان النّاس ورأيتُ جزءاً متدلياً من مفرشها. تحت الطاولة كان الجو مظلماً، أحببت وجودي هناك. لا بدّ أن هذا كان في ألمانيا، ولا بدّ أنني كنت أبلغ من العمر عاماً أو عامين. كان العام ١٩٢٢. خالجني إحساس جيّد تحت الطاولة. لم يبدُ أنّ أحداً عرف أنني هناك. كانت أشعة الشمس فوق السجادة وعلى سيقان الناس، أحببت أشعة الشمس. سيقان الناس لم تكن مثار اهتمام، ليست كمفرش الطاولة المتدلي إلى أسفل، ولا كساق الطاولة، ولا كأشعة الشمس.

Arab_Books

ISBN 978-993335322-3

9 789933 353223